الأزرق بن علّو

حصاد الأيام

أدب .. فلسفة .. تاريخ



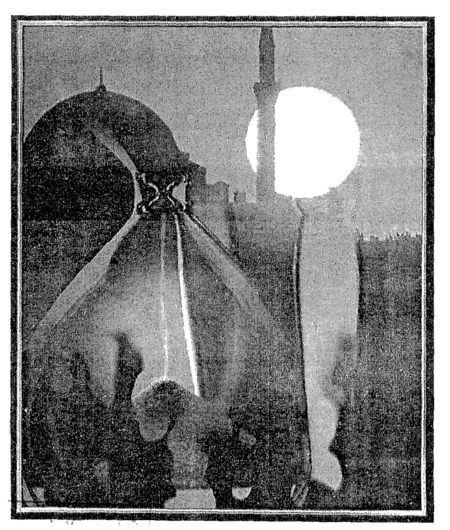
حصـــاد الأيـــام

أدب .. تاريخ .. فلسفة

الأزرق بن علوُ

حصاد الأيام

أدب .. فلسفة .. تاريخ



الناشر

دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع (القاهرة)

الكتاب : حصاد الأيام
أدب .. تاريخ .. فلسفة
المؤلف : د/ الأزرق بن علو
رقم الإيداع : ٢٠٠٢/٢٠٢٨٦
الترقيم الدولى : I.S.B.N
977 - 303 - 451 - 8
تاريخ النشر : ٢٠٠٣
الناشر : دار قباء
للطباعة والنشر والتوزيع

الإدارة :
٥٨ شارع الحجاز - عمارة برج آمون
الدور الأول - شقة ٦
☎ ٦٣٦٢٥٦٢ — فاكس/ ٦٣٧٤٠٣٨
المكتبة :
١٠ شارع كامل صدقى الفجالة (القاهرة)
☎ ٥٩١٧٥٣٢ / ✉ ١٢٢ (الفجالة)
المطابع :
مدينة العاشر من رمضان - المنطقة الصناعية (C1)
☎ ٠١٥/٣٦٢٧٢٧
www. alinkya.com/kebaa
e-mail: qabaa@naseej.com

بسم الله الرحمن الرحيم

إهداء

إذا الشعب يوما أراد الحياة

فلابد أن يستجيب القدر

ولابد لليل أن ينجلى

ولابد للقيد أن ينكسر

أبو القاسم الشابي

تحية إعجاب وتقدير وإجلال

إلى أبطال الحجارة

وإلى شهداء الحرية

وإلى الشعب الفلسطيني

المناضل في سبيل الحرية والكرامة

المؤلف



المقدمة

سواء كتب المرء عن التاريخ أو الأدب، عن الجغرافيا أو الكيمياء أو الطب، أو عالج علوما وفنونا أخرى، فإن موضوع الاهتمام الأول هو "الإنسان". هذا المخلوق الذي تتصارع في نفسه نزعات الخير والشر؛ والحب والكراهية؛ ويغلب على طبعه الأنانية والعدوانية؛ تغريه الملذات، ويزعجه الألم، ويقلقه الخوف من الفناء. قيل إنه سيد المخلوقات، ولكنه أشدها تدميرا للحياة وفسادا في الأرض.

عندما أنبأ الله الملائكة بأنه سينشئ مخلوقات أخرى على الأرض قالوا:

﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ﴾

(البقرة: 30)

ثم أمر الله آدم عليه السلام وزوجه ألاّ يقربا شجرة محددة من أشجار الجنة. غير أن الشيطان أغراهما فخالفا أمر الله، فأخرجهما من الجنة:

﴿اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ﴾.

ثم طلب آدم عليه السلام من ابنه قابيل أن يتزوج البنت توأم أخيه هابيل، وأمر هذا الأخير أن يتزوج من البنت توأم قابيل. ولكن هذا الأخير رفض طلب أبيه، وأبى إلاّ أن يتزوج الفتاة توأمه؛ ولعلها كانت ألطف وأجمل من أختها. ولم يوافق آدم على طلب قابيل، بل أمر



كلا من ولديه أن يقدم قربانا لله، وكان أن تقبل الله قربان هابيل، فملأت الغيرة قلب أخيه، وحسده على فوزه برضى الله وأبيه، وبالفتاة الجميلة، واضطرمت نار الحقد والعدوانيه، فقتل قابيل أخاه. وكانت الأنانية سببًا في إزهاق روح بريئة، وبدأت مأساة البشرية، ودخل الإنسان دوامة الظلم والعدوان.

وسواء رفع قابيل حجرة أو هراوة ليهشم رأس أخيه، فقد استمر الإنسان، عبر القرون في وحشيته وعدوانه، وراح يطوّر وسائل العنف والدمّار، وانتشر الفساد في البرّ والبحر، واستشرى الصراع بين الخير والشر.

وقد ظل موضوع الخير والشر والإنسان هو اللبنة الأساسية في الكتب السماوية وفي تعاليم الديانات الأخرى. وتقول تعاليم زرادشت (ZARATHUSTRA) الذي عاش في القرن السادس ق.م. تقريبا، بأنه توجد روحان أساسيتان في العالم: روح النور والحكمة والخير، وروح الظلام والفساد والشر؛ وأن الصراع بين هاتين القوتين يتركز في الإنسان. ولذلك أصبح العالم منقسما إلى مملكتين: مملكة أهل الخير، ومملكة أهل الشر، واشتعلت نيران الصراع والحروب بين المخيمين، وستظل كذلك إلى يوم الحساب.

ومن المعلوم أن هناك وجهات نظر أخرى تخالف ما جاءت الديانات السماوية في موضوع نشأة الإنسان وتطوره لا يحتاج إلى أية تفسيرات تختلف عن تفسير تطور الحيوانات الأخرى. يقول داروين ما مفاده: ينبغى لنا أن نعترف بأن الإنسان بماله من صفات نبيلة، وما يملك من ذكاء وتفكير، نفذ بعقله إلى حركات النظام الشمسى وتكوينه، ولكن على الرغم من ذلك ما زال يحمل في طيات جهازه العصبى طابع نشأته الوضيعة الأولى.



ويرى هذا العالم أنه ينبغى للإنسان ألا يخجل إذا عرف أن دماء حيوانات متواضعة ما زالت تجرى في عروقه: "أما ما يخصنى شخصيا فأفضل أن أنحدر من ذلك القرد الصغير الذي تحدى أعداءه الأقوياء ليصون صغاره؛ أو من ذلك السعدان الشجعان، على أن أنتمى إلى الإنسان المتوحش الذي يجد متعة في تعذيب أعدائه وإراقة دماء ضحاياه".

لقد كانت احتياجات الإنسان البدائى محدودة، تنحصر في سعيه للحصول على الغذاء وتأمين وجوده. وعندما تطورت حياته زادت احتياجاته وتعددت رغباته وتنوعت طموحاته وزادت مشاكله. يقول روسو 1719 - 1778: إن أول رجل حدد قطعة من الأرض، وقال للناس: "لا تقتربوا منها " وضع أول لبنة في تكوين المجتمع. ويضيف " ثم جاء رجل آخر فقال " لا تصدقوه ...، إنه محتال، الأرض ليست ملكا لأحد ...، وثمارها ملك لنا جميعا، فنجم بين الرجلين شجار، تلته نزاعات وجرائم وحروب ما زالت البشرية تعانى من ويلاتها ".

وشعر الإنسان بلذة الملكية والثروة وما تجلبه من قوة وسيطرة على الناس، فأصبح جشعا وأنانيا، وزاد ظلمه واستبداده. ويقول لوكريتيوس LUCRETIUS 55-99 ما معناه: إن جشع الإنسان، وتلهفه على السلطة وسعيه وراء ملذات الحياة دفعه إلى ارتكاب الجرائم في حق أخيه الإنسان. ولكن رغم ذلك فهو لا يشعر بالأمن والاطمئنان، ما دام شبح الموت يلاحقه. ويتمادى في مغالطة نفسه، محاولا أن يخفي هوة العدم التي تنتظره في نهاية المطاف، فينغمس في الاحتيال والكذب والغش والقتل ليقوى مركزه ويوسع سلطانه، عساه أن يبعد عن نفسه شيئا من الخوف والقلق.



ويلطف أفلاطون 427 - 348 ق.م. قليلا من النظرة التشاؤمية إلى الإنسان عندما يقول: أهل الخير قلة، وأهل الشر قلة. ولو أنك وازنت بين أفخم الأشياء وأصغرها، وبين أسرعها وأبطئها، وبين أشدها بياضا وأشدها سوادا ....، لوجدت أن نسبة التطرف في كلا الاتجاهين قليلة. وكذلك لو أجريت منافسة في ميدان الشرور لوجدت أن أشد الناس فسادا قليلون.

وكان ديمقريطس DEMOCRITUS (ولد نحو 460 ق.م) يرى أن حالة البشر تثير السخرية، لما يحمل الإنسان في نفسه من غرور. وكان دائم الابتسام عندما يفكر في ظروف حياة البشر، أو يتحدث عن مشاكلهم، ولذلك عرف بالفيلسوف الضاحك. وكان لهيراقليطس HERACLITUS النظرة نفسها، ولكنه كان حزينا على حالة الإنسان وظروف حياته، ولذلك عرف بالفيلسوف الحزين. أما ديوجينس المتقشف DIOGENES (ولد نحو 412 ق.م) فيرى أن البشر ليسوا أفضل من الذباب، ويشبههم بأكياس منتفخة بالهواء. وكان لا يرى لأيّ إنسان تأثيرا على حياته المتقشفة. ولم يكن يكره الناس، بل كان في نظرته كثير من الواقعية والحكمة،

وهناك رجل يدعى تيمون من أثينا (TIOMN OF ATHEN) اشتهر بكراهيته للبشر وحقده على الناس، وكان يرى أن الإنسان مخلوق خطير وشرير لا يستحق الحياة. وقد أنفق هذا الرجل جميع ثروته على أصدقائه، وعندما احتاج إلى مساعدتهم تجاهلوه وهجروه. وتكلم ذات يوم في حفل فقال: " أيها الناس، أملك قطعة أرض فيها شجرة تين قوية. وقد شنق عدد من الناس أنفسهم على أغصانها. وبما أنني قررت أن



أبنى منزلا فوق الأرض، يسعدنى أن أبلغكم أنه على كل من يرغب في شنق نفسه أن يسارع في التنفيذ قبل أن أقطع تلك الشجرة.

ويرى مونتانى MONTAIGNE (1533 - 1592) أن التصرفات السيئة، مثل الغيرة والحسد وحب الانتقام والأنانية والعدوانية، هي الإسمنت الذي يدعم شخصية الإنسان. ويضيف: " وكثيرا ما نشعر بشيء من اللذة الخفية عندما نشاهد الناس يتخبطون في المشاكل ". ويورد الكاتب أمثلة على أنانية الإنسان واحتياله فيقول: يتاجر الإنسان في الخمور والمخدرات فيكون ربحه على حساب خسارة الآخرين؛ وعندما تنقص السلع يرفع التاجر الأسعار فيزيد ربحه ويخسرون؛ وبطبيعة الحال لا يرغب المحامون في أن يخلو مجتمعهم من النزاعات والمحتالين والمجرمين، لأنهم يتاجرون في مشاكل الناس؛ ولا تمتلئ جيوب الأطباء إذا اختفت الأمراض من مدينتهم؛ وينتعش ضباط الجيش في ظروف تسودها المصادمات الداخلية والخارجية. وهكذا يصدق القول: مصائب قوم عند قوم فوائد.

ومن أشهر من تحدث عن مساوئ سلوك الإنسان، ورسم لنا صورة قاتمة لما ينبغي أن يفعله الحاكم ليحتفظ بسلطته، والأمير ليبقى على عرشه، الكاتب الإيطالي ماكيافيلى MACHIAVELLI (1469 - 1527). فهو يقول إن سلوك الإنسان يتسم بعدم الوفاء بالوعد، وبالمخادعة والجبن والغدر والعدوانية، فإذا نجحت التفّ الناس حولك، وإذا فشلت تخلوا عنك.



ويقول ماكيافيلي هناك طريقتان لحل النزاعات: القانون والقوة. وينصح الأميرَ بأن يعتمد على القوة لأنه ثبت أن القانون وحده لا يكفي. ويضيف: على الأمير أن يلبس جلد الأسد حينا وجلد الثعلب تارة. فبدور الأول يخيف الذئاب، وبدور الثاني يتجنب الوقوع في حبائل المؤامرات. وينصح الأميرَ بأن يتظاهر دائماً بالإخلاص والسلوك القويم والأخلاق الفاضلة، " مع العلم أنه لا يمكنه أن يراعى في معاملاته الأخلاق الحميدة، ولا أن يلتزم بواجبات الصداقة، ولا بشرائع الأديان والإنسانية، إذا أراد (أي الأمير) أن يحافظ على الملك.

وليست نصائح ميكيافيلي اللاأخلاقية بالشيء الجديد في ديوان الأنانية والعنف والتناحر بين البشر. وقد عثرت على كلمة لأحد ملوك مصر هو أمينمحيت الأول يوصي فيها ولده (قبل أربعة آلاف عام) بما يلي: " كن قاسيا على جميع من هم دونك! ولا تملأ قلبك بالمودة لأخ؛ ولا تثق بصديق، لأن الإنسان لا صديق له في أيام المحنة ".

ويعجبني من الكتاب الذين انتقدوا سلوك الجنس البشري، الكاتب الإنكليزي سويفت SWIFT (1667 - 1745) صاحب حكاية رحلات جاليفار (GULLIVER'S TRAVELS). لقد سخر هذا الكاتب من ضيق تفكير البشر وغباوتهم ونفاقهم وأنانيتهم وتناحرهم وجرائمهم ووحشيتهم. وقد جعل بطل رحلاته، بعد عودته إلى وطنه، لا يتحمل أن يعيش وسط الناس، بل اشترى حصانين وعاش بجوارهما عيشة راضية. ومن أقواله: " إنني أكره ذلك الحيوان الذي نسميه الإنسان، وإن كنت أحبّ زيدًا وعمرًا وسعيدًا ".



ولِمَ لا يسخر سويفت وغيره من حماقات الإنسان وقد عجزت الديانات السماوية وغير السماوية، وعجز الرسل والحكماء عن إصلاح أمره وتقويم سلوكه؟! وكيف لا يسخط هذا الكاتب أو ذاك الشاعر عندما يشاهد الإنسان يحرق المدن ويدمر الحياة ويفسد في الأرض ويبيع نفسه للشيطان من أجل السيطرة على غيره، أو لمتعة ينالها أو ثروة أو عرش يضيفه إلى مكاسبه.

وتصور لنا مسرحية MARLOWE (1564 - 1593) التي تحمل عنوان " الدكتور فاوستوس " حياة شخص قرر أن يبيع روحه للشيطان مقابل أن يلبي جميع رغباته ويشبع شهواته. وفي النهاية يقبض الشيطان روحه ويضعها في النار. هكذا يبدو الإنسان وكأن في داخله قوتين متصارعتين، توجهه إحداهما نحو فعل الخير، وتدفعه الأخرى نحو الفساد والإجرام؛ أو كأن له نفسا طيبة خيرة مسالمة، وأخرى شريرة متوحشة. وكم يسوء من يتتبع تصرفات الناس ويقرأ أخبارهم أن يلاحظ أن كثيرا ما تكون الغلبة لنوازع الشر.

ونقرأ في قصة DR. JERYLL AND MR. HYDE، للكاتب R.L. STEYENSON أن الصراع بين الخير والشر في نفس الدكتور جيكيل أدى إلى خلق ازدواج في شخصيته، فكان جيكيل يمثل الإنسان الطيب، المواطن اللطيف المحسن، وأصبح السيد هايد يمثل الرجل العنيف الشرير، كل ذلك داخل شخص واحد. وأدى به هذا الصراع في النهاية إلى الانتحار.

ويشير كل من فولتير VOLTAIRE (1694 - 1778) في قصته الشهيرة CONDIDE، والكاتب الانكليزي الدكتور جونسون DR.S.JOHNS (- 1784



1709) في قصته RASELAS إلى أن دوافع الشرلدى الإنسان أكثر قوة وعمقا من منابع الخير. وكم روى لنا الشاعر العظيم شكسبير (- 1616 1564) في مسرحياته من أخبار الغدر والخيانة والمؤامرات، وكم قدم لنا من أمثلة عن ظلم الإنسان وعدوانيته وأنانيته وجشعه ونكرانه للجميل.

أما الفيلسوف هوبز HOBBES (1588 - 1679) فيحدثنا عن مبدأين يتعلقان بحياة الإنسان. يشير الأول إلى حق الإنسان في استخدام الوسائل التي يراها صالحة وفعالة للمحافظة على حياته. وهذا يعني أن الإنسان حرّ في اللجوء إلى الأعمال التي توفر له حاجياته وتضمن حقه في الحياة. ويسمى المبدأ الثاني " قانون الطبيعة " الذي يمنع الإنسان من تدمير الحياة، أي أنه يقيّد حريته المطلقة ليجعله فردا مسؤولا عن تصرفاته السيئة.

سألت ابني الصغير مرة أن يضيف صفة إلى تعريف الإنسان بأنه: "حيوان ناطق "، فاختار من بين الصفات العشر التي قدمتها له، صفة " أحمق ". وعلل ذلك بقوله: إن المخلوق الذي يلوث الهواء والماء، ويقطع الأشجار، مخلوق أحمق ". ويتصرف الناس عامة، وحتى العظماء منهم بحماقة أثناء الظروف القاسية والمفاجآت المزعجة، وفي حالات الفشل والغضب. فمن الناس من يلجأ إلى التدخين أو تعاطي الكحول أو المخدرات الأخرى؛ ومن يكسر الأواني، أو يضرب الأطفال. ويذكر MONTAIGNE حالة الملك الذي " جلد " البحر بسياطه؛ والملك قورش الذي استخدم جيشه للانتقام من النهر؛ وملك آخر نزلت به كارثة فمنع المواطنين من أن يصلوا للإله؛ وقدماء سكان THRACE الذين كانوا يرمون السماء، عندما تبرق وترعد، بالسهام رغبة في أن يعود الإله إلى صوابه.



ومن آراء فرويد FREUD (1856 - 1939) الشهيرة قوله بأن ما يوجه سلوك الإنسان هو مبدأ اللذة والألم. أي أن الإنسان أثناء سعيه لإشباع احتياجاته وتجنب الآلام والمزعجات يواجه عراقيل وصعوبات كثيرة. وبذلك يدخل في صراع، خفيف أو شديد، مع أبويه، وفي المدرسة والشارع ومكان العمل وغيرها. ومما يزيد الطين بلة أنه، في معظم الحالات، لا يقنع بالحصول على الاحتياجات الأساسية، بل ينافس ويصارع ويقاتل ليصبح ثريا وقوّيا مسيطرا.

ويشير فرويد إلى بعض الوسائل التي تساعد على التخفيف من مزعجات الحياة ومتاعبها وآلامها فيذكر:

1- اعتزال الناس، التخلي عن الطموح الجامح، والابتعاد عن مصدر المتاعب، والبحث عن السلام والطمأنينة.

2- الاندماج في المجتمع والتعاون مع الناس بالاعتماد على المرونة في السلوك.

3- اللجوء إلى المتع الفكرية والروحية والدينية والتسامى عن المغريات المادية.

4- اللجوء إلى الكحول والمخدرات، وهو أسوأ الحلول.

لم تجد تحاليل فرويد ونصائحه، لأنها وإن زادت وعي الإنسان ببعض مشاكله، لم تقض عليها ولم تجعله أسعد مما كان. وترك لنا عشرات الحكماء والفلاسفة، قبل فرويد، تراثا غنيا بالمواعظ والإرشادات والحكم، وجاء الأنبياء والرسل بتعاليم الترغيب والترهيب،



فلم ينته البشر عن ارتكاب الجرائم، ولم يخل العالم من العنف والفساد والقتل والحروب.

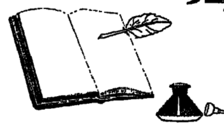
ويواصل الإنسان توغله في أعماق العلوم، ويتوسع في ميدان الاختراعات التي لا حصر لها. فهل حسّن هذا التقدم في ميادين المعرفة من سلوك الإنسان تجاه أخيه الإنسان وتجاه الطبيعة؟ وهل أصبح الفرد اليوم أقل جشعا وأنانية ووحشية مما كان عليه في العهود الغابرة؟ أم أن نزعته نحو الشر ستؤدي به في النهاية إلى تدمير الحياة؟ بسبب أنانيته وحماقته وإخلاله بسنن الطبيعة وبالأمانة التي تحملها

﴿إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾.

صدق الله العظيم.

القسم الأول

من أخبار الأدباء



- شيشرون، خطيب ورجل دولة رومانى
- فيرجيل، شاعر قومى رومانى
- بلوتارخ ، كاتب يونانى
- توماس مور، صاحب UTOPIA
- مونتيني، أديب فرنسى
- دانيال ديفو، كاتب إنجليزى
- ألكسندر بوب، شاعر إنجليزى
- صامويل جونسون، أديب إنجليزى
- دنيس ديدرو، أديب فرنسى
- لورد بايرون، شاعر إنجليزى
- ب.ب. شلى، شاعر إنجليزى
- أنورى دى بلزاك، أديب فرنسى
- شارل بودلير، شاعر فرنسى
- توماس هاكسلى، كاتب إنجليزى

شيشرون

M.T.CICERO

ولد شيشرون سنة 106 ق.م. في مدينة أربينوم (إيطاليا) ودرس القانون والفلسفة في روما. ولمع نجمه عندما عين مدعيا عاما في قضية ضد حاكم صقلية، وبذلك انطلق في ميدان السياسة. وبعد بضع سنوات انتخب إلى وظيفة حاكم، وهي أعلى وظيفة في روما. غير أن منافسه كاتيلين دبر مؤامرة للاستيلاء على الوظيفة بالقوة؛ واستطاع شيشرون أن يقضي عليها. ونفي شيشرون من روما لأنه أمر بإعدام عدد من جماعة خصمه كاتيلين دون محاكمة.

عاد شيشرون إلى روما بعد نحو سنة من نفيه، وكرس وقته للمحاماة والكتابة، ولم يهمل النشاط السياسي. وعندما تجاوز يوليوس قيصر بجيشه حدود الروبيكون، متجها نحو روما، انضم شيشرون إلى القائد بومبي لمحاربته، وكان ذلك بداية الحرب الأهلية.



غير أن شيشرون لم يشارك في المؤامرة التي أدت إلى قتل القيصر عام 44 ق.م. وفي الصراع الذي دار بعد ذلك بين مارك أنطونيو والشاب أوكتافيان انضم شيشرون إلى هذا الأخير. وعندما تصالح الزعيمان حكم على شيشرون بالإعدام، فقطع رجال مارك أنطونيو رأسه ورجليه وعرضت في ساحة الفوروم بروما، أمام الجمهور حدث ذلك عام 43 ق.م.

اشتهر شيشرون بقدرته الخطابية الفائقة، وكتب عن موضوعات متنوعة مثل الخطابة، والسياسة، والفلسفة، والصداقة، وله قصائد شعرية ورسائل؛ ولكنه اشتهر خاصة بمرافعاته القضائية وبخطبه.

نبذة من مقاله عن الشيخوخة :

من منا لا يرغب في أن يمتد به العمر وأن يعيش حتى يبلغ مرحلة متقدمة من السن؟ ولكن من الناس من إذا بلغ الشيخوخة يتذمر، فيقول مثلا لقد هجمت عليه بسرعة أكبر مما كان يتوقع. فهل صحيح أن مرحلة الشيخوخة هجمت عليه بسرعة أكبر مما هجم عهد البلوغ على سنّ الطفولة؟ ولو افترضنا أن الشيخوخة أدركته بعد 800 سنة فهل تكون أقل عبئا وإزعاجا مما لو أنها أدركته بعد 80 سنة ؟!

والواقع أن هناك أسبابا أربعة تجعل الناس لا يرحبون بمرحلة الشيخوخة. أولا أنها تدفعنا إلى التقاعد؛ ثانيا أنها تضعف البدن؛ ثالثا كونها تحرمنا من كثير من الملذات الجسدية؛ وأخيرا أنها المرحلة التي يتلوها الموت. ولنتحدث عن كل من هذه العناصر.



* **القاعد:** هل يعنى ذلك ترك الأعمال التي تتطلب القوة البدنية؟ هناك أنشطة عديدة يؤديها المسن عندما يضعف بدنه، إن الأعمال الهامة في الحياة لا تنجز بقوة العضلات فقط. هناك ميزات متوفرة لدى المسنين: التجارب، سداد الرأي، إسداء النصيحة.

والمعروف أن التهور لدى الشباب يعادله التأني والحذر في الشيخوخة ويقال إن الذاكرة تضعف تحت عبء السنين. هذا صحيح ما لم يعمل المرء على شحذها وتنشيطها بالممارسة والاستعمال.

انظر إلى المحامين والقساوسة والفلاسفة، إنهم يحتفظون بذاكرة قوية. لقد ظل الشاعر سوفوكلس SOPHOCLES يؤلف مسرحياته في سنّ متقدمة جدا وظن أولاده أنه يهمل ممتلكاته بسبب كبر السن، فشكوه إلى العدالة مطالبين بحرمانه من صلاحية إدارة أملاكه. وقرأ الشاعر على القضاة مسرحية كان منهمكا في تأليفها، فتبين لهم أن من يكتب ذلك لا يمكن أن يتهم بفقدان الذاكرة، وخسر أولاده دعواهم.

وإذا سئل أيُّ فلاح مسن لمن تزرع ...؟ أجاب: أزرع في سبيل الله الذي سمح لي أن أتمتع بما زرع أجدادي، وأزرع ليتمتع أحفادي.

* **ضعف البدن:** العنصر الثاني الذي يجعل الناس يكرهون كبر السن هو قولهم إنه يضعف قوة البدن. والحقيقة هي أنني لا أحتاج إلى قوة الشباب تماما كما أن الشاب لا يحتاج إلى قوة الثور أو الفيل. بل على المرء أن يستغل ما لديه من قوة وأن يحاول أن يتقن ما يعمل.

وهل يفقد المسنُّ القدرة على تدريب الشباب على متطلبات



الحياة؟ أليس هذا من أنبل الواجبات؟ وما على من طعن في السن إلا أن يجعل عبء عمله متوازنا مع طاقته البدنية ومع تجاربه وخبرته الفكرية. يروى أن ميلو دخل مدينة أولمبيا وهو يحمل ثورا حيا على كتفه.

وماذا تفضل أنت: أن ترزق قوة ميلو البدنية أو قوة بيتاغور الفكرية؟

لقد قررت الطبيعة مجراها، وهو يسير في اتجاه واحد فقط، الطفولة بضعفها، ومرحلة الشباب بمرحها وحماسها، والمرحلة الوسطى برزانتها ونضجها، وفترة الشيخوخة بنضجها وهدوئها. ولكل مرحلة مزاياها. ثم لابد من التصدي لمرحلة الكبر وممارسة القدر المناسب من الرياضة، وعدم المبالغة في الطعام والشراب، والعناية بشؤون الفكر والروح، فهما مثل الفانوس سرعان ما ينطفئ إذا انتهى وقوده.

* **الملذات الحسية والجسدية:** التهمة الثالثة هي أن كبر السن يحرمنا من المتع الجسدية. ويا لها من خدمة يقدمها لنا كبر السن إذا كان يخلصنا من وصمات الشباب وشوائبه ومساوئه التي كانت كثيرا ما تدفعنا لارتكاب الشرور. فاللذة عدوة الفكر الذي يعتبر أسمى ما وهب الله أو الطبيعة للإنسان. وإذا كان المرء لا يستطيع أن يتجنب الملذات بمساعدة العقل والفلسفة، ينبغي له أن يعترف بفضل الشيخوخة التي أنقذته من عاداته السيئة.

ولعلك تقول: إن مرحلة الشيخوخة خالية من ملذات الموائد المزدانة بألوان الطعام ومن متعة الشرب مع الأصدقاء. ولكنها خالية كذلك من الصداع والأرق وسوء الهضم.



لنلتفت إلى ملذّات حياة الفلاح التي أجدها من أروع المتع. فنشاطه متنوع ولا يعوقه كبر السن أبدا؛ بل تبدو حياته أقرب شيء إلى حياة الرجل الحكيم. فهو يتعامل مع الأرض الطيبة المطيعة المعطاء، إذ إنها تغل أضعاف ما تتلقى. وهناك الحديقة، والبستان، وتربية الأغنام، والنحل .. ومتعة الحياة بين الأزهار. وكم هي متعة الفلاح عندما يدخل مخزن الزيت والخمور، ويشاهد مزرعته تزخر بالخنازير، والمعز، والخرفان، والطيور، والعسل والجبن واللبن. ليحتفظ الشباب إذا بعضلاتهم، وخيلهم، ورماحهم، وسيوفهم، وحفلاتهم، وليتركوا لنا نحن الشيوخ لعبة النرد والطاولة.

* **اقتراب الموت:** ياله من رجل خرف مسكين من لم يتعلم أثناء مسيرة حياته الطويلة أن الموت ليس شيئا مخيفا. فإذا كان الموت يقضي نهائيا على وجود الروح، إذا ينبغي أن نتجاهله كليا. أما إذا كان يسمو بالروح إلى حياة الخلود، فينبغي أن نرحب به. ففي الحالة الأولى لا يشعر المرء بعد الموت بأيّ بؤس أو شقاء، وفي الثانية سيكون سعيدا.

وعلى أية حال من المغفل الذي يضمن في الصباح أنه سيكون على قيد الحياة عند غروب الشمس؟ مهما كان صغير السن. والواقع يشهد بأن قليلا من الأطفال تمتد حياتهم إلى سن الشيخوخة. وبينما يظل الشاب يتمنى أن يعمر طويلا، يكون كبير السنّ قد حقق تلك الأمنية.



فيــــرجيــــل

VIRGIL

ولد الشاعر الروماني فيرجيل عام 70 ق.م. بالقرب من مدينة مانتوفا في شمال إيطاليا، وتلقى تعليمه في كريمونا وميلانو وروما. ثم قرر أن يدرس الفلسفة فالتحق بمدرسة " الحديقة " في نابولي، وأخذ العلم على الفيلسوف الأبيقوري سيرو.

ويبدو أنه لم يكن يتمتع ببنية بدنية قوية، لذلك لم يبق في جيش يوليوس قيصر إلا فترة قصيرة. وأصبح فيرجيل ينعم بصداقة عدد من أصحاب الجاه والمركز وحمايتهم، كما تزعم مجموعة من الأدباء عملت بصفة شبه رسمية على تدعيم السلم والرفاهية في الإمبراطورية الرومانية.

ظل فيرجيل طيلة أحد عشر عاما يعمل على إعداد ملحمته "الإنياذة ". وفي سنة 19 ق.م قرر أن يسافر إلى اليونان وآسيا الصغرى



لزيارة الأماكن التي ذكرها في ملحمته، ولوضع اللمسات الأخيرة على كتابه. وفي أثينا التقى بالإمبراطور أغسطس الذي أقنعه بالعودة معه إلى إيطاليا. وأثناء السفر أصيب بمرض، وتوفي في مدينة BRINDISI (كالابْريا) وعمره لا يتجاوز 51 سنة.

يعتبر فيرجيل شاعرا قوميا، أحبه الرومان وبجلوه لأنه تغنى بمآثرهم وأمجادهم في ملحمته التي نسجها على منوال ما فعل هوميروس لليونان. كتب فيرجيل الإنياذة في القرن الأول قبل الميلاد، وحرص على أن يؤكد فيها بأن سلالة الإمبراطور المعاصر له (أغسطس) تنحدر من ملوك طروادة القدماء. كما حرص على الإشادة بمآثر روما، المدينة الخالدة، التي يعود إنشاؤها إلى القرن السابع قبل الميلاد. ولو أن طريقته في تصوير إنشاء روما تظل من الأساطير. ويرى الشاعر أن الآلهة حملت روما رسالتين، أن تحكم العالم، وأن تعمل على نشر الحضارة بين سكان العالم.

وخلاصة الإنياذة كما يلي :

بعد أن هزم اليونانيون جيش طروادة، ودمروا المدينة، أمرت الإلهة أفروديت (فينوس عند الرومان) البطل الطروادي إينياس ببناء مدينة جديدة تخلف مدينة طروادة في عزتها ومجدها. فيغادر إينياس ورفاقه سواحل آسيا الصغرى (طروادة) ويواصلون السفر في أسطولهم، إلى أن ساقتهم عاصفة إلى مدينة قرطاج.

استقبلتهم الملكة ديدون (عليسة) بحفاوة. وقص عليها إينياس خبر سقوط مدينتهم، وأن الآلهة حملته مهمة إنشاء مدينة أخرى



تخلفها. ونشأ حب بين الملكة وإينياس فحاولت أن تقنعه بأن يبقى إلى جانبها. غير أن الإله جوبيتر ذكره بأنه لابد أن ينجز رسالته وأن يسافر إلى سواحل إيطاليا الغربية. وعندما غادر قرطاج انتحرت الملكة ديدون حزنا على فراقه.

وعندما وصل إلى إيطاليا قادته كاهنة إلى العوالم السفلى، إلى شبح أبيه الذي حدثه عن مستقبل ذريته ومستقبل المدينة التي سينشئها، وعن سلسلة الملوك التي تنحدر منه إلى الإمبراطور المعاصر لفيرجيل. وبعد أسفار شاقة وصعوبات وحروب، يصل إينياس إلى نهر التيبر، ويتزوج لافينيا (ابنة الملك لاتينوس)، بعد أن يقتل منافسه عليها. ثم يرث عرش صهره ويستقر مع رفاقه، ويؤسس مدينة روما.

بلـــوتـــارخ

PLUTARCH



كاتب يوناني ولد في مدينة شيرونيا (BOEOTIA) بشرق وسط اليونان، عام 26 ميلادية. درس الرياضيات والفلسفة في أثينا؛ ودرّس الفلسفة في روما. وتشير بعض المراجع إلى أنه كان معلما للفتى تراجان الذي أصبح إمبراطور الروم، وجعله حاكما لليونان. تولى وظيفة كاهن في معبد الإله أبولو في مدينة دالفى التي اشتهرت بمَوْحَى أبولو كذلك. وبقي فيها حتى وفاته.

كتب بلوتارخ في التاريخ والفلسفة والسير. وينسب إليه أكثر من 227 مؤلفا، أشهرها كتابه " تراجم قواد وزعماء يونانيين ورومان " وفيه يقص حياة 46 زعيما ومنجزاتهم، ويقارن بين الأبطال والحكام اليونانيين والرومان. وقد قرأ هذا الكتاب وتأثر به عدد كبير من الحكام والأدباء مثل شكسبير، وبيكون، ومونتانى، والملكة إليزابيث الأولى وغيرهم كثير.



مقارنة بين الزعيم اليوناني ديموستينيس والزعيم الروماني شيشرون

❖❖❖❖❖❖

(مقتطفات من كتاب بلوتارخ : تراجم قواد وزعماء يونانيين ورومان)

استخدم ديموستينيس جميع قدراته الطبيعية والمكتسبة واستغل مواهبه ليصبح خطيبا بليغا مبرزا. أما شيشرون فقد حصل ثقافة واسعة، وبرز في علوم الكلام والبلاغة وأصبح خطيبا مفوها.

كانت خطب الزعيم اليوناني تركز على جدية الموضوع، خالية من الملاحظات الساخرة والدعابات؛ بينما كان شيشرون يلجأ في خطبه القضائية والسياسية إلى الدعابة والسخرية من خصومه، ليحطم الدلائل التي يقدمها منافسوه.

كان يبدو على ملامح الزعيم اليوناني، على الدوام، مسحة من القلق والجدية والتفكير؛ بينما كان شيشرون ميالا بطبيعته إلى المزاح والمرح، وكانت الابتسامة لا تفارق محياه.

كان الزعيم اليوناني لا يمدح نفسه، إذا دعته الضرورة لذلك، يفعله بتواضع. وكان الزعيم الروماني يمدح نفسه في خطبه، وكان شعاره أن السلاح ينبغي أن يترك المجال " للرداء " المهني وأن يكون إكليل النصر للسان لا للجندي.

يروى أن الزعيم اليوناني تلقى الرشوة من ملك الفُرس ومن HARPALUS اعترافا بخدماته. أما شيشرون فقد رفض الهدايا عندما تولى مناصب عالية. وأدى اتهام الأول بالرشوة إلى نفيه، ولم يكترث به أحد عندما غادر البلاد. أما شيشرون فقد نفى كذلك من روما، والسبب هو أنه قضى على عدد من الأشرار. وقد حزن عليه مجلس الشيوخ عندما غادر روما، ورفض أن يوافق على أيّ قرار حتى يعود.

كان نفي ديموستينيس بداية نشاط وطني، فراح يتنقل بين مدن اليونان، يدعم بلاده في أيّ صراع تخوضه. أما الزعيم الإيطالي فقضى مدة نفيه في ظروف هادئة في مقدونيا.

استعد الأول للموت، وفي الوقت المناسب تجرع السم بشجاعة حتى لا يسلم نفسه لعدوه. أما موت الثاني فيثير العطف والأسى في النفوس. فقد كان مسنا عندما حكم عليه بالإعدام، فراح يتنقل من مكان إلى مكان متخفيا. وعندما أعدم قطع رأسه ورجلاه، وعرضت أمام جماهير روما.

القناعة [1]

القناعة لا تعني أن يتوقف المرء عن العمل ويعيش حياة الكسل والركود. وهل يطلب من المعاق أن يلزم الفراش إذا كان عدم الحركة يضر ببدنه؟ ثم إنه لا يمكن القول بأن الأشخاص الذين لا يعملون لهم

(1) مقتطفات من مقال كتبه بلوتارخ إلى صديقه PACCIUS حول موضوع القناعة وحياة الراحة والاطمئنان.



سلوك معتدل وسليم. والواقع أن درجة القناعة لا تحدد بحجم العمل، بل بما يملك المرء من مؤهلات وطاقة ونشاط.

إن كل شخص يولد مجهزا باستعدادات وقدرات هي التي توجه حياته. والحذاء يتبع الرجل، كما يقال. يقول أفلاطون: " الحياة تشبه لعبة النرد؛ وعلى المرء أن يلقى مكعبات لعبته، ثم ينطلق في حياته على أساس ما قدم له الحظ في لعبة الحياة " فالشخص الواعي يتصرف مثل النحلة التي تستخرج الرحيق حتى من نبات الزعتر (الصعتر) وهو نبات حاد المذاق.

وهكذا على المرء أن يجد شيئا مفيدا حتى في الظروف المعاكسة، مثل الرجل الذي رمى كلبا بحجر، فأخطأه وأصاب حماته. فقال: لا بأس بذلك، لم أبتعد كثيرا عن الهدف. وهذا زينون من سيتيوم، عندما بلغه أن آخر مركب له غرق، قال: " لا بأس أيها الحظ، لقد علمتني أن أتقبل ما يأتي به القدر راضيا " [1].

ونلاحظ أن معظم الناس ينزعجون لأن أهلهم وأقاربهم أهملوهم؛ أو لأن أصدقاءهم يعانون الحزن والكآبة؛ أو بسبب النزاع بين الجيران؛ أو لسوء تصرف الموظفين وتقصيرهم في أداء واجباتهم ...، وهل عليك أن تعيش في سخط غاضبا بسبب ذلك!؟ أم تظن أنه من

(1) وكان هذا بداية مذهب زينون الفلسفي (حوالي 300 ق.م.) المعروف بـ STOÏCISM ومفاده أن الرجل الحكيم يتقبل حظه، وما كتب عليه بشجاعة. وهي فلسفة أصبحت تعرف "بالرّواقية" نسبة إلى الرواق الذي كان يجتمع فيه أتباع زينون.



السهل أن تجعل معوجهم مستقيما؟ ألا تلاحظ أن الطبيب نفسه يستعمل أحيانا آلات معوجة لنزع ضرس أو إجراء عملية جراحية؟

وماذا يفيدنا أن نقلق ونحزن لمجرد أن الأشخاص الذين نتعامل معهم ليسوا أمناء ولا يحافظون على عهودهم؟ ولنحذر يا عزيزي أن يكون نفورنا من الأشرار عذرا للتركيز على أنفسنا، بدلا من أن يكون سببه بغضنا للسلوك السيئ. علينا أن نتساءل كذلك: لماذا نسمح لبعض المواقف أن تثيرنا؟ لماذا ننزعج من ظروف يقبلها الآخرون؟ ألا ترى أن الشخص المريض قد لا يجد لذة في طعامه؟ ولكن عندما يشاهد الناس يتناولون الطعام نفسه بشهية يعرف أن العيب ليس في الأكل بل في نفسه.

عندما ننزعج من شدة الضوء نلتفت إلى الزهور والحشائش لنلطف من انزعاجنا. لماذا إذا نترك فكرنا يسرح وسط الخيالات والتصورات المقلقة؟ لماذا لا نوجهه نحو الصور اللطيفة والأفكار المريحة. ولماذا، يا عزيزي، نركز على ظروفنا السيئة بدلا من أن ننعم بما بقي لدينا من خيرات؟ وهل نكون مثل بائع الخمر الذي يبيع النوع الجيّد، ولكن يتناول مع غدائه النوع الرديء، ثم يشمئز من مرارته؟

خسر رجل مزرعة كبيرة، فجاءه صديق شرير يواسيه مستهزئاً. فرد عليه الأول: " ما زلت أملك ثلاث مزارع، وأنت لا تملك سوى قطعة أرض. أليس من الصواب في هذه الحالة أن أكون أنا الذي يعزيك ويواسيك!؟ " ولذلك فعندما نشاهد رجلا يُحمل في كرسي على الأكتاف،



ونقول: " إنه رجل محظوظ "، ينبغي أن ننظر كذلك إلى من يحملونه على أكتافهم.

ولعل شدة الطموح من الأسباب التي تعوق شعورنا بالقناعة والاطمئنان. ولكن الإنسان عندما يفشل في بلوغ هدف يصب اللوم على سوء الحظ، بدلا من أن يلوم جهله أو سوء تصرفه. وهل سوء الحظ هو سبب فشلك إذا اصطحبت ثورا لتصيد به أرنبا؟! ثم لماذا يطمح بعض الناس إلى نيل الثروة والعلم، وصحبة الحكام والملوك، وحيازة أفضل الجياد وكلاب الصيد، جميع ذلك في وقت واحد؟

وإذا قلنا إن فلانا أصيب بمرض أو فقد ماله لسوء حظه، فهل يمكن أن نقول عن رجل قوى مرح متفائل إنه أصبح لئيما متشائما بسبب سوء الحظ؟ وهل يستطيع الحظ السيئ أن يسرق منا الهدوء والاطمئنان وراحة البال؟ وعلى هذا فإنه ليست المباني الضخمة، ولا قطع الذهب، ولا الحسب والنسب، ولا المركز والجاه، ولا بلاغة الكلام وفصاحة اللسان، هي التي تجعل سماء حياتنا صافية تشع بالرضا والسعادة والهناء؛ بل إن النفس الطاهرة الخالية من الأفكار المضللة والأعمال الشريرة، النفس الطيبة القانعة هي منبع الحياة الراضية المرضية.

تـومـاس مـور

THOMAS MORE



أصبح من كبار مستشاري الملك هنري الثامن وموظفي المملكة البريطانية ومن أقوى رجال الدين. ولكن ذات يوم من شهر أوت (أغسطس) عام 1535 أرسله الملك إلى المقصلة ليقطع رأسه.

ولد توماس في لندن، عام 1477، وحصل العلم في أحسن مدارس لندن، تعلم اللغة اللاتينية، واهتم بالأدب وعلوم الدين، ثم أرسل إلى جامعة أكسفورد لدراسة القانون. ورغب في أن يجرب حياة التقشف فقضى أربع سنوات في أحد الأديرة. ثم تزوج من فتاة حرص كل الحرص على أن يعلمها الموسيقى واللغة اللاتينية. وتوفيت بعد أن أنجبت له أربعة أطفال. وتزوج توماس بسيدة أرملة اعتنت بتربية أولاده ووفرت له أسباب الراحة.



شغل توماس وظائف متعددة، محاميا في البداية، ثم دخل في خدمة الملك فشغل منصب نائب المشرف على إدارة شؤون مدينة لندن؛ ثم منصب نائب وزير المالية؛ ثم اختير رئيسا لمجلس العموم؛ بعد ذلك عينه الملك لمنصب قاضي القضاة في مقاطعة لانكاستر. وأثناء ذلك كله كان يعتبر أحد كبار مستشاري الملك هنري الثامن.

كان هنري يرغب في إنجاب طفل ذكر يرث العرش، لذلك قرر أن يطلق زوجه كاترين ليتزوج بالسيدة آن بولين. غير أن البابا لم يوافق على ذلك، فهجر الملك زوجته وتزوج بآن ANNE. وأعلن رئيس أساقفة كنتربري أن طلاق الأولى شرعي، وزواج الملك من الثانية صحيح شرعا كذلك. أما البابا فأعلن أن زواج هنري من السيدة بولين باطل.

غضب الملك وقرر أن يمنع تدخل الباب في الشؤون الدينية في بريطانيا، وأعلن نفسه الرئيس الأعلى للكنيسة. وطلب من توماس، كما طلب من غيره، أن يوافق ويوقع على أمور منها:

- أن زواج الملك بكاترين لم يكن صحيحا شرعا.

- أن زواجه من آن بولين شرعي.

- أن الملك هو السلطة العليا للكنيسة في انكلترا.

كان توماس يرى أن الكنيسة الكاثوليكية رمز لوحدة المسيحية وقوتها، وكان يرفض الوقوف ضد البابا أو الخروج عن طاعته لمجرد تلبية رغبات الملك، ولذلك رفض بعد تفكير طويل، مطالب الملك. ثم رفض أن يحضر حفلة تتويج زوجة الملك الجديدة، فاتهم بالتآمر ضد



الملك، وسجن. ثم قاده الحرس إلى المقصلة. وبكاه كثير من الناس، خاصة صديقه الهولندي العالم إرَاسْموس الذي قال عنه: " إنه رجل لكل عصر ". وقد سجلت الكنيسة اسم توماس مور في سجل القديسين سنة 1935.

خلد اسم توماس مور في تاريخ بريطانيا لأسباب عديدة، منها أنه كان صاحب عقيدة قوية ومبادئ ثابتة، إذ فضل المقصلة على أن يوقع على مطالب الملك ويوافق على جميع أعماله؛ وأنه كان رجل دولة لعب دورا مهماً أثناء حكم الملك هنرى الثامن؛ وأنه ظل على ولائه للبابوية في روما. غير أن الذي خلد اسمه ورفع شهرته هو كتابه الذي يحمل عنوان اليوتوبيا UTOPIA .

و UTOPIA كلمة يونانية تعني " لا وجود له ". ويتخيل الكاتب في مؤلفه مجتمعا مثاليا أشبه " بالمدينة الفاضلة "، تسود سكانه العدالة والمساواة، ويعيشون في رخاء وسلام، يشتغلون تارة في الزراعة وطورا في التجارة؛ ولا توجد ملكية خاصة ولا بطالة، ولا يستغلُّ غنيٌّ فقيرا. وفي هذا المجتمع لا يهتم أحد بالذهب والفضة والمجوهرات، لأن معدن الحديد أغلى منها نظرا لاستخداماته العملية العديدة. وقد يستخدم معدنا الذهب والفضة لصنع السلاسل التي يكبل بها العبيد.

العلاقات الجنسية في هذا المجتمع ممنوعة قبل الزواج من أجل تشجيع الشباب على الزواج. ونظرا لأهمية الزواج وحرصا على استمراره، يطلب من الرجل أن يشاهد خطيبته وهي عارية تماما، ويتم ذلك بحضور امرأة من ذوات السمعة والمركز، كما يطلب من المرأة أن



تتعرف على الذي سيكون زوجها، وهو عارٍ تماما كذلك بحضور رجل من ذوي القدر والسمعة الطيبة.

لا يدين سكان هذه " المدينة الخيالية " بدين معين، غير أنهم يعتقدون بوجود خالق واحد، وبيوم الحساب والعقاب. كما أنهم يكرهون الحرب ويعتبرونها عملا مخزيا، باستثناء حالة الدفاع عن النفس. ويرون أن إراقة الدماء أمر شنيع لا تُمارسه إلا الحيوانات الدنيا. أما السكان الذين يرتكبون جرائم كبيرة تهدد أمن المواطنين فيحكم عليهم بأن يصبحوا عبيدا، ويؤدون ما يوكل إليهم من أشغال وهم مقيدون بسلاسل من ذهب وفضة كما سبق.

والخلاصة أن الكاتب ينتقد ما يسود المجتمع البريطاني آنئذ من احتكار للأراضي والسلع، واستغلال الأقوياء للضعفاء، وينتقد بصفة عامة أنانية الإنسان وجشعه ووحشيته. وينوه بالنظام " الشيوعي " الذي يمارسه سكان هذه الجزيرة الخيالية.

مقتطفات من كتاب اليوتوبيا UTOPIA

" .. كل مدينة مقسمة إلى أربعة أقسام. وتوجد سوق في وسط كل حيّ، تحتوي على جميع السلع والبضائع التي يحتاج إليها السكان. ذلك لأن كل أسرة تجلب إلى السوق جميع ما تنتجه ليوضع في مخازن خاصة، ومنها يأخذ ربّ كل أسرة ما يحتاج إليه أهله بدون مقابل. وليس هناك ما نسميه بيعا أو شراء أو عملة. ولا يمنع أي شخص من تناول ما يرغب فيه لأن السلع موجودة بوفرة. ولا يخشى أن يأخذ أحد



أكثر مما يحتاج إليه؛ لأن جميع السكان واثقون من توافر الخيرات في جميع الأوقات.

توجد في كل شارع مبانٍ كبيرة، ويسكن في كل مبنى ثلاثون أسرة، خمس عشرة عائلة في كل جهة. ويأتي أشخاص مسؤولون، في أوقات محددة إلى الأسواق ليأخذوا الكميات المناسبة من السلع وفقا لعدد العائلات. وفي الأوقات المحددة ينفخ في الأبواق فيتجمع السكان في قاعات المباني لتناول وجبات الغداء أو العشاء. ولا يمنع أي شخص من تناول الطعام في منزله، ولكن نادرا ما يلجأ السكان إلى ذلك، لأنه يعتبر سلوكا غير لائق. كما أنه من الغباوة أن يتعب المرء نفسه في إعداد طعام في بيته وهو يعلم أن طعاما شهيا ينتظره في قاعات الأكل.

وتجلس الحاضنات في أماكن خاصة بهن مع الأطفال، وإلى جانبهن الماء والنار والأفرشة، ليكنّ على استعداد لرعاية الصغار ... وكل أم تعتني بطفلها باستثناء حالات المرض أو الموت، عندئذ تنهض نساء أخريات بواجبات الرضاعة والحضانة وتربية الأطفال. بل إن هذا النوع من العمل سلوك مرغوب فيه لأن الحاضنة تصبح هي الأم الحقيقية ".



ميشيل دى مونتاني

Michel de montaigne



ولد مونتاني عام 1533، في قصر مونتاني الواقع على تل قرب مدينة بوردو. كان أبوه بيير إيكيم ينتمي إلى أسرة تعمل في التجارة، ثم أصبح عمدة المدينة. وكان يعتنق المذهب الكاثوليكي. وتنتمي أمه، من جهة أبيها، إلى أسرة يهودية من أسبانيا، اعتنقت المسيحية، وكانت تميل إلى المذهب البروتستانتى. عهد به أبوه إلى طبيب ألماني ليعلمه اللغة اللاتينية فقط في السنوات الأولى من عمره. وفي سن السادسة أرسله إلى مدرسة GUIENNE في بوردو، حيث قضى سبع سنوات، ثم إلى كلية في تولوز لدراسة القانون.

وفي 1554 عين مستشارا في محكمة الإعانات في مدينة بيريغو؛ ثم عين عضوا في برلمان بوردو. وهنا تعرف على La Boétie، وهو أديب وقاض، فنشأت بينهما صداقة عميقة ظل مونتانى يعتز بها، ودامت

حتى وفاة الصديق عام 1563، وبقى مونتاني وفيا لذكراه طوال حياته. وتزوج سنة 1565، بسيدة تدعى فرانسواز de la chassaigne، أنجبت له ست بنات توفين في سن مبكرة، باستثناء ليونورا. وعندما توفي أبوه ورث مونتانى قصر العائلة، عام 1568.

وكان أول ما نشر له عام 1569 ترجمة لكتاب théologie naturelle للمؤلف الأسباني ريمون سيبوند، ترجمه مونتاني من اللاتينية إلى الفرنسية. وفي العام التالي تخلى عن مهامه في برلمان بوردو، وبعد ذلك بقليل اعتزل المدينة إلى ضيعته (القصر) كما تخلى عن اسم "إيكيم". وفي سنة 1571 شرع في تأليف كتابه الشهير " المقالات " ESSAIS. وظل أثناء ذلك على اتصال بالبلاط الملكي. وفي عام 1575 أنشأ مونتاني وساما (ميدالية) كتب عليه " أعلّق حكمي "، ورسم على الوجه الآخر ميزانا متوازي الكفتين. وفي 1578 ظهرت عليه أول أعراض مرض " حصى المثانة " الذي عانى منه بقية حياته.

بدأت له حياة الضيعة رتيبة، فقرر أن يقوم برحلة طويلة، زار خلالها سويسرا، النمسا، ألمانيا، وإيطاليا، ودامت رحلته نحو 15 شهرا. وكان أثناءها يستفيد من منابع المياه المعدنية للعلاج. وفي روما قدم نسخة من كتابه " المقالات " إلى رجال الدين للرقابة، فاقترحوا عليه بعض التغييرات. وزار البابا، ومنح لقب " مواطن روماني ". وعلم أثناء رحلته أنه انتخب عمدة مدينة بوردو، ولم يكن متحمسا للوظيفة العامة، ولكن الملك ألحّ عليه فقبل المهمة.

وفي عام 1583 أعيد انتخابه عمدة للمدينة (مدتها سنتان). وقام



بدور الوسيط في مفاوضات بين هنري الثالث، ملك فرنسا، وهنري نافار الذي سيصبح ملك فرنسا، والذي زار مونتاني في قصره مرتين، في 1584 و 1587. وأصاب منطقة بوردو وباء (1585) فاضطر الكاتب إلى الرحيل عن ضيعته خلال بضعة شهور.

وفي عام 1588 سافر إلى باريس لإعداد الطبعة الجديدة من "مقالاته" وكانت تحدث في المدينة اضطرابات بسبب الصراع بين الملك وهنرى دى نافار، فقبض على مونتاني من بين آخرين، وأودع في الباستيل، ولكن سرعان ما تدخلت الملكة الأم، فأطلق سراحه بعد يوم واحد. وفي هذه الفترة التقى بالآنسة ماري غورني التي كانت شديدة الإعجاب بكتابه، تتوق إلى لقائه. وكانت من أوسع السيدات ثقافة، فأعجب بها، ومنحها لقب " ابنتي بالتبني "، وتردد على منزلها عدة مرات. وبعد وفاته (وبموافقة زوجته) تولت طبع " مقالاته " بمساعدة رجل يدعى بيير دى لابراش.

وفي الأيام الأخيرة من حياته أصيب بشلل في اللسان، ولكنه ظل محتفظا بجميع قواه العقلية. وفي 13 سبتمبر 1592، طلب من زوجته (كتابة) أن تدعو الأقارب والجيران ليودعهم، وأسلم روحه. ودفن بعد ذلك في كنيسة في بوردو.

وفيما يلي مقتطفات من كتابه " المقالات ".

*** مصائب قوم:**

كان تاجر يبيع الأشياء التي تستعمل في إعداد الموتى للدفن، فحكم عليه DEMADES الأثيني بأنه لا يحقق أرباحه إلا على حساب ارتفاع



عدد الموتى. وهذا حكم غير سليم لأنه لا يمكن أن يتحقق أيّ نوع من أنواع الربح إلا على حساب أشخاص آخرين، ولهذا لا يجوز أن يشجب أيٌّ نوع من الربح في أيّ تجارة. فتاجر الخمور يحقق أرباحه إذا أدمن الشباب على تعاطيها؛ والمزارع إذا ارتفعت أسعار الحبوب؛ والبناء إذا خربت المنازل؛ والمحامي إذا كثرت الخصومات والمشاكل؛ وحتى أرباح رجال الدين تزداد بتزايد فسوق الناس وموتهم.

إن الأطباء لا يبتهجون إذا اختفت الأمراض وسلم جميع الناس؛ والجنود تزداد مكاسبهم بانتشار الحروب. ولو استبطن كل إنسان مشاعره وسبر خفايا نواياه، لوجد أن رغباته وطموحاته إنما تتحقق على حساب الآخرين. والأطباء أنفسهم يؤكدون أن نشوء أيّ مخلوق وغذاءه ونموه يكون على حساب فناء أشياء أخرى. تلك سنة الطبيعة.

*** عدم المساواة :**

يبدأ مونتاني مقاله هذا بالإشارة إلى قول بلوتارخ: إن الفرق الموجود بين إنسان وآخر أكبر من الفرق بين حيوان وآخر. ويضيف مونتاني بأنه توجد فروق بين رجل وآخر (يعني المميزات والصفات النفسية) أكبر مما يوجد بين رجل وحيوان.

ثم يقول ما مفاده :

إننا نمدح فرسا لقوة عضلاته وثبات خطوه، لا إعجابا بسرجه المزخرف؛ ونعجب بالسلوقي لسرعته لا لجمال قلادته .... فلماذا لا نقيّم الإنسان على أساس خصائصه؟ قد يملك المرء قصرا جميلا،



وثروة كبيرة، ونسبا وحسبا ... ولكن هذه الأشياء موجودة خارجه وليس جزءا من شخصيته. إنك لا تشترى خنزيرا في كيس؛ ولا تشتري فرسا مغطى بلباس مزخرف دون أن تنظر إلى ساقيه وحافريه وعينيه. فلماذا تمدح إنسانا مغلفا في أقمشة مزركشة من رأسه إلى قدميه؟ وهل قيمة السيف في غمده؟ تمعّن جيدا في جسم الإنسان، وهل يحمل فكرا سليما؟ هل نفسه غنية بأعمال من صنعها أم بأشياء مستعارة؟ هل هي نفس زكية شجاعة راضية مطمئنة؟

مدح جماعة الإسكندر المقدوني بأنه ابن الإله جوبيتر؛ وعندما جرح وسال دمه، ذات يوم، قال لهم: ماذا تقولون الآن؟ أليس لون دمي قرمزي مثل دم أي بشر؟ ومدح شاعرٌ أنتغونوس، ملك اليونان، فوصفه بأنه ابن الشمس. فقال لرفاقه: من يفرغ وعاء فضلاتى يعرف أن هذا غير صحيح. لقد صدق أفلاطون عندما قال: إذا اعتل البدن واختل العقل لم يعد لوسائل الرفاه الخارجية شأن كبير، إذ يكفي وخز إبرة أو انفعال عاطفي ليحرم المرء من الشعور بأنه مَلِك.

وكثيرا ما تشمئز النفس من الوفرة؛ وأيّ ملك لا تتبلبل شهيته عندما يجد تحت تصرفه 300 فتاة، أو يخرج للصيد برفقة مئات من مدربي البزاة على الصيد. ولا شك أن ملكا يجلس إلى مائدة العشاء وحوله عشرات الخدم ينظرون إليه، مشهد يستحق الشفقة وليس الحسد. ويروى عن الملك ألفونسو أنه قال: إن الحمير أحسن حالا من الملوك في بعض الظروف. فبوسع الحمار أن يتناول طعامه في هدوء وراحة بال، وهو شيء لا يسمح به الخدم للملوك. وصفق رجال الحاشية ذات يوم



للإمبراطور جوليان لحكم أصدره، فقال: أفتخر بهذا التصفيق لو صدر عن أشخاص يمكنهم أن يشجبوا عملي لو فعلت عكس ذلك.

وعندما استعد الملك بيروس (PYRRHUS) لقيادة حملته ضد إيطاليا، سأله مستشاره:

- ما الهدف يا سيدي من كل هذه الاستعدادات؟
- لأصبح سيد إيطاليا بأكملها.
- وماذا بعد ذلك؟
- أغزو بلاد الغال وأسبانيا.
- ثم ماذا بعد أن تحقق ذلك؟
- أغزو إفريقيا .. ثم عندما أُخضع العالم لسلطتي أستريح طلبا للهناء والإطمئنان.
- وماذا يمنعك من أن تستريح في هناء واطمئنان منذ الآن؟

*** وجهات نظر:**

يقول مونتاني من مقال عنوانه ديموقريطس وهيراقليطس:

... للأشياء بحكم الصدف وزنها ومقاييسها وظروفها. ولكن عندما يتبنى المرء هذه الأشياء، يضفي فكره عليها ألوانا وأوزانا من عنده ويكيفها حسبما يشاء. فالموت مثلا حادث مروع بالنسبة لشيشرون، وهو شيء مرغوب فيه عند كاتو، بينما لا يعيره سقراط اهتماما خاصا. وكذلك نجد أن الصحة، الضمير، السلطة، العلم،



الثروة، الجمال، وأضدادها، جميعها تتجرد من لباسها عندما تدخل نفوسنا، وترتدي لباسا جديدا من صنع تفكيرنا، يكون لونه أسمر، لامعا، غامقا، أخضر ...

وعلى هذا ينبغي ألا نبحث لأنفسنا عن مبررات فيما يتعلق بالخصائص الخارجية للأشياء، لأن ما هو خير أو شر يتوقف فقط على رؤيتنا لها وتقديرنا لتأثيرها. ثم يقدم لنا مونتاني أمثلة عن اختلاف وجهات نظر عدد من الأشخاص إلى الناس والحياة فيقول:

نظر الفيلسوف ديموقريطس إلى العالم بوجه بشوش، ووقف منه موقفا ملؤه السخرية، ذلك لأنه كان يرى أن ظروف الإنسان تافهة وحالته سخيفة. أما الفيلسوف هيراقليطس فكان يرثى لظروف الإنسان، ويتألم لحياته، ولذلك نظر إلى العالم بوجه يشوبه الحزن والحسرة.

ويضيف مونتاني: أما أنا فأفضل السلوك الأول، ليس فقط لأنه من الأفضل للمرء أن يبتسم من أن يبكي ويتحسر، بل لأنه سلوك يعبر عن الاستخفاف والشذب. أما الحزن على الشيء والإشفاق عليه فيعني أننا نوليه أهمية ونأسف على ظروفه؛ بينما عندما نضحك من موقف ونسخر من حادث فإننا لا نعطيه أهمية كبيرة.

ويذكر الكاتب حكاية الفيلسوف اليوناني المتقشف ديوجينس Diogenes الذي اختار أن يعيش في جرة كبيرة، وعندما قال له الاسكندر المقدوني اطلب ما تريد، لم يطلب منه شيئا. وكان يرى أن الناس ليسوا في شيء أهم من الذباب؛ وهو لا يكرههم، ولكنه لا

يعيرهم أهمية خاصة، فهم لا يؤثرون على حياته ولا يغرونه بأسلوب حياتهم. واكتفى هذا الفيلسوف بمشاهدة الناس وهم يتجمعون مثل القطعان، ويسعون إلى الشر أكثر من سعيهم إلى الخير.

ويقول مونتاني إن موقف STATILIUS من الناس كان مشابها لموقف Diogenes فعندما طلب منه بروتوس أن يشارك في المؤامرة ضد يوليوس قيصر، اكتفى STATILIUS بالجواب بأن العملية عادلة في حد ذاتها، ولكن البشر غير جديرين باهتمام الرجل الحكيم الذي ينبغي ألا يعمل شيئا إلا لنفسه، لأنه الوحيد الذي يستحق ذلك. ويرى THEODOTUS أنه ليس من الحكمة أن يعرض الرجل الحكيم نفسه للخطر من أجل بلاده، لأنه عندئذ يخاطر بالحكمة من أجل جماعة من السفهاء.



دانيال ديفو

DANIEL DEFOE

ولد ديفو في مدينة لندن عام 1660، واشتغل في بداية الأمر نجارا مع أبيه؛ ثم اشتغل في تجارة الملابس والتبغ والخمور، كما أنشأ تجارة في الآجر والقرميد. وعمل جاسوسا لحزب أل WHIGS تارة، ولحزب الـ TORIES حينا، وكان أحيانا يستغلُّ الحزبين فى آن واحد فيبيع الأسرار السياسية لكل منهما. كما عمل جاسوسا ومستشارا للملك وليام الثالث. وانتقد الكنيسة (وحزب الـ TORIES) عام 1702، فربط في خشبة المشهرة (PILLORY)[1]، ثم أجبر على دفعه غرامة، وزج به في السجن. وقد أفلست تجارته أكثر من مرة، غير أنه كان يوفي بديونه. وقد كتب عن نفسه يقول: لم يذق أحد مرارة تقلبات الحظ مثلي، فقد نلت الغنى وعانيت الفقر ثلاث عشرة مرة.

---

(1) آلة خشبية يربط إليها الشخص في ساحة عامة للتشهير به.

يعتبر ديفو أبا الصحافة الحديثة ورائدا في مجال القصة. اكتشف موهبته في ميدان القصة وعمره 59 عاما، عندما أصدر الجزء الأول من كتابه " روبنسون كروزو "، وأضاف إليه الجزء الثاني بعد سنة. وألف عدة قصص، كما ينسب إليه نحو 500 عنوان في موضوعات مختلفة. وقد حققت قصته روبنسون كروزو نجاحا كبيرا وشهرة عالمية. ويعود هذا النجاح إلى عوامل منها:

- أنها قصة مغامرات رجل واجه ظروفا عسيرة فكافح من أجل البقاء.
- تمثل ارتباط الإنسان بالأرض والبيئة عامة، وكون الزراعة هي مصدر المعيشة الأول.
- تمثل كفاح الإنسان البدائي: التقاط الثمار؛ زراعة الحبوب؛ الصيد .. إلخ.
- كتبت القصة بأسلوب شعبي واضح، خال من الزخرفة والتعقيد. كما تحتوي وصفا لأحداث يومية واقعية.

وقد استوحى ديفو قصته (جزئيا فقط) من حكاية رجل عاش في الواقع على جزيرة قرب سواحل شيلى. وفيما يلي فكرة موجزة عن بعض حوادث قصة روبنسون كروزو.

روبنسون كروزو

ربنسون كروزو شاب إنكليزي يحب ركوب البحر، ولم يثنه عن ذلك ما واجه من مغامرات خطيرة. وبينما كان ذات مرة على ظهر



سفينة متجهة نحو إفريقيا لشراء " العبيد "، واجهت السفينة عاصفة عاتية وتحطمت غير بعيد من شواطئ أمريكا الجنوبية، بالقرب من جزيرة خالية من السكان. لم ينج من الركاب غير كروزو الذي عزم على أن يبدأ حياة جديدة، وعرف أن العمل هو العامل الوحيد الذي يضمن له البقاء وينجيه من الملل ويفتح له باب الأمل.

سبح إلى الباخرة التي بقي جزء منها فوق سطح البحر، وثبت بعض الألواح بعضها إلى بعض لينقل عليها ما وجد في الباخرة من مؤن وملابس وأدوات وبنادق وذخيرة. وبني كروزو في البداية خيمة ثم بنى كوخا؛ وكان يؤنسه في وحدته كلب وقط كانا على ظهر الباخرة، واصطاد بعد ذلك ببغاء وعلمه الكلام. وكان يعتمد في غذائه على ما يجمع من ثمار وما يصطاد من البر والبحر، وبمرور الزمن استطاع أن يزرع الحنطة والشعير، كما ربّى عنزة، وصنع من الطين أطباقا، وصنع قاربا صغيرا من جذع شجرة.

وشاهد كروزو ذات يوم جماعة من الهنود، قرب الشاطئ، يطاردون أسيرا، فأطلق عليهم رصاص بندقيته ففروا في قاربهم بعيدا عن الجزيرة. وسمى كروزو هذا الرجل " جمعة " (لأنه لقيه يوم الجمعة)، وأصبح له من يؤنسه ويخدمه. وكان كروزو لا ينفك يراقب البحر عله يشاهد باخرة بالقرب من جزيرته، وكان قد قضى فيها 24 عاما، عندما شاهد ذات يوم باخرة متجهة نحوه، فحكى لهم قصته، ووافق القبطان على إعادة جمعة إلى جزيرته؛ ورجع كروزو إلى وطنه حيث تزوج، وقرر ألا يعود إلى البحر مرة أخرى.

ألكسندر بوب

ALEXANDER POPE



ولد بوب عام 1688 في مدينة لندن، وكان أبوه كاثوليكي المذهب فمكنه ذلك من الحصول على مساعدة بعض الأسر الكاثوليكية؛ ولكنه من جهة أخرى لقي صعوبات في مجال التعليم العالي، وفي الحصول على وظائف عالية بسبب انتمائه إلى المذهب المذكور. وأصيب بوب بمرض عضال في صغره فتركه عليل الصحة، ضعيف البنية، قصير القامة، شديد الحساسية، أحدب الظهر. ولكن بوب لم يستسلم لمشاكله البدنية، فعزم على أن يعوض إعاقته الجسدية بالعمل الجاد في الميدان الفكري. فبعد أن تلقى قدرا من التعليم، وجه طاقته للقراءة، وعكف على المطالعة، وتعلم بجهوده الخاصة اللغات اللاتينية واليونانية والإيطالية والفرنسية.

نشر بوب مقالا شعريا عن النقد الأدبي وعمره 23 سنة، تحدث فيه عن مفاهيم فن الكلاسيكية المحدثة، وقواعد النقد الأدبي ومزاياه وعيوبه ومعاييره. وكتب الشاعر قصيدة مطولة تحت عنوان: " مقال عن الإنسان " جمع فيه كثيراً من الأفكار الفلسفية السائدة، كما حاول فيه أن يحدد عددا من المفاهيم التي تتعلق بحياة الإنسان، والكون، والمخلوقات، والمجتمع، والأخلاق. وقد فعل ذلك بأسلوب شعري موسيقى خفيف، ونال به شهرة كبيرة. ومن أشهر مؤلفاته قصة هزلية عنوانها The Rope of the Lock تدور حوادثها حول سرقة خصلة شعر من فتاة. وقد ترك بوب عبارات ومقولات وحكم جرت مجرى الأمثال ونالت شهرة واسعة في اللغة الانكليزية. توفي هذا الشاعر العليل "الضعيف " القوي سنة 1744، وأصبح يعتبر شاعر القرن الثامن عشر في انكلترا.

خصلة الشعـر

تستند حكاية " خصلة الشعر " الهزلية إلى حادثة واقعية. فقد نشب شجار بين أسرتين من معارف الشاعر بوب، لأسباب تافهة، فطلب منه صديق له أن يؤلف شيئا عن هذا الحادث بهدف التخفيف من النزاع، والسعي إلى مصالحة الأسرتين. وخلاصة الحكاية التي ألفها الشاعر كالآتي:

" رأت الحسناء بليندا في المنام شبحا (جنيا) يحذرها من أن مكروها سيصيبها في ذلك اليوم. وفي الصباح تجملت وارتدت أبهى ملابسها، وخرجت في رحلة في نهر التايمز. بعد ذلك اتجهت مع رفاقها



والمعجبين إلى أحد القصور للتسلية ولعب الورق. وأثناء ذلك كان أحد المعجبين قد عقد العزم على سرقة خصلة من شعرها الجميل. وجاءت الفرصة عندما انحنت الحسناء لتتناول فنجانا من القهوة، فأخذ مقصا وقص خصلة من شعرها العطر.

غضت الحسناء، وثار شجار بين فريق الفتاة وفريق الشاب. ورمت على وجهه كمية من السعُوط، فعطس عطسا شديدا. ولم يعثر أحد على خصلة شعر الفتاة. وساد الاعتقاد بأن خصلة الشعر صعدت إلى السماء تحت تأثير عطس الفتى الشديد. وساعد هذا على التخفيف من حزن الفتاة، إذ بدا لها أن خصلة شعرها خالدة في السماء، وأنها تحولت إلى نجم يتمتع بمشاهدته المحبون ".

وتبدو براعة الشاعر في تصويره لهذا الحادث التافه وتضخيمه لنتائجه عندما شبه الشجار بين الأسرتين بالحروب الطاحنة التي جرت بين اليونانيين وأهل طرواده. وكان يهدف من وراء ذلك إلى إضفاء صبغة هزلية على الشجار بين الأسرتين، علهم يرجعون عن تطرفهم ويتخلون عن العداوة التي سببها حادث تافه. وكان الشاعر يرمي من وراء ذلك إلى السخرية من سلوك الأسر الارستقراطية التي تهتم بالمظاهر، وتنخدع بالأمور السطحية والمعايير الأخلاقية الزائفة.



ومن أقواله:

- الكلمات مثل الأوراق، إذا زادت عن الحاجة اختنق المعنى.
- الخطأ من الإنسان، والعفو من الرحمان.
- الجمال يبهر العين، والفضيلة تملك الروح.
- اضحك من أيّ شيء، ما عدا العدو والمجنون.
- من بنى كنيسة لوجه الله لا يكتب اسمه على بابها.
- لقد أصبح الشيطان حكيما: كان يبتلي الناس بالفقر، فأصبح الآن يبتليهم بالغنى.
- يهرع المجانين إلى المكان الذي تخشاه الملائكة.
- أنا كلب جلالته، قل لي من فضلك: أنت كلب من؟
- الرذيلة غول له وجه مخيف، إذا شاهده المرء مرة واحدة هرب منه؛ ولكن إذا شاهده مرارا وتكرارا استأنس به، واستلطفه.
- الحزب حماسة الجميع لمصلحة الأقلية.
- أصحاب التفكير المحدود مثل الزجاجة ضيقة العنق، يزداد ضجيجها عندما يقلُّ محتواها.
- الإنسان نصفان: نصفه للرقي ونصفه للسقوط؛ فهو سيد المخلوقات، وفريستها؛ مجد العالم وسخرية القدر.



د/ جونسون

DR. S. Johnson



ولد جونسون في مدينة LIECHFIELD سنة 1709. تعلم في إحدى المدارس، ثم عمل على مساعدة أبيه في بيع الكتب، فأتيحت له الفرصة للقراءة وتوسيع معارفه. انتسب إلى جامعة أكسفورد، غير أنه تركها بعد نحو سنة بسبب ضيق الحال وتراكم الديون. وفي عام 1737 انتقل إلى لندن حيث بدأ ينشر مقالات وقصائد في فترات متقطعة، وهنا عانى من الفقر والمرض ومرارة الحرمان مدة طويلة. وقد قال في فترة من حياته: " قيمة الإنسان تنمو ببطء شديد، إذا كبّلها الفقر ". وقال في مناسبة أخرى: " من المصائب التي تسطو على حياة الأديب الكدح، الحسد، الفقر، قسوة المنعم، والسجن ".



قبل أن يأتي إلى لندن، تزوج جونسون بسيدة أرملة تكبره بنحو عشرين عاما. وكان لديها بعض المال فأسسا مدرسة، غير أن مشروعهما لم يكتب له النجاح.

تناول جونسون مجالات وفنونا عديدة، فكتب في الصحافة، وألف في الشعر والنقد والقصص والمسرحيات. وأشهر أعماله قاموسه المشهور الذي قضى ثماني سنوات في إعداده. وبعد هذا الإنجاز أصبح من الأدباء عندما منحته الحكومة مرتبا شهريا.

وكان من حسن حظه أن التقى عام 1763 بأديب يدعى ROOSWELL الذي لازمه وألف كتابا خلال حياة الدكتور جونسون. كما تعرف في العام التالي على الرسام REYNOLD، فاتفقا على إنشاء النادي الأدبي الذي جمع نخبة من الأدباء والمفكرين، وكان الدكتور جونسون رائدهم في مجال المناقشات الأدبية. وفي عام 1775 حصل على دكتوراه شرفية من جامعة أكسفورد، بعد أن حرمه الفقر في شبابه من إتمام دراسته فيها. وفي سنة 1781 انتهى من تأليف كتابه: " حياة الشعراء الإنكليز ".

لقد كان هذا الأديب الكبير يتمتع بشخصية قوية ساحرة، واسع الاطلاع، بليغ اللسان، قوي الحجة، قويّ العزيمة، شديد الثقة بالنفس، اعتمد على نفسه في كل ما أنجز، على الرغم مما عانى من ظروف الفقر والمرض. وكان رغم كل ذلك مرح النفس كريما، جعل منزله ملجأ للعديد من المعوزين خلال سنوات عديدة. كما كان يدافع عن

الفقراء والأجانب ويناهض الحروب. توفي الدكتور جونسون سنة 1784، ودفن في لندن.

ومن أقواله:

- الفقر يعرقل ازدهار الفضيلة.
- الكلمات بنات الأرض، أما الأشياء فبنات السماء.
- وجودك في سفينة مثل وجودك في السجن، غير أن الأولى تعرضك للغرق.
- المكتبات العامة أفضل مكان يثبت لنا كم عبثت الآمال بالناس.
- الحضارة الحقيقية أن يكون لدى الفقير غذاء كاف.
- أفضل أن أعيش غنيا من أن أموت غنيا.
- من يسرق ثيرانا سمينة ينبغي أن يكون سمينا.
- أحب وسائل التسلية العامة لأنها تشغل الناس عن الرذيلة.
- قيل له عن رجل تزوج بعد وفاة زوجته، فأجاب: لقد فضل الأمل على التجربة.
- كل ساعة تمر من حياتنا ... تأخذ منا جزءا من قدرتنا على التمتع بالحياة.
- إذا الححْتَ في مواساة صاحب الحزن الجديد فقد أزعجته.
- أغلق الموت عينين طالما حدقتا في وجه الأناقة.



من كتاب " حياة صمويل جونسون " للأديب جيمز بوزويل

" وجرى الحديث حول الخمر فقال:

جونسون : لم أهجر الخمر بسبب عجزى عن تحملها، فقد حدث أن شربت ثلاث زجاجات دون أن يكون لذلك تأثير عليّ.

بـوزويل : فلماذا هجرت الخمر إذا؟

جونسون : لأنني أعتقد أنه من الأفضل للمرء أن يظل مسيطرا على قواه العقلية. وسوف لا أعود إلى تعاطى الخمر حتى تتقدم بي السن، وأشعر بالحاجة إليها.

بـوزويل : أذكر أنك قلت ذات يوم إن عدم شرب الخمر يقلل من متع الحياة.

جونسون : لاشك في أن الانقطاع عن تعاطي الخمر يقلل من ملذات الحياة، ولكنه لا يقلل من سعادة الإنسان، بل يشعر المرء بسعادة أكبر عندما يحتفظ بكامل قواه العقلية.

بـوزويل : ولكن إذا استطاع المرء أن ينعم بملذات الحياة على الدوام، ألا يكون سعيدا؟ إن معظم الناس يتفقون مع هذا الرأي.

جونسون : لنفرض أن معظم الناس بوسعهم أن يتمتعوا بالملذات على الدوام، فإن الرجل المفكر لا يرضى بذلك. ويوافق معظم



الناس على ما ذكرت، لأن معظمهم يجدون متعة أكبر في الملذات الحسية.

بـوزويل : أعترف أن في الحياة ملذات تفوق لذة الخمر. فأنا أجد متعة في الحديث معك أكبر من ذلك بكثير.

جونسون : عندما نتحدث عن الملذات نعني الملذات الحسية. فعندما يقول رجل إنه تمتع بامرأة، لا يعني الحديث معها فقط، بل شيئا غير ذلك. ويذكر لنا الفلاسفة بأن اللذة مناقضة للسعادة ".



دنيس ديدور

DENIS DIDEROT

دنيس ديدور أديب وفيلسوف فرنسي، وُصف بأنه كان « موسوعة متنقّلة » لقد كان متعطشا للمعرفة، فأخذ من جميع العلوم والفنون بنصيب. وكان غزير الإنتاج تنسكب أفكاره من كل حدب وصوب لتعالج جميع الموضوعات. وقد ارتبط اسمه بإدارة إنتاج أول موسوعة فرنسية. وزاد في قوة هذا الفيلسوف خيال خصب وإرادة زانها الحماس والمثابرة. ولكن دنيس كان كذلك إنسانا رقيق الشعور، ذا عاطفة جياشة، صريحا في تصرفاته، شجاعا في مواقفه، كريما في معاملاته، ممتعا في حديثه، يقدر الصداقة، ويكرم الأصدقاء. ولم تخل حياته من أخطاء وآلام، ومبالغات وتقلبات في الرأي أحيانا. بل لم تخل من ثورة على تعاليم الكنيسة وتمرد على الحياة نفسها. وعانى مرارة الفقر أحيانا، وسعد بملذات الحياة أحيانا أخرى.



ولد ديدرو سنة 1713 في مدينة لانغر، شمبانيا، فرنسا. كان أبوه يتعاطى صناعة أدوات القطع والجراحة. تعلم ديدرو في المدرسة اليسوعية، وأظهر ميلا لتعاليم الجمعية اليسوعية، فسرّ ذلك أباه، وأرسله إلى كلية لويس الأكبر (اليسوعية) في باريس لمواصلة تعليمه. وحصل على شهادة الأستاذية من كلية باريس.

ولا نعرف بدقة ظروف حياته ونشاطاته خلال الفترة 1733 - 1740 .. ولكن يبدو أنه تخلى عن ارتباطه بالجمعية الدينية المذكورة؛ وتدرب فترة في مكتب أحد المحامين؛ واشتغل لدى بائع كتب؛ ولدى محصّل ضرائب؛ وكان يساعد بعض رجال الكنيسة على تحرير المواعظ؛ ويعطي دروسا خصوصية في الرياضيات. كما كان يتابع دروسا في اللغات الإنجليزية واليونانية واللاتينية والإيطالية، وفي الرياضيات كذلك. وبصورة عامة، كانت حياته في هذه الفترة حياة تقشف وحرمان، خاصة بعد أن قطع عنه أبوه المساعدة.

وفي سنة 1741 تعرف على فتاة تكبره بنحو أربع سنوات، تدعى شامبيون، تعمل مع أمها في تجارة الملابس الداخلية. ولقي صعوبات في سبيل الزواج منها، لأنه لم يكن يملك حتى ما يكفيه لضروريات المعيشة. وطلب المساعدة من أبيه، فرفض، ولقي معارضة شديدة من أمها في بداية الأمر، وفي النهاية تزوجها سرّا، واستقرا في باريس، وظلت هذه الزوجة وفيّة له على الرغم من اختلاف المستوى الفكري، ومما كان له من علاقات غرامية. وقد أنجبت له أربعة أطفال ... توفي ثلاثة منهم في سن مبكرة وعاشت أنجليكا عمرا طويلا، فحظيت من



أبيها بكل الحب والرعاية. وكان للكاتب أخت دخلت الدير، وأخ أصبح قسا، وحصل بينهما خلاف استمر طويلا.

كان ديدرو متشوقا للمعرفة، فقرأ من مؤلفات أبيقور، ديمقريطس، لوكريتس، بيكون، مونتاني، وغيرهم. واجتهد في الاطلاع على علوم الطب والتشريح والكيمياء والبيولوجيا، والفيزياء وغيرها، مما أهّله للمساهمة ببحوث هامة في الموسوعة التي كلف عام 1747، بمساعدة العالم d'ALEMBERT، بإعدادها وإدارة إنتاجها.

وكان قد كلف في العام السابق بترجمة موسوعة تشامبرز CHAMBERS من الإنكليزية إلى الفرنسية. وألف كتابه: " أفكار فلسفية " الذي صادره البرلمان لما تضمنه من انتقادات للعقيدة المسيحية. وفي سنة 1749 أصدر كتابا عنوانه " رسالة عن العميان " أورد فيه أفكارا منافية للدين، فاتهم بالهرطقة وسجن فترة قصيرة.

واصل ديدرو نشاطه الأدبي وتركيزه على إدارة العمليات المتعلقة بإعداد الموسوعة، وتعرف على شخصيات عديدة منهم روسو، والكاتب الألماني غريم GRIMM ودولباخ d'HOLBACH، والسيدة d'EPINAY. وظل بعض رجال الدين يقتفون آثاره ويتتبعون ما يصدر عن قلمه. وفي عام 1752 حجزت الشرطة في منزله مخطوطا لكتابه المعنون " جولة المتشكك "، بسبب ما ورد فيه من هجوم على تعاليم المسيحية.

في سنة 1756 تعرف على سيدة تدعى صوفي فولاند، وتكونت بينهما علاقة اتسمت بالصدق والانسجام والتعاطف، ودامت حتى وفاتهما. ومن أجلها كتب رسائله المشهورة تحت عنوان " رسائل إلى

صوفي فولاند ". ومن جهة أخرى بدأ خلاف بينه وبين الفيلسوف روسو، وتدهورت العلاقات فانتهت بالمقاطعة في عام 1758، بعد صداقة دامت نحو ست عشرة سنة.

وتجدر الإشارة إلى مشروع " الموسوعة " الضخم الذي شاركت في تحرير موضوعاته المتنوعة نخبة من رجال العلم والأدب، وتولى ديدرو ودالمبير (حتى عام 1758 فقط بالنسبة لهذا الأخير) إدارته والإشراف عليه. وقد صدر من الموسوعة 28 مجلدا بين عامي 1751 و 1766، وانتشر بيعها في بلدان أوروبية عديدة.

ومرّ ديدرو بظروف مادية اضطرته إلى بيع مكتبته الخاصة، وحصل على رخصة ملكية تسمح له ببيعها إلى كاترين الثانية، إمبراطورة روسيا، مقابل 1500 جنيه ومنحة سنوية. ورغب الفيلسوف في زيارة الإمبراطورة، فسافر عام 1773 إلى مدينة سان بتسبورغ، ولقي ترحيبا حارا، ومكث هناك خمسة شهور، ثم عاد إلى باريس. وبعد أن تعرف على أساليب سياسة الإمبراطورة التعسفية، غيّر رأيه فيها، وشعر بخيبة الأمل. وعلى هذه التجربة ألف كتابا عن حكم الإمبراطورين الرومانيين كلوديوس ونيرون.

وبدأ ديدرو يشعر بعبء السنين، وقد أتعبه مرض في جهاز الهضم أصابه منذ الخمسينيات. وراحت حلقة الرفاق والأصدقاء تتقلص، فمات فولتير وروسو عام 1778؛ وتوفيت السيدة d'Epinay و d'Alembert في 1783. وأصيب ديدرو بسكتة دماغية سنة 1784 لم يشف منها شفاء كاملا. وفي شهر فيفري (فبراير) من السنة نفسها توفيت صديقته



صوفي فولاند؛ وفي جوليا (يوليو) من السنة المذكورة توفي دنيس ديدرو، تاركا للثقافة ثروة من المؤلفات في مختلف العلوم والفنون.

ولا تتسع هذه الصفحات لذكر جميع مؤلفاته، بل تكفي الإشارة إلى عدد منها، بالإضافة إلى ما سبق ذكره:

- " الحلى الزائفة " قصة خيالية فلسفية، حققت انتشارا واسعا، ودخلا أكثر مما كان يتوقع المؤلف.
- " عناصر فلسفية " يشرح فيه فلسفته المادية، ويقدم ملاحظات عن تطور المخلوقات والأجناس.
- " جاك المؤمن بالقضاء والقدر وسيده " رواية تتضمن محاورات، ونوادر، ومغامرات، وملاحظات أخلاقية.
- " حلم دالمبير " محاورة فلسفية.
- "رسائل إلى صوفي فولاند ".
- ابن أخي رامو ".

مقتطفات من " الموسوعة ".

من مقال ورد تحت عنوان : ECLECTISME [1] (الانتقاء الفلسفي) كتبه ديدرو.

(1) تعني هذه الكلمة أن ينتقى المفكر مذهبا فلسفيا محددا من مجموعة من مدارس التفكير، دون أن يتبنى نظام التفكير في مجموعه.

"إن تطور المعارف البشرية طريق مرسوم، يكاد يستحيل أن يحيد عنه الفكر الإنساني. ولكل عصر أصناف متميزة من عظماء الرجال ...

" ومما سبق يتبين أنه يوجد نوعان من الانتقاء الفلسفي المذكور: الأول تجريبي، يتمثل في جمع الحقائق والحوادث وتوسيع نطاقها من أجل دراسة الطبيعة. والآخر منهجي يهتم بالمقارنة بين الحقائق المعروفة، والتأليف بين الحوادث بهدف الوصول إما إلى تفسير ظاهرة ما، أو إلى فكرة ناتجة عن التجارب فالانتقاء التجريبي مشترك بين الرجال المثابرين؛ والانتقاء المنهجي خاص بمن رزقوا حظا من العبقرية. ومن يجمع بين الاثنين يسجل اسمه بين العظماء مثل ديموقريطس، وأرسطو، وبيكون ".

ثم يشير الكاتب إلى الأسباب التي عرقلت تطور " الانتقاء الفلسفي " فيقول:

" إن السبب الأول هو الطريق الذي يسلكه الفكر البشري في مسيرة التطور، لأنه في سعيه هذا ينشغل بالمعارف الأساسية التي تسبق الدراسات الفلسفية في جميع العصور. فالفكر البشري يمر بعهد طفولة، ثم عهد النضج والبلوغ. والحمد لله أنه لا يمر بفترات الانحطاط والشيخوخة والتدهور ".

" فالمعرفة والأدب واللغات وعلم الآثار والفنون جميعها تشغل الفكر البشري في فترات من شبابه وتطوره. أما الفلسفة فلا يركز عليها إلا عندما يبلغ مرحلة الرجولة. وتكون له في شيخوخته مصدر



مواساة أو حزن ".

" أما فيما يتعلق بالأسباب التي تؤدي إلى تأخر مرحلة " الانتقاء الفلسفي " المذكور، الذي نعتبره صنفا خاصا، فيكفي أن نذكر منها الصراعات الدينية التي تشغل كثيرا من المفكرين؛ والفقر الذي يفرض على العبقري وضعا غير الوضع الذي هيّأته الطبيعة له؛ والمكافآت التي تقدم لغير مستحقيها مما يثيرهم ويجعل أقلامهم تجف في أيديهم؛ وعدم مبالاة الحكومة التي تأخذ في اعتباراتها السياسية ما يناله الوطن من الفنون الترفيهية والأدب (مثل الرسم والموسيقى والرقص)، ولا تهتم بتطوير المهارات النافعة، فلا تخصص من المال ما هو ضروري لإنجاح مساعي رجل عبقري فيقضي نحبه وتفنى مشاريعه بفنائه. وهذا يعني خسارة لا يمكن للطبيعة أن تعوضها بسهولة، لأنه من المستحيل أن يوجد شخصان متشابهان في كل شيء .. وفي كل مرة يضيع فيها اكتشاف، يمثل ذلك نكسة على درب التقدم في ميدان العلوم والفنون، وخسارة على مسرح مجد الجنس البشري وازدهاره ".

من تساؤلات ديدرو حول التعاليم الدينية :

- هل توجد فكرة أشد حماقة من الفكرة التي روجتها الكنيسة والتي تقول بأن الله أرسل ابنه (المسيح)، وهو إله آخر، ليتعذب ويصلب، وتسيل دماؤه على يد الكفار، كل ذلك من أجل أن يمحو خطيئة ارتكبها رجل وامرأة (آدم وحواء) منذ آلاف السنين؟



- تقول الكنيسة إن الخبز يتحول إلى لحم المسيح، وإن الخمر يصبح دم المسيح أثناء طقوس القداس التي يقوم بها القساوسة في الكنيسة، وهي عملية تستمر منذ نحو ألفي سنة. فهل هذا منطق أم خرافة؟

- هل يوافق المسيح على ما تدعو إليه الكنيسة من تعصب واضطهاد وحروب ضدّ من ليسوا على دينها؟ بل وكذلك فيما بين المذاهب المسيحية المختلفة؟

- بعد مرور آلاف السنين على ظهور الديانات ما زال الإنسان متوحشا كما كان في عصر الوثنية. بل أصبح أشد فتكا بالحياة وأكثر فسادا في الأرض بسبب ما اخترع من آلات الدمار الشامل.

- الطفل يولد على الفطرة. غير أن أسرته ومعلميه ينزعون منه هذه الفطرة، ويلقنونه ما ورثوه من عقائد وأخلاق. وهذا يعني أن الأخلاق تكتسب بالتجارب، وتفرضها التقاليد، ولا علاقة لها بالأديان (أي أنها نتيجة البيئة التي يولد فيها الإنسان). والفضيلة كانت موجودة قبل الديانات.

- لماذا يضيع الشبان والفتيات حياتهم في الأديرة؟



ومـن أقـوالــه :

- وما نحن إلا أجهزة أوتارها الانفعالات.

- إنه لمن الجنون أن يسعى المرء للقضاء على العواطف. إن الرجل الورع الذي يعذب نفسه مثل السجين، لكي لا يرغب في شيء، يتحول إلى مخلوق مخيف.

- وطّدوا بين العواطف تناسقا سليما، ولا تخشوا أي فوضى. فإذا كان الأمل متوازنا مع الخوف، والشرف مع حب الحياة، وحب الملذات مع الاهتمام بالصحة، لا يكون هناك متهورون ولا فاسقون ولا جبناء.

- العواطف (الانفعالات) هي التي تسمو بالمرء إلى الأشياء العظيمة، فبدونها لا يوجد امتياز في الإنتاج، ولا سمو في العادات، وتتقهقر الفنون إلى طفولتها، وتصبح الفضيلة صغيرة دقيقة ضعيفة.

- العواطف الخافتة الهادئة تُقلل من شأن العظماء، والكبح الشديد يقتل قوة الطبيعة وعظمتها. انظروا إلى هذه الشجرة، إن الفضل في ظلالها وطراوة جوها يعود إلى أغصانها الوارفة. فإذا جاء الشتاء حرمها من أغصانها.

- إذا أردت أن تحقق الجودة والامتياز فعليك بالحماس، ولو كانت مهنتك صناعة الدبابيس.

- إذا لم تحظ أفكاري باستحسان أحد، فهي سيئة. وإذا أعجب بها جميع الناس فإني أعتبرها ممقوتة.

بــــايــرون

LORD BYRON



ولد بايرون في لندن سنة 1788، وتوفي أبوه ولم يتجاوز الثالثة من العمر، فتولت أمه تربيته. يروي أنها كانت سليطة اللسان، حادة المزاج، تنتابها نوبات عصبية، فأساءت معاملته وهو طفل. وكان بايرون يعاني من العرج فزاده ذلك حساسية في حياته، وجعله سهل الاستثارة. تعلم الملاكمة والمبارزة بالسيف ورياضات أخرى ليعوض عن عرجه. كما اهتم بمطالعة الكتب، ودخل جامعة كمبردج فحصل على الماجستير؛ وورث لقب لورد من قريب له.

أخذ مقعده في مجلس اللوردات، غير أنه لم يكترث به. وقرر أن يقوم برحلة طويلة، فزار البرتغال، أسبانيا، اليونان، تركيا، وغيرها. وتزوج بايرون عام 1815، وانفصل عنها بعد سنة، وغادر انكلترا من



غير رجعة. ويروى أنه قضى فترة في السجن بسبب علاقته مع سيدة تدعى Leonora d'ESTE .

وقرر أن يشارك في ثورة اليونان ضد الأتراك فباع ممتلكاته، واشترى معدات حربية قدمها للثوار، والتحق بهم سنة 1823، وتوفي بسبب حمى أصابته في العام التالي.

وصف بايرون بأنه كان فتى وسيما، كريما، رومنتيكيا، واتسم سلوكه بالكآبة والشعور بالمرارة، وبالجرأة والتحدي والتهور. واشتهر بمهارته في أسلوب التهكم والسخرية والنقد اللاذع، ولعله اكتسب ذلك من صراعه مع أمه كما تقدم. وقد حقق بايرون نجاحا أدبيا كبيرا (في زمنه)، وشهرة سياسية بسبب مشاركته في ثورة اليونان، كما نال حظوة كبيرة لدى نساء لندن.

وفيما يلي فكرة موجزة عن أحد مؤلفاته الشهيرة قصة "دون جوان".

دون جـوان

❖❖❖❖❖

(للشاعر بايرون)

دون جوان شاب يعيش في مدينة إشبيلية، لا يتجاوز سنه 16 عاما عندما يقع في مغامرة غرامية مع سيدة متزوجة اسمها دونا جوليا. ويكتشف الزوج علاقتها مع الفتى عندما يجده في غرفتها. وعلى إثر هذا الحادث ترسل الأم ابنها دون جوان في رحلة بعيدة، عبر البحار، رغبة في إصلاح سلوكه وتوسيع تجاربه. وتتعرض الباخرة لعاصفة



فتتحطم، وينجو دون جوان وعدد من المسافرين على متن قارب صغير. يواجهون صعوبات كثيرة، وأثناء محنتهم يأكلون كلبه.

وبينما هو ملقى على شاطئ جزيرة يونانية تعثر عليه فتاة اسمها هايدي، وهي ابنة رئيس القراصنة في الجزيرة، فتنقله إلى مكان آمن، بمساعدة خادمتها وتخفي الأمر عن أبيها خشية أن يبيعه في سوق الرقيق. ويتمتع دون وهايدي بفترة في ظلال الحب. غير أن الأب يعود ذات يوم من إحدى رحلاته فجأة بعد أن بلغ هايدي خبر وفاته، فتفسد عودته سعادة العاشقين. يقبض الأب على دون جوان، وينقله إلى القسطنطينية ليبيعه في سوق الرقيق. أما حبيبته هايدي فتصاب بالجنون لشدة حزنها على فراقه وتموت أثناء الولادة، دون أن يعرف دون جوان حقيقة الأمر.

تمر السلطانة ذات يوم بسوق الرقيق فتشاهد الفتى دون جوان وتشتريه، ثم تعجب به وتلبسه ثياب امرأة وتسكنه مع الراقصات. ولكن قلبه ما زال متعلقا بهايدي، فلا يستجيب لرغبة الملكة، فتأمر بقتله. ينجح دون جوان في الفرار من القصر، ويلتحق بالجيش الروسي الذي يحاصر السلطان إسماعيل، ويشارك في القتال ضد الأتراك بشجاعة، فيعجب به القائد ويكلفه بمهمة نقل خبر الانتصار إلى الإمبراطورة كاترينا في مدينة بطرسبورغ، حيث يحظى بعطفها ورعايتها.

وبعد فترة ترسله كاترينا إلى لندن في مهمة دبلوماسية، وهناك ينال حظوة كبيرة لدى سيدات الطبقة الارستقراطية، ويواجه مغامرات غرامية عديدة [1].

---

(1) لم ينه الشاعر حكاية دون جوان.



من أقوال بايرون :

- الصداقة هي الحب من غير جناحيه.
- مسكين هذا الكلب، كان في الحياة أشد الأصدقاء وفاء؛ أول من يرحب بك، ومن يدافع عنك.
- خير لك أن تبحث عن الوردة في ديسمبر؛ وعن الثلج في شهر جوان؛ وأن تثق في ثبات اتجاه الرياح؛ وأن تصدق ما يكتب تأبينا للموتى، من أن تصدق ما يكتبه النقاد.
- الفتيات مثل الفراشة تغويهن الأضواء الساطعة.
- وقفت على جسر الأنين في البندقية حيث يوجد قصر على جانب الجسر وسجن الأنين على الجانب الآخر.
- غرست شجرة، ولما جئت أقطف ثمارها جرحتني أشواكها؛ ليتني عرفت نوع الثمرة قبل غرسها.
- لو تزوج بيترارك [1] لورا، ما نظم قصائد الحب طوال حياته.
- المسرحيات المأسوية تنتهي بالموت، والمسرحيات الهزلية تنتهي بالزواج.
- منذ أن أكلت حواء التفاحة أصبحت سعادة الإنسان تتوقف على عشائه.

(1) شاعر إيطالي.



- ما أقبح جملة: « لقد قلتُ لك ذلك ».

- سر الحياة الأعظم هو الوعي، الإحساس، أن يشعر المرء أنه حيٌّ حتى في حالة الألم.

- المتعة إثم، ولكن قد يكون الإثم متعة.

- الشيطان نفسه لم يجد في كنانته سهما يصل إلى القلب مثل الكلمة الطيبة.

- الكذب خميرة الحقيقة.

- أشعر بأن الجبال تتألم لما تشاهد من شقاء المدن.



بيرسى بيش شلى

Percy Pysshe Shelley



ولد هذا الشاعر الانكليزي عام 1792 في Field Place (Sussex) في انكلترا؛ وكان أبوه من كبار ملاك الأراضي وعضوا في البرلمان. دخل شلي جامعة أكسفورد، ولكنه طرد منها بعد خمسة أشهر، بعد أن كتب منشورا يدعو فيه الناس إلى الإلحاد. بعد ذلك بدأ بينه وبين أبيه نزاع طال أمده.

وفر الشاعر الشاب مع فتاة تدعى Harriet، لا يتجاوز عمرها 16 سنة. وتزوجا وعمر الفتى 19 عاما. ويروى أن شلى، أثناء إقامته في إيرلندا، كان يكتب منشورات ينتقد فيها أصحاب السلطة ويدافع عن حقوق الشعب، ويرمي بهذه المنشورات من نافذة الفندق. وكان أحيانا يربط منشوراته في بالونات صغيرة، ويطلقها محلقة في الفضاء.



تعرف شَلِي على الكاتب الفيلسوف William Godwin وكان قد قرأ كتابه " السياسة والعدالة " وتأثر بأفكاره تأثرا عميقا. وأعجب الشاعر بابنة Godwin ماري، وسافرا في رحلة غرامية إلى فرنسا وسويسرا. ولكن الخلاف بدأ بينه وبين زوجته التي سئمت من حياة التقشف والتنقل.

وفي عام 1816 انتحرت زوجته غرقا، فتزوج بصديقته ماري. وبدأت سمعته تسوء في انكلترا لأسباب عديدة منها انتحار زوجته الأولى، فراره مع ماري، دعوته إلى الإلحاد، وهجومه على رجال الكنائس وأصحاب السلطة. فقرر أن يغادر انكلترا ليقيم في إيطاليا. وكان القضاء قد رفض أن يمنحه كفالة طفليه من الزوجة الأولى، كما بدأت حالته الصحية تسوء، وأخبره الأطباء بأنه مصاب بداء السل.

أما الذين عاشروا هذا الشاعر العبقري والذين كتبوا عن حياته فيشهدون بأنه كان رجلا كريما، متسامحا، دمث الأخلاق، يطمح إلى مكافحة الفساد، وإصلاح المجتمع، ويدعو إلى حرية الرأي والكلام، وإلى التسامح الديني. وكان شلي كذلك شاعرا رومنتيكيا، ثائرا على الأوضاع، على النظام، على الكنيسة. فقد لقب وهو في المدرسة وفي الجامعة بـ " شلي الملحد "، و" شلي المجنون ".

وفي عام 1818 استقر شلى وزوجته في إيطاليا. وأثناء السنوات القليلة الباقية من حياته أنتج أهم مؤلفاته. وذات يوم من شهور جويلية (يوليو) من عام 1822، ركب مركبا صغيرا مع صديق له، فأصابتهما عاصفة بالقرب من خليج La Spezzia، فغرقا، ولم يتجاوز الشاعر



ثلاثين سنة من العمر. أحرق جثمانه على الشاطئ الإيطالي (قرب مدينة Viareggia)، ودفنت بقاياه في روما.

بروميثيوس يستعيد حريته (Prometheus Unbound)

ترك الشاعر مؤلفات عديدة أشهرها مسرحية رمزية خيالية فلسفية تحمل عنوان Prometheus Unbound (بروميثيوس يستعيد حريته). وبروميثيوس هذا شخصية أسطورية ترمز للخير، وتقف إلى جانب البشر ضد ظلم الآلهة وطغيانهم. وقد ألف شاعر يوناني[1] مسرحية عنوانها " بروميثيوس مقيد في الأغلال ". لأنه علم البشر إشعال النار وفوائدها، فغضب عليه زيوس Zeus (رمز الشر، الشيطان)، وقيده إلى صخرة في أعالي جبال القوقاز.

تدور مسرحية الشاعر شلي " بروميثيوس يستعيد حريته " حول الصراع بين قوى الخير وقوى الشر، بين عالم الإنسان وعالم الشيطان. وتشارك في حوادثها عوالم الأرواح والآلهة. وفيها يعقد بروميثيوس، بطل الخير، اتفاقا مع بطل الشر (الشيطان) بألاّ يؤذى هذا الأخير بنى الإنسان، وألا يتحكم في مصيرهم أو يتسلط على أرواحهم. غير أن الشيطان لا يفي بوعده.

غضب بطل الخير فصب على الشيطان لعنته، وفتح للإنسان أبواب المعرفة. فقرر الشيطان أن ينتقم لنفسه، وعزم على معاقبة البطل، وقيده إلى صخرة في أعالي جبال القوقاز، وسلط عليه عذابا شديدا.

---

(1) هو الشاعر الكبير AESCHYLUS ، 525 - 456 قبل الميلاد.



غير أن بطل الخير يتحدى قوى الشر والظلم والطغيان، وينتصر في النهاية بفضل صبره وتجلده، ويتحرر الإنسان عندما يعود إلى التسامح والمحبة، ويهجر الحقد والانتقام والأنانية. أما الشيطان فيرمى في الدرك الأسفل في عالم الظلمات.

وبالإضافة إلى الشيطان (Jeus) وبطل الخير بروميثيوس، هناك ((شخصيات)) رمزية أخرى في هذه المسرحية الفلسفية الخيالية منها:

- DEMOGORGON إله الآلهة.
- آسيا: ترمز للطبيعة (والحب والجمال).
- الأرض: أم بطل الخير.
- الأرواح المؤمنة.
- الإيمان.
- الأمل.

نشاهد في بداية المسرحية بطل الخير وهو مقيّد بالسلاسل إلى صخرة في جبال القوقاز، والإيمان والأمل جالسين أمام قدميه. كان ينتظر بصبر وشجاعة اليوم الذي يفقد فيه الشيطان سلطانه على البشر. ولكنه فكر في اللعنة التي سلطها على عدوه، رمز الشر، فطلب من الأرواح المؤمنة أن تذكّره بعبارات تلك اللعنة التي تفوه بها عندما قيّده الشيطان أول مرة إلى الصخرة، فلا تستجيب الأرواح لطلبه، وتخبره الأرض بأن الأرواح تخاف أن يسلط عليها الشيطان العذاب الأبدي.



وأخيرا يظهر شبح الشيطان فيذكّر بطل الخير بعبارات اللعنة التي سلطها عليه، فيندم هذا الأخير لأنه بلعنته تلك مكّن للشيطان من أن يتسلط على البشر وينتقم منهم؛ ويسحب لعنته لأنه يعلم أن سلطان الشيطان سيتحطم تلقائيا.

ويَعِدُ الشيطانُ بطلَ الخير بأنه سيطلق سراحه ويفك أغلاله ويخلصه من العذاب إذا كشف له عن سر يهمه، وهو المدة التي بقيت له (للشيطان) في الحكم والسيطرة. فيرفض البطل ذلك متحديا قوى الشر والطغيان.

تأتي إحدى الأرواح فتقود آسيا (الطبيعة) والإيمان إلى إله الآلهة فيؤكد لهم بأن بطل الخير هو الذي قدم المعرفة للإنسان، وأن البشر هم الذين تركوا الفضيلة واتبعوا الشيطان. ولكن بما أن البطل ندم على ما فعل وترك فكرة الانتقام، يعمل إله الآلهة على خلع الشيطان من سلطته، وينزله إلى طبقات الظلام السفلى.

يذهب هرقل (رمز القوة) إلى قمة جبال القوقاز فيحرر بطل الخير الذي يتزوج بآسيا (روح الطبيعة). يسمع المؤمنون أصواتا تبشرهم بأن الأرض قد تطهرت من قوى الشرّ وأن أبواب الخير والنصر والأمل قد فتحت أمام بنى آدم، وأن حياة جديدة قد بدأت تنتصر فيها قوى الخير والفضيلة، ويتحرر فيها الإنسان لتسود حياة المحبة والحكمة، وتندحر قوى الظلم والطغيان.

أنورى دي بالزاك

H.DE. BALZAC



روائي وقصصي فرنسي عبقري في فنه، غزير الإنتاج مبدع، كانت له ذاكرة حادة وخيال خصب، سجل التجارب الإنسانية بدقة وعمق وإسهاب فحقق شهرة عالمية.

ولد بالزاك عام 1799 في مدينة Tours، وكان أبوه مدير مصلحة التموين في قطاع الجيش في هذه المدينة. وبعد أن أنهى بالزاك دراسته الثانوية، درس القانون والأدب، واهتم بالدراسات الفلسفية. وبدأ وهو شاب يعمل في مكتب موثق قانوني. ثم قرر أن يتجه إلى الأدب، وكان أول إنتاجه مسرحية بعنوان Cromwell (1819 - 1820) لم تحقق له النجاح المأمول. ولكنه من هذه السنة وحتى عام وفاته، أي خلال فترة ثلاثين سنة، أنتج 85 رواية، و30 قصة، و5 مسرحيات، وكتب رسائله المشهورة (رسائل إلى الأجنبية)، ومقالات عديدة.



حاول بالزاك أن يضطلع بأدوار عديدة كصحفي ومؤرخ اجتماعي وفيلسوف ورجل أعمال. فقد دخل ميدان الطباعة، وأنشأ شركة لإنتاج حروف الطباعة، غير أن مشروعه انتهى بالفشل، وخلف له ديونا كبيرة. ويبدو أنه كان سيئ الطالع فيما يتعلق بحالته المالية. وحاول كذلك أن يدخل مجال الحياة السياسية فرشح نفسه ليكون نائبا في البرلمان، ولكنه لم ينجح في بلوغ مرامه.

وقد عمل بالزاك دائبا لنيل الشهرة، وكان مُجدا في عمله إذ كثيرا ما كان يعمل 15 ساعة في اليوم. وكان يهتم كذلك بالفلسفة والصوفية والعلوم الغامضة مثل الإشراق النفسي، والقوى الخفية، والسير والكلام أثناء النوم، والمغنطيسية، والفراسة وغيرها. ولم ينس نصيبه من الدنيا فكان مشغوفا بالغواني، يحب مرافقة النساء، شديد الاهتمام بشؤون بنات حواء. كما كان يحب حياة البذخ والترف واللهو والمرح، حريصا على أناقة ملبسه ومظهره. من أجل ذلك كان يسعى للحصول على المال، غير أنه عاش معظم حياته يعاني أعباء الديون وملاحقة الدائنين. ومما يروى عن حياته أنه سجن مرتين، لفترة قصيرة، بسبب عدم وفائه بواجباته نحو الحرس الوطني.

كان في الثالثة والعشرين من عمره عندما التقى بسيدة تدعى Berny كانت تكبره بخمسة عشر عاما، فتعلق بها ونشأت بينهما علاقة حب دامت حتى وفاتها سنة 1836. وقد قدمت له ما كان في أشد الحاجة إليه من حب وعطف وإلهام ودعم وخلال هذه الفترة ارتبط

بعلاقة غرامية مع سيدة أرملة شغلت اهتمامه بعض الوقت. كما تعرف على سيدة أخرى، هي الكونتيسا فيسكونتى بقيت عشيقته خلال بضع سنوات.

وفي سنة 1832، وصلته رسالة من إحدى المعجبات بكتاباته، تدعى هانشكا. وهي كونتيسا بولندية متزوجة من ثريّ أكراني أجابها بالزاك، وتبادلا الرسائل التي عنونها الكاتب ((رسائل إلى الأجنبية)). وتلت المراسلة لقاءات متكررة في سويسرا وفيينا وغيرها، وعاشا معا فترات مفعمة بالأحلام اللذيذة، كان بالزاك يجد أثناءها بعض الراحة بعيدا عن متاعبه في باريس. واتفق العشيقان على أن يتزوجا بعد وفاة زوجها، غير أن بالزاك ظل ينتظر طويلا. ولكنه خلال سنوات الانتظار سعى جاهدا مجدّافى إنتاجه لينال الشهرة ويحظى بالزواج منها. وعلى الرغم من أنّ زوج الكونتيسة العشيقة توفي عام 1841، فلم تتزوج بالزاك إلا في شهر مارس من عام 1850، وكان قد مرض وانهارت قواه، فلم يعش إلى جانبها سوى ثلاثة أشهر، إذ وافته المنية في شهر أغسطس (أوت) من السنة نفسها.

أما بالنسبة لإنتاجه الأدبي في ميدان القصة والرواية فقد بدأت شهرته عندما حققت قصتان من قصصه النجاح الذي طالما انتظره. القصة الأولى عنوانها Les Chouans صدرت سنة 1829، وتتناول الدور الذي قام به الفلاحون في شمال غرب فرنسا أثناء حرب العصابات الملكية في سنة 1799؛ والقصة الثانية عنوانها ((فيزيولوجيا الزواج))



وتعالج موضوع الغواية والدعارة، وتبرز خبرة الكاتب بشؤون النساء وتعاطفه معهنّ .

وفي عام 1834 بدأ بالزاك يفكر في كيفية ترتيب مؤلفاته في مجموعة شاملة متكاملة متناسقة، لتكون مرآة تعكس جوانب الحياة في عصره. بعد ذلك بأعوام بدأ في تنفيذ خطته، فصنف رواياته وقصصه ضمن ثلاث مجموعات كبيرة تحت عنوان " الكوميديا البشرية ". كان هذا المشروع عملا ضخما يشمل 125 من مؤلفاته، كان قد أنتج منها 85، ويخطط لإنتاج 40 مؤلفا،

كان بالزاك يشبه مشروعه هذا بكاتدرائية ضخمة؛ وكان هدفه أن يسجل إنتاجه الأدبي تاريخ الحياة الاجتماعية في فترة حياته من القرن التاسع عشر. وقد سعى الكاتب إلى تحليل المؤثرات البيئية والعوامل الاجتماعية والمادية على حياة الفرد وتصرفاته، ولم ينس أن يسجل أفكاره وتصوراته حول تأثير المال على سلوك الناس وما ينشب بينهم من منازعات وصراعات كثيرا ما تنسيهم الهدف من جمع المال. وقد صدر من مجموعته " الكوميديا البشرية " سبعة عشر مجلدا خلال الفترة 1842 - 1848؛ ولكن الطبعة النهائية بلغت 24 مجلدا.

وقد رتب بالزاك مؤلفاته في " الكوميديا البشرية " على النحو التالي :

1- الدراسات المتعلقة بالعادات والتقاليد، وتنقسم إلى ستة أقسام:

- المؤلفات المتعلقة بالحياة الخاصة مثل كتابه Le Pére Goriot وغيره.



- المؤلفات المتعلقة بالحياة في الأقاليم، ويتناول هذا الموضوع في كتابه Eugenie Grandet وغيره.

- المؤلفات المتعلقة بالحياة في باريس، كما يصفها في كتابه Miseres des Courtisanes .

- والدراسات المتعلقة بالحياة السياسية، ويتناولها في كتابه une Ténébreuse Alfaire.

- ومنها ما يحاول فيه وصف مشاهد الحياة العسكرية، ويتناول ذلك في كتابه Les Chauans.

- وما يصف مشاهد الحياة في الأرياف مثل كتابه Les Paysans .

2- الدراسات التحليلية، وتعالج العوامل التي تؤثر على سلوك الفرد، وعلى الحياة الاجتماعية، مثل كتابه " فيزيولوجيا الزواج ".

3- الدراسات الفلسفية، وتتناول الأسباب والمؤثرات التي تسيّر نشاط الإنسان، وتتحكم في أعماله وتصرفاته، ومثال ذلك كتابه - Le Chef d'oeusre inconu

حب في الصحراء

❖❖❖❖❖

فيما يلي ملخص لقصة قصيرة كتبها بالزاك تجمع بين الحقيقة والخيال، وتدور حوادثها بين جندي فرنسي تاه في صحراء مصر وبين نمرة. ويحاول الكاتب أن يذكرنا، في هذه القصة، بأن العدوانية ليست



من صفات الحيوان فقط، وأنه من الممكن للإنسان أن يجعل من الحيوان المتوحش مخلوقا أليفا إذا دربه بالملاطفة والصبر.

إنها قصة جندي من جنود نابليون في مصر، أسرته جماعة من العرب وساروا به نحو الجنوب. وذات ليلة استطاع أن يفك قيده، والقوم نيام، وأخذ بندقية وسيفا وخنجرا، وامتطى حصانا وهرب. كان الحصان متعبا من مسيرة اليوم السابق، ولكن الجندي أراد أن يبتعد عن القوم بسرعة، فظل يهمزه حتى أدمى جانبيه وأنهكه فسقط على الأرض لا حراك به.

ومن حسن حظ الجندي أن وجد أمامه ربوة تعلوها شجيرات نخيل، فأكل من ثمرها، ونام في ظلها. في الصباح أجال بصره فلم ير حوله سوى بحر من الرمال، يحوط به صمت عميق، فغمرت نفسه موجة من القلق. ولكنه أراد أن يروح عن نفسه، فأغمض عينيه وراح يحلم بفرنسا، وباريس، وبرفاقه الجنود الذين رافقهم في حملات نابليون.

وبينما هو نائم في كهف صغير غطى مدخله ببعض الأغصان، استيقظ على ضجيج تبين له فيه زفير وشهيق، وحدق بحذر من فوهة الكهف فشاهد حيوانا ضخما، خيل له أنه أسد أو نمر، فاستولى عليه الخوف، وفكر في أن يصوب بندقيته نحوه ليقضي عليه، ولكن تبين أن المسافة قريبة، وخشي أن يهجم عليه الحيوان قبل أن يقتله.

اتضح له، على ضوء القمر، أن الحيوان نمرة، وعلى فمها دم، فاستنتج أنها ربما تناولت وجبة كافية، وأنها ليست خطرة الآن، ولا خوف



منها إذا لم تكن جائعة. وعندما طلعت الشمس التفتت النمرة نحو الجندي في مغارته، واتجهت نحوه بخطي هادئة. وحدق هو الآخر في عينيها بنظرات من يرغب في الأمن والسلام. واقتربت منه، فوضع يدا على خنجره، ومد نحوها يدا بلطف وهدوء كأنه يغازل فتاته الحسناء، ثم مسح ظهرها بلباقة وحنان، وشعرت النمرة أنها لا تواجه خطرا، فعبرت عن ذلك بحركة ذيلها وبصوت الخرير الخافت الذي نسمعه عند القطط الصغيرة. واطمأن الجندي قليلا فراح يمسح الحيوان بهدوء من رأسه حتى ذيله.

خرج الرجل من المغارة، وصعد على الربوة، فلحقت به النمرة، ومسحت جانبها على ساقيه. وكان كلما لمس جسمها بلباقة وملاطفة زاد اطمئنانها حتى أنستْ به، وبدأت علاقة ثقة متبادلة بين الجندي وأميرة الصحراء، وإن ظل الأول على حذر، يضع يده على خنجره من حين لآخر. وكانت تذهب إلى الصيد في أماكن تعودت عليها، ثم تعود لتروى ظمأها، وتستريح إلى جانب الجندي.

قرر ذات يوم أن يغادر المكان بحثا عن خلاصه، ولكنه سرعان ما وقع في حفرة من الرمل الخفيف كاد يغرق فيها، ولكن النمرة كانت تتبع خطاه، ولما رأته يغوص في الرمل أسرعت إليه فأمسكت بما بقي بارزا من ملابسه وأنقذته.

زاد هذا الحادث من ثقته بها، وعرف أن الحيوان ليس دائما بالوحشية التي نصفه بها. وتعلم أشياء كثيرة عن رفيقته أثناء جلوسها



إلى جانبه ولعبها معه؛ وأعجب بقوتها ورشاقة حركاتها، وكانت تذكره بعشيقة له كانت حسناء شرسة هي الأخرى.

وذات يوم انزعجت النمرة لسبب ما أثناء مداعبته لها فعضت ساقه بقوة، وخاف الجندي على نفسه فغرس الخنجر في عنقها. وسرعان ما ندم على فعله، إذ شعر أنه قتل مخلوقا لطيفا كان يؤنسه. وفي النهاية شاهد بعض الجنود القميص الذي علقه على النخلة، فجاءوا لإنقاذه.

شــارل بودليــر

Charles Boudelaise



ولد الشاعر بودلير في باريس سنة 1821. وتوفي أبوه ولم يتجاوز السادسة من عمره. تزوجت أمه من ضابط فرنسي بعد عام من وفاة زوجها. وعندما حصل الفتى على شهادة الثانوية (الباكالوريا) أبدى اهتماما بالأدب، غير أن أسرته لم تشجعه على ذلك فانتسب إلى كلية الحقوق. وبدأت الخلافات مع أمه وزوجها، وأصبح سلوك بودلير كذلك مثيرا للقلق، إذ بدأ يحيا حياة الخلاعة والإهمال. وقررت أسرته أن ترسله في رحلة إلى الهند في محالة لتغيير أسلوب حياته وإبعاده عن البيئة التي كان يعيش فيها. غير أن الفتى زار جزيرتي موريس وبوربون، ثم عاد إلى باريس.

وعندما بلغ سن الرشد حصل على نصيبه من ميراث أبيه. وتعرف على السيدة جين دوفال فأحبها وعاش إلى جانبها، وكانت في



بداية الأمر مصدر إلهام له، غير أنها تسببت له بعد ذلك في كثير من التعاسة والمعاناة. وأنفق الشاعر جزءا كبيرا من أمواله في حياة اللهو والبذخ، ولم يرق للعائلة تصرفاته وتبذيره، فحصلت من المحكمة على قرار بالحجز على ما بقي لديه من مال، فتراكمت عليه الديون، وزادت مشاكله وساءت حالته النفسية لدرجة أنه حاول الانتحار سنة 1845.

وتعرف بودلير على السيدة Sabatier، وكان يجتمع لديها عدد من الأدباء، فأعجب بها وكان يرى فيها مثالا للصداقة الطاهرة التي لا تشوبها علاقات المادة والشهوات.

وفي سنة 1857 نشر مجموعته الشعرية تحت عنوان " Les Flers du mal "، وكانت هذه القصائد تضم كثيرا مما جاد به خياله من الأفكار والصور المثيرة للشهوات الجنسية، فحكمت المحكمة عليه، وعلى الطابع والناشر، بدفع غرامة، بسبب ما تحتويه هذه الأشعار من بذاءة ومساس بالأخلاق.

وزاد شعور بودلير بالخيبة بعد هذا الحادث. لقد كانت مسيرة حياته مفروشة بالمشاكل العائلية والمادية. وكان قد أصيب بمرض الزهري (سفليس) سنة 1840. ولكنه صمد أمام آلام الحياة وتقلباتها، وساعدته إرادته القوية على تحقيق كثير من النجاح والشهرة. غير أنه في السنوات الأخيرة من حياته أنهكه المرض وسيطر عليه الحزن، وتراكمت عليه الديون فرحل إلى بروكسيل.

غير أنّ المرض اشتد عليه في مطلع 1866، فنقل إلى باريس حيث



وافته المنية بالقرب من أمّه في شهر أوت (أغسطس) من السنة التالية. ومن مؤلفاته المجموعة الشعرية التي سبقت الإشارة إليها Les Fleurs du Mal (زهور الألم)؛ ومجموعة من " القصائد النثرية " تحمل عنوان Le Spleen de Paris (الكآبة في باريس)؛ وصالون 1845 و 1849 و 1859 وهي مجموعات من المقالات النقدية. وترجم بودلير عددا من قصص الكاتب الأمريكي Edgor Allan Poe.

من كتابه: الكآبة في باريس (Spleen de Paris)

إن مشاهدة الحياة من خلال نافذة، داخل شقة تضيئها شمعة يوفر للناظر مشاهد خصبة تبهر المشاهد. إن ما نشاهده في ضوء النهار أقل إثارة مما يحدث وراء نافذة زجاجية. ففي ذلك المكان القائم، خلف النافذة، تنشط الحياة، وتحلم وتتألم .

أشاهد عبر السقف المتموج امرأة كست وجهها التجاعيد وأرهقها الفقر، منهمكة في عمل ما علي الدوام، ولا تغادر منزلها. ومن خلال ملامحٍ وجهها ملابسها وحركاتها وجميع نشاطاتها تخيلت قصتها. وأحياناً أقص حكايتها علي نفسي وعيناي تدمع. ولو كان الأمر يتعلق برجل في حالتها لتخيلت حكايته بالسهولة نفسها.

أنام وأنا فخور لكوني عشت داخل نفوس أخرى، وتألمت مكان أشخاص آخرين. ولعلكم تسألونني " هل هذه حكاية حقيقية "؟ فأقول: ما الفرق أن تكون تلك الوقائع خارج نفسي إذا ساعدتني على أن أشعر أنني حيٌّ، أن أعيش، أن أعي حقيقة نفسي.



التجميل بالمساحيق [1]

من حق المرأة أن تحرص كل الحرص على أن تجعل جمالها ساحرا، وأن تفوق الطبيعة في ذلك. من حقها أن تبهر وتفتن لأنها معشوقة، لذلك عليها أن تتجمل وتتزين لتُعبد، ومن حقها أن تلجأ إلى جميع الفنون والوسائل التي ترفعها فوق الطبيعة لتتمكن من السيطرة على القلوب والاستحواذ على الألباب. ولا يهم أن يعرف الناس الحيل والبراعات والأساليب التي تلجأ إليها، إذا كان ذلك يبرز جمالها ومفاتنها ويحقق الهدف المنشود.

في هذه الاعتبارات يجد الفنان الفيلسوف ما يبرر جميع الممارسات التي تستعملها المرأة لتدعيم جمالها الهش الحساس وتمجيده. وليس من السهل تعداد هذه الممارسات، ولكن نكتفي على سبيل المثال بالإشارة إلى ما يعرف في أيامنا بتجميل الوجه بالمساحيق. فاستعمال المسحوق الأبيض (البودرة) مثلاً هدفه تغطية البقع وجعل البشرة ذات لون متناسق حتى يبدو الوجه أشبه بوجه التمثال، أي ذا صبغة سماوية رائعة.

أما اللون الأسود الذي يحيط بالعين، واللون الأحمر الذي يزين أعلى الخد فإنهما يزيدان الوجه عمقا وبهجة يفوقان عمق الأفق وبهجة الطبيعة. فالإطار الأسود يجعل العين نافذة مفتوحة على اللانهائي، أما

(1) من دراسة خاصة بالرسام Constantin Guys.



اللون الأحمر الذي يزخرف الخدين فإنه يلهب لمعان العينين، ويضيف إلى وجه المرأة الجميل سحر الكاهنة الغامض.

من أقوال بودلير

- أرى كل جريدة سلسلة من الحروب والجرائم المروعة، والسرقات والفواحش. أهذا هو المشهي الذي يحفز به الرجل المتحضر شهيته كل صباح؟!
- لا تهينوا حساسية المرء، فهي عبقريته.
- تبارك الله الذي خلق الآلام لنعالج بها الشرور.
- شيئان يسلم بوجودهما الإنسان: الله والشيطان.
- ضجر المرء من العمل أقل من ضجره من اللعب.
- يظل الدين مقدساً حتى لو انتفى وجود الإله.



تــوماس هنــرى هاكسلــي

T.H. HUXLEY

ولد هاكسلى في إحدى ضواحي لندن سنة 1825. ولم يدم تعليمه في طفولته طويلا، ولكنه عكف على المطالعة بحماس، وحصل على منحة دراسية في أحد المستشفيات، غير أنه لم يتمم دراسته. والتحق ليعمل كطبيب مساعد على متن باخرة أثناء رحلاتها الاستكشافية في بحار الجنوب. وأثناء هذه الرحلات الطويلة، جمع هاكسلي معلومات وعينات بيولوجية من البحار التي سافر إليها. وفي استراليا التقى بالمرأة التي تزوجها.

ثم استقر في لندن ليواصل بحوثه العلمية، وأصبح عضوا في الجمعية الملكية ومحاضرا في المعهد الملكي. وعندما نشر داروين كتابه الشهير " أصل الأنواع " عام 1859، وفيه يشرح نظريته عن تطور



المخلوقات، وجد هاكسلى في ما يحتويه هذا الكتاب من معلومات جديدة مثيرة ما يلائم أفكاره. وبدأت الانتقادات تنهال على داروين، رغم ما لقيه كتابه من نجاح، فانبرى هاكسلي يدافع عن نظرية تطور الأجناس والأنواع، وعن الأفكار العلمية الجديدة. وتصدى بشجاعة لهجوم رجال الدين وأصحاب السلطة والأفكار المتجمدة، فاستطاع بذكائه وأسلوبه العلمي المتطور أن ينشر أفكاره على نطاق واسع. وكان لمحاضراته ومقالاته وكتبه دور مهم في تطوير العلوم وتقريبها إلى أفكار الناس في القرن التاسع عشر.

حصل هاكسلى على دكتوراة شرفية من جامعات عديدة، وأصبح عضوا (أو رئيسا) في العديد من الجمعيات والمؤسسات العلمية، وواصل نشاطه المكثف في مجالات التعليم والبحث والكتابة. ومن مؤلفاته "الأدلة على مكان الإنسان في الطبيعة " الذي يشرح فيه أوجه التشابه بين الإنسان والحيوانات الدنيا. و" القاعدة المادية للحياة ". وله عدد كبير من المطبوعات العلمية والمقالات حول موضوعات فلسفية ودينية.

توفي العالم الفيلسوف توماس هنري هاكسلي سنة 1895.

لعبة الحياة [1]

يقول هاكسلي في إحدى محاضراته عن التعليم، لنفترض أن حياة المرء ومصيره يتوقف، في يوم ما، على فوزه في لعبة الشطرنج. ألا نعتقد

(1) من محاضراته : Lectures and Lay Sermons .



أنه من واجبه أن يتعلم، على الأقل، مبادئ هذه اللعبة؟ .. من الحقائق التي لامراء فيها أن حياة كل فرد وسعادته تعتمد على معرفة شيء عن لعبة أشد تعقيدا من لعبة الشطرنج.

فطاولة الشطرنج تمثل العالم. والقطع المنتظمة فوق الطاول تمثل حوادث الحياة ووقائعها. وقوانين اللعبة هي ما نسميه قوانين الطبيعة. أما اللاعب الذي يقابلنا في ميدان الحياة فهو مختف عن أعيننا، ولكننا نعرف أنه لاعب عادل وصبور. ونعلم كذلك أنه لا يغفر أخطاءنا ولا جهلنا. فمن يحسن قواعد لعبة الحياة يكسب أعلى الرهانات؛ ومن يجهلها يخسر المعركة، تدريجيا، دون ندم ولا رحمة من الطرف الآخر.

إن تشبيه ما يحدث في حياة الفرد بلعبة الشطرنج يذكرنا باللوحة الشهيرة للفنان RETZSCH التي رسم فيها الشيطان يلاعب شخصا مقابل إنقاذ روحه (أي أنه إذا خسر اللعبة يستولى الشيطان على روحه). لنضع مكان الشيطان في اللوحة المذكورة « مَلاكا » طيبا هادئا، قويا، يفضل أن يخسر اللعبة ليكسبها الإنسان.

ما أعنيه هو أن نعلم الفكر أسرار الطبيعة وقوانينها. وتشمل هذه القوانين، بالإضافة إلى الأشياء والحوادث وعواملها، الناس وأساليب حياتهم، وما يغيرهم أو يؤثر على ميولهم. كما تشمل الرغبة الجدية الصادقة في التقدم بتناغم مع قوانين الطبيعة المذكورة ... فأيّ عمل يسمونه « تعليما » ينبغي أن يقاس بهذا المقياس.

من أقوال ت . هـ . هاكسلي

- الهدف الأخير للحياة ليس العلم، بل العمل.
- من المفيد أن يرتكب المرء بعض الأخطاء في شبابه.
- من العبث أن نتوقع من أناس يعانون الجوع والازدراء ألا يتجهوا نحو العنف وسوء الأخلاق.
- « الحقائق » التي لا تخضع للعقل أشد خطرا من الأخطاء التي يسيطر عليها العقل.
- إذا كان القليل من العلم خطيرا، فمن عنده من العلم ما يجعله خارج دائرة الخطر؟
- من أعظم نتائج التعليم أن يخلق فيك القدرة على إنجاز ما يجب عليك أن تنجزه، في الوقت المحدد.
- الحجم وحده لا يخلق العظمة، والأرض وحدها لا تشكل أمة.
- اعتقد أن من يجد أن نسبة من الشر والألم تكمن في نسيج حياة الديدان، يمكنه أن يتحمل نصيبه من ذلك بشجاعة.



روبرت لويس ستيفينسون

R.L. STEVENSON



ولد في إيدينبورغ عام 1850، ودرس القانون في جامعة إيدينبورغ. اهتم بدراسة الأدب منذ شبابه. وكان عليل الصحة يعاني من مرض السل. حصل نزاع بينه وبين أبويه حول مذهبهم الديني، فأصبح يحيا حياة بوهيمية متحررا من السنن التقليدية. وتعرف على سيدة أمريكية متزوجة، ظل يحبها وتزوجها بعد طلاقها سنة 1880.

ظل ستيفينسون يكافح داء السل، ويتنقل من بلد إلى آخر بحثا عن المناخ الذي يناسب ظروفه الصحية. غادر بريطانيا إلى أمريكا؛ ثم قام برحلات إلى عدد من جزر بحار الجنوب، منها تاهيتي، هونولولو، ساموا. وبعد زيارة إلى أستراليا اختار أن يستقر في جزيرة ساموا.



وتوفي الكاتب سنة 1894 بسبب نزيف في الدماغ، وليس من مرض السلّ الذي عانى منه مدة طويلة.

كتب ستيفينسون مقالات، ورسائل، وقصائد، وقصصا وحكايات عديدة، منها قصة " الدكتور جيكيل والسيد هايد " التي نالت شهرة واسعة لدى عموم القراء. وفيما يلي نبذة موجزة عنها.

الدكتور جيكيل والسيد هايد DR. JEKYLLAND MR. HYDE

تتناول هذه القصة موضوعا قديما قدم الإنسان، يتعلق بما يحدث في نفسه من صراع بين قوى الخير والشر. والدكتور جيكيل والسيد هايد عنصران في شخصية واحدة، يمثل الأول عنصر الخير والثاني عنصر الشر. الدكتور جيكيل طبيب ماهر، ورجل طيب؛ ولكنه شعر بقوى الشر تعتمل داخل نفسه فاهتم أولا بدراسة العوامل النفسية المتعلقة بانفصام الشخصية، ثم رغب في استغلال هذا الانفصام في شخصيته، فعكف في مختبره يعمل على إنتاج جرعة دواء سحري يساعده على توضيح الانفصام بين الشخصيتين.

وبالفعل نجح في إنتاج هذا الدواء، فأصبح بإمكان الدكتور جيكيل، الرجل الطيب، عندما يتناول الجرعة، أن يتحول إلى مخلوق شرير أسماه "السيد هايد ". ولم ينجح الدواء في أن يفصل بين شخصي الرجل الصالح والرجل الشرير، من حيث السلوك فقط، بل كان الدكتور جيكيل، عندما يتناول الجرعة تتغير ملامحه ومظهره، فيبدو في شكل مزعج ومخيف.



وظل التناوب بين شخصيتي " الرجلين " مستمرا : الأول هادئ لطيف سمح السلوك، والآخر عنيف، قبيح الملامح سيئ السلوك، غير أن شخصية هايد بدأت تسيطر تدريجيا على حياة الأول، وذات يوم تحول الدكتور جيكيل إلى شخص الشرير هايد بدأت تسيطر تدريجيا على حياة الأول، وذات يوم تحول الدكتور جيكيل إلى شخص الشرير هايد من غير أن يتناول جرعة الدواء، ففزع لذلك، ولجأ إلى مختبره ليعد جرعة دواء تعيده إلى شخصيته الأصلية " الدكتور جيكيل "، فلم ينجح في إعداد أحد عناصر الجرعة، فقرر أن يتناول جرعة من السم. ودخل الخادم والمحامي المختبر فوجدا جثة السيد هايد، وبحثا عن الدكتور جيكيل فلم يعثرا له على أثر.



ألدوس هاكسلي

Aldous Huxley



ينتمي ألدوس هاكسلى إلى أسرة اشتهرت بالمعرفة في مجالات متعددة، فقد كان جده عالما مرموقا، وكان أخوه بيولوجيا واسع الشهرة. ولد ألدوس سنة 1894 في مقاطعة Surrey (انكلترا). وقد اهتم هذا الكاتب بالتعاليم الهندوسية وبالتصوف، ويروى أنه تعاطى بعض العقاقير المهلوسة لتعميق تجاربه التصوفية. واستقر في الولايات المتحدة ابتداء من سنة 1937.

من أشهر مؤلفاته قصة عنوانها " العالم الجديد الشجاع " Brave New World، التي ألفها عام 1932. من الواضح أن ألدوس لم يكن راضيا عما شاهد حوله في انكلترا وأمريكا، فراح ينتقد التطور التكنولوجي الذي يجعل من الإنسان مخلوقا مسلوب الإرادة تابعا للآلة،



وينتقد السلوك المادي المخجل، ونزعة الاستهلاك المفرط، والفراغ الثقافي المخيب للآمال.

وقد تحدث الكتاب قبل ألدوس عن ظروف المجتمع الذي عاصروه ووجد فيه أكثرهم عالما مفعما بالشرور والآلام والظلم والأنانية. وإذا كان توماس مور يصور لنا في كتابه UTOPIA مجتمعا فاضلا جديرا بأن يعيش فيه الإنسان عيشة راضية سعيدة [1]، فإن ألدوس ينطلق من الحاضر ليصور لنا كيف ستكون حياة الإنسان بعد نحو ستة قرون. إذ تدور حوادث قصته في القرن الخامس والعشرين.

ويتخيل الكاتب أن إنتاج الأطفال يتم في مصانع متطورة تنتج أصنافا مختلفة منهم تتنوع كفاءاتهم وقدراتهم حسب الوظيفة التي ستوكل إليهم وفقا لاحتياجات المجتمع. أما إنجاب الأطفال في بطون الأمهات فيصبح عندئذ عملية ممنوعة تثير السخرية والاشمئزاز لأنها متعبة ولا تسمح ببرمجة الإنتاج مسبقا. ثم إن مصانع إنتاج الأطفال تنقذ الإنسان من متاعب الأسرة ومشاكل الزواج.

ولا يخلو هذا التطور العلمي من بعض المزايا لأنه قضى على الفقر وعلى أنواع المرض ومتاعب الشيخوخة. وبما أن هدف الدولة هو توفير السعادة للجميع، في نظام شبه شيوعي موجه، فقد قضت على الحرية الفردية، وعلى الديانات، وكل ما من شأنه أن يتعب الإنسان مثل

---

(1) انظر صفحة رقم ......

الثقافة، والعلاقات الأسرية، والأخلاق السامية والمثل العليا، لأنها ظلت خلال قرون كثيرة مصدرا للمشاكل والنزاعات، وسببا في شقاء الناس.

وبدلا عن ذلك أباحت الدولة، حسبما يتصور الكاتب في قصته، أساليب المتع والملذات، والعلاقات الجنسية، وأصبحت النساء يحصلن على حبوب منع الحمل مجانا، كما وفّرت المتع الجسدية الأخرى للجميع مثل الأفلام التي تنعش الغرَائز، والمهلوسات التي تنقله إلى عالم من الخيال والألوان والأحلام.

ويتحدث المؤلف في قصته الخيالية عن ورشة علمية أنشئت في المكسيك لدراسة سلوك مجموعة من البشر البدائيين المتوحشين الذين ما زالوا يعيشون ويفكرون على منوال البشر كما كانوا في القرن العشرين (حوادث القصة تجري في القرن الخامس والعشرين). وهناك رجل يدعى ماكس وفتاة تدعى لينينا من لندن، قررا زيارة الورشة الغريبة في المكسيك. وهناك وجدا امرأة ولدت طفلا بسبب خطأ في تناول حبوب منع الحمل، وهو خطأ جسيم لأنه يخالف طريقة الإنجاب المبرمج في المصانع، ولذلك كان سلوك هذا الطفل مخالفا لسلوك أطفال العالم الجديد الشجاع.

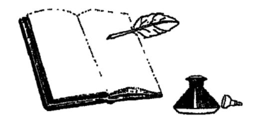
طلب ماكس ولينينا من المشرف على الورشة أن يسمح لهما بأن يأخذا معهما الأم وابنها إلى انكلترا ليكونا موضوعا للدراسة العلمية. وفي لندن يصبح الطفل « البدائي » موضوع اهتمام الناس، ويأتي السكان لمشاهدة إنسان العصور القديمة. ويحاول هذا الفتى أن يحافظ



على تقاليده القديمة " البدائية "، ولكنه يجد صعوبة في الانسجام والتكيف مع ظروف الحياة الجديدة. يضطرب سلوكه ويشتد قلقه، فيعتزل الناس، ولكن في النهاية ينتحر شنقا بسبب عجزه عن تحمل نمط حياة أبناء التكنولوجيا المتقدمة.

القسم الثانى

من أخبار الفلاسفة



- أفلاطون
- أبيقور
- سينيكا
- أبكتاتوس
- القديس أغسطين
- توماس هوبز
- بليز باسكال
- باروخ سبينوزا
- ديفيد هيوم
- آرثر شوبنهور

أفلاطون

PLATO

ولد أفلاطون سنة 428 قبل الميلاد، وينتمي إلى أسرة عريقة مشهورة. اسمه الحقيقي أرستوقلس، ولقب بأفلاطون، بسبب سعة جبهته وعظيم بسطته. واهتم أفلاطون منذ شبابه بالفيلسوف سقراط الذي كان صديقا لخاله خرميدس، وبرع كذلك في الموسيقى والشعر والرياضيات. وقد عاش الحرب الطاحنة بين أثينا وأسبرطة، التي انتهت بهزيمة بلاده أثينا. كما شهد الصراع العنيف الذي دار بين مجموعة الألغاركية والجماعة الديمقراطية، وكانت سنه عندئذ 24 عاما. وقد طلب منه بعض أقربائه، وكانوا من زعماء الألغاركية. أن يدخل المجال السياسي إلى جانبهم، غير أن ما شاهد من عنف وتطرف لم يشجعه على ذلك.



وبعد أن حوكم صديقه سقراط، وحكم عليه بالموت عام 399 ق.م، قرر أن يبتعد عن السياسة، ولجأ إلى ميغارا حيث أقام بعض الوقت؛ ثم قام برحلات إلى بلاد اليونان ومصر وإيطاليا، وازداد اهتمام أفلاطون، خلال هذه الفترة، بالفلسفة وإعجابه بأفكار سقراط. ورجع إلى أثينا عام 387، وأسس الأكاديمية التي أصبحت مركزاً لدراسة الفلسفة والعلوم والرياضيات والقانون.

ومن الحوادث المهمة في حياته أنه زار سراغوصة SYRACUSE عندما دعاه صديقه ديون، عام 367 ق.م. ليضطلع بتعليم الملك الشاب ديونيسوس الثاني، وتدريبه على أساليب الحكم في ظل القانون. ولم تساعده الظروف على البقاء هناك مدة طويلة. ورجع إلى بلاط الملك المذكور بعد بضع سنوات آملا أن يدعمه بخبرته وآرائه، وأن ينقل نظرياته عن الدولة والحكام إلى حيز التنفيذ، غير أنه لم يوفق في مهمته.

قضى أفلاطون معظم حياته في البحث والتدريس والتأليف. ومن مؤلفاته الهامة كتاب " الجمهورية " الذي يشرح فيه آراءه حول إنشاء مجتمع فاضل. فمنذ نحو ألفين وأربعمائة سنة، كان أفلاطون أول فيلسوف غربي وضع مشروعا لتأسيس مدينة أو دولة " فاضلة "، يعيش سكانها في ظل حكم القانون والعدالة الاجتماعية، وتسود فيها الأخلاق الفاضلة وطاعة الإله. ويكون الفرد في مجتمع أفلاطون مطيعا للدولة التي تسيطر على جميع النشاطات الاجتماعية المهمة، لأنه كان يرى أن الإنسان ينزع إلى الشر، ولابد من كبح جماحه وتحديد حريته، وفرض القانون والنظام على تصرفاته.

ويحاول الفيلسوف في مشروعه أن يجعل من المواطن إنسانا قويا شجاعا، قادرا على الدفاع عن نفسه ووطنه؛ وقد كان معجبا بنظام التربية في أسبرطة وبأسلوب حياة سكانها الأشداء. ويحاول في مشروع " مدينته الفاضلة " أن يضفي لباسا أخلاقيا على الأعمال السياسية، ولكن كثيرا من اقتراحاته في هذا المجال لا يمكن أن تعتبر أخلاقية في معظم الحضارات والأزمان كما سيأتي.

يقسم مشروع أفلاطون المجتمع إلى طبقات ثلاث: الحكام - المساعدون - طبقة العاملين. وتشمل طبقة المساعدين الجندَ، وقوات الأمن، والموظفين. وتشمل طبقة العاملين بقيةَ الشعب من المزارعين وأصحاب الحرف والتجار. ويطلق على طبقة الحكام وطبقة المساعدين اسم " الحرس ".

يتولى الحكم في نظام أفلاطون المذكور نخبة من المثقفين، ويكون على رأس السلطة حاكم فيلسوف، أو على الأقل حاكم صالح يكون له مستشار فيلسوف يدعم حكمه. ونظام الحكم دكتاتوري، إذ إن الحكومة تسيطر على جميع المجالات الأساسية في الحياة الاجتماعية. فهي تراقب وتسيّر جميع النشاطات المتعلقة بتكوين الأسرة، وإنجاب الأطفال وتربيتهم وتعليمهم. كما تشرف على النشاط الاقتصادي والإعلامي، وتحدد النظام الأخلاقي والإله الذي يعبده المواطنون. ويكون النظام الاجتماعي خليطا من الشيوعية والفردية.

يقول أفلاطون في كتاب " الجمهورية " (على لسان سقراط موجها الحديث إلى غلوكون):



" دعني أوضح لك الخطأ الذي يسبب سوء إدارة الدول، والتغيير الذي يمكّن الدولة من أن تأخذ شكلها الصحيح. لن تسلم المدن ولا الدول من الشرور، ولا الناس من مفاسدهم حتى يتولى الفلاسفة زمام الحكم، أو يتحلى الملوك والأمراء بروح الفلسفة وقوتها، وحتى يجتمع للحاكم الحكمة والحنكة السياسية ....، عندئذ فقط يمكن لدولتنا أن تحيا وتبصر نور النهار ".

ويرى أفلاطون في مشروعه للمجتمع المثالي أن الأسرة ومتطلباتها والملكية الخاصة ومشاكلها من مصادر فساد الأخلاق. وبما أنه يرغب في أن تسود الأخلاق الفاضلة بصفة خاصة لدى طبقة الحكام، فإنه يقترح أن يطبّق على طائفة الحرس (قوات الأمن والموظفين) نظام شيوعي بحيث لا يكون للفرد ملكية خاصة به، ولا أسرة خاصة به، فالزوجات مشتركة بين الجميع، والأولاد للدولة تربيهم وتسهر على راحتهم. الآباء لا يعرفون أطفالهم والعكس صحيح. يقول أفلاطون في كتابه "الجمهورية ".

" إن إلغاء الملكية الخاصة بين أفراد هذه الطبقة، وجعل الزوجات شريكا مشتركا بين الجميع، يجعلهم حرسا صالحين مخلصين. حيث إنهم في ظل هذا النظام لا يعيثون في البلاد فساداً بسبب " هذا ملكي ...، وهذا ليس ملكي " ولأنهم في حالة الاشتراكية في المسائل المذكورة، تكون آراؤهم متفقة بشأن ما هو عزيز عليهم ".

ويقول الفيلسوف إن اختيار الزوج أو الزوجة، خاصة بالنّسبة



لطبقة الحرس، ليس عملية شخصية، بل المسؤولون هم الذين يشرفون على انتقاء الرجال والنساء الصالحين لإنجاب أجيال سليمة العقل والبدن، قادرة على أداء الواجب تجاه المجتمع والوطن. ورغبة في تحسين النسل ينبغي ألا يتزوج الرجل السليم إلا من امرأة سليمة والعكس صحيح. وبما أن الأشخاص المرضى لا ينجبون. إلا أطفالا مرضى، ينصح أفلاطون ألا يعالجوا، بل يتركون ليموتوا فيتخلص منهم المجتمع.

والسن المحددة للزواج هي بين 30 و 50 سنة من العمر بالنسبة للرجال، و20 إلى 40 عاما بالنسبة للنساء. وينبغي أن يتم الإنجاب خلال السنوات العشر الأولى بعد الزواج. والرجل الذي لا يتزوج في الفترة المحددة للزواج يعاقب بدفع غرامة سنوية؛ كما أن الأبوين اللذين ينجبان أطفالا خارج الفترة المحددة يعتبران مخالفين للقانون.

وإذا كان الهدف من إلغاء العلاقات الأسرية هو تخفيف عبء الآباء والأمهات والحد من طموحاتهم الشخصية ليكونوا نزهاء في خدمة المجتمع، فإن عدم معرفة طائفة من السكان لأبنائهم وبناتهم يؤدي لا محال إلى خطر العلاقات الجنسية بين الأقارب (الآباء وبناتهم، والأمهات وأولادهن، والأشقاء وشقيقاتهم ..إلخ). وحاول أفلاطون أن يبعد هذه العلاقات بقوله إنه ينبغي للآباء والأمهات أن يعاملوا أبناء الجيل الذي يليهم، أي جميع من هم في سن أولادهم، كما يعاملون أطفالهم فيما يتعلق بالزواج والممارسات الجنسية. بل إنه يقترح أن يبعد الكبار عن جيل الشباب حتى لا يفسدوا أخلاقهم.



ومن آرائه المتعلقة بالمجتمع الفاضل أن يكون وزير التربية والتعليم هو أهم موظف في الدولة (بعد الملك أو الحاكم)، لما لعملية تربية الجيل من أهمية. فالدولة تتولى رعاية الأطفال منذ ولادتهم، وتشرف على تعليمهم، وتراقب جميع البرامج والمواد التعليمية. وتتركز المراقبة بصفة خاصة على الشعر والقصص والمسرحيات والرسم ولموسيقى التي ينبغي أن تستغل لتدعيم الأخلاق الفاضلة وخدمة المجتمع والوطن.

ويتضمن مشروع أفلاطون اقتراحات عديدة منها أن تعامل المرأة على قدم المساواة مع الرجل، فتتاح لها فرص التعليم والتدريب للمشاركة في الحكم والحرب وجميع المسؤوليات؛ ومنها إباحة نظام الرق على أن يكون العبيد من الأجانب وليس من اليونانيين؛ ومنها السماح لطبقة المزارعين والتجار وأصحاب الحرف بالملكية الخاصة في حدود مقننة، ومنها تركيز الاهتمام على النخبة السليمة الصالحة من الأطفال، وإيواؤهم في منازل خاصة لعزلهم عن الأطفال من طبقة "المعادن الرخيصة ".

ويشرح الفيلسوف رأيه في التمييز بين الطبقات على النحو التالي (موجها كلامه للمواطنين في مجتمعه الخيالي: " جميعكم إخوة، غير أن الإله خلقكم من معادن مختلفة. فمنكم من وهبه القدرة على الحكم والقيادة وخلقهم من معدن الذهب ...، وخلق أناسا آخرين من معدن الفضة ليكونوا مساعدين لهم، بينما أنشأ خلقا آخرين من معدني النحاس والحديد ليقوموا بأعمال الزراعة والصناعة..، غير أنه قد



يحدث أن ينجب أبوان من معدن الذهب طفلا يكون معدنه الفضة؛ كما يحتمل أن ينجب أبوان معدنهما الفضة طفلا من معدن ذهبي ".

" وعلى الحكام أن يحرصوا كل الحرص على نقاء النسل، لذلك يجب أن يراقبوا العناصر عند تزواجها. فإذا ثبت أن أبا من عنصر الذهب أنجب طفلا معدنه خليط من الحديد والنحاس، فالطبيعة تقتضي أن تنخفض رتبته إلى طبقة أدنى، ولا ينبغي للحاكم أن يظهر أيّ شفقة تجاه الطفل الذي يجب أن ينتقل إلى طبقة المزارعين وأصحاب المهن ".



أبيقور

EPICURUS

ولد في جزيرة ساموس (بحر إيجه) سنة 341 ق.م. وبدأ يهتم بالفلسفة وعمره 14 عاما. ورحل إلى أثينا وعمره 18 سنة، لأداء الخدمة العسكرية. ثم طاف بعدد من المدن اليونانية لتدريس الفلسفة. وفي عام 306 ق.م. عاد إلى أثينا حيث اشترى منزلا، وراح يلقي دروسه في حديقته، وأصبح يعرف بفيلسوف الحديقة.

ومذهب الأبيقورية هو أحد المذاهب الفلسفية الأربعة التي اشتهرت قديما؛ ومنها مذهب أفلاطون، مذهب أرسطو، ومذهب الرواقية. وقد ضاع معظم مؤلفات أبيقور؛ ومما بقي منها ثلاث رسائل تعالج إحداها تركيب الكون، وتتحدث الثانية عن الفلك، والثالثة عبارة عن ملخص لتعاليمه الأخلاقية.

كان أبيقور يرى أن الهدف الرئيسي للإنسان هو تحقيق اللذة وراحة النفس، ويدعو إلى الاعتدال والحياة البسيطة. وكان يرى أن الديانات تثير المخاوف في نفوس الناس، وتجعل حياتهم تعسة؛ وأن الدين والعلم متنافسان لا ينسجمان. وقد أصبح مذهبه يعني بصورة عامة القول بأن اللذة والسعادة هما الخير الأسمى، شريطة أن يحقق الإنسان التوازن النفسي والبدني، وأن تخلو حياته من الألم النفسي والبدني.

ويروي الكاتب الروماني بلوتارخ في كتابه عن حياة نبلاء اليونان والرومان أنه قبيل معركة PHILIPPI [1] رأى القائد الروماني بروتوس رؤيا مزعجة أقلقته. رأى شبحا غريبا مرعبا، فسأله بروتوس: هل أنت من الآلهة أم من البشر؟ وماذا تريد مني؟ فأجابه الشبح: أنا روحك الشريرة، سألقاك في PHILIPPI. فأجابه بروتوس منزعجا " سألقاك".

وفي الصباح ذهب إلى حليفه القائد كاسيوس (وكان كلا القائدين قد شارك في قتل يوليوس قيصر) وقص عليه خبر الشبح الغريب. فقال له كاسيوس، وكان من أتباع تعاليم أبيقور " إن مذهبنا، يا بروتوس يقول إنه ليس كل ما نحس به ونشاهده هو شيء واقعي وحقيقي. فالحواس خداعة، والفكر سريع في التأثير على الحواس وفي إثارتها، بدون أن يميز أحيانا بين الظروف الواقعية والمشاهد الخيالية.

(1) وقعت معركة PHILIPPI عام 42 ق.م، ودارت رحاها بين جيشين يقود أحدهما بروتوس والآخر كاسيوس، ضد جيشين كان يقود أحدهما أكتفيان (الذي أصبح= = يعرف فيما بعد بالإمبراطور أغسطس)، ويقود الجيش الآخر مارك أنطونيو وكان النصر حليف أكتفيان ومارك أنطونيو.



ولا شك أنك قلق منهوك، وهذا يجعل فكرك يستثار بسهولة. وليس هناك ما يجعلنا نعتقد بأن مخلوقا فوق - طبيعي زارك الليلة الماضية".

توفي الفيلسوف أبيقور سنة 270 ق.م. في مدينة أثينا.

مقتطفات من رسالته إلى Menoeceus

❖ عود نفسك على فكرة أن الموت لا يعني شيئا بالنسبة لنا، لأن جميع الخير والشر ينبع من الإحساس، والموت ينزع منا هذا الإحساس. ومادمنا على الحياة فالموت بعيد عنا؛ وعندما نموت نصبح لا وجود لنا. ولهذا فإن الرجل الحكيم لا يهرب من الحياة، ولا يخشى نهايتها، لأنّ الأولى لا تغيظه، والثانية ليست شرا.

❖ من الرغبات ما هو طبيعي وما هو تافه عقيم؛ ومنها ما هو فطري وما هو مجرد عادات متأصلة؛ ومنها ما هو ضروري للحياة السعيدة وما يتعلق براحة البدن. ومعيار الاختيار بين الرغبات هو راحة النفس وصحة البدن، وتجنب الخوف والألم.

❖ عندما نقول إن الهدف هو الحصول على اللذة لا تعني لذة حياة الخلاعة والإسراف والاستهتار، إذ ليس الاستمرار في الشرب والعربدة، وإشباع الشهوات هو الذي يحقق الحياة المريحة بل التفكير الرزين المتزن، ومعرفة الدوافع وراء الرغبات، وتجنب ما يقلق النفس، هو أسلوب الحياة الذي يحقق راحة المرء واطمئنانه.



❖ ونقطة البدء هو الحذر والاحتياط للأمور. إذ إنه لا يمكن للمرء أن يعيش حياة الابتهاج والمسرات من غير أن تكون حياته معتدلة مشرفة حذرة. والعكس صحيح، لأن الفضائل مرتبطة بحياة البهجة والمتعة، وهذه مرتبطة بالأولى.



سينيكا

SENECA, L.A.

كاتب، فيلسوف ورجل دولة روماني؛ ومن أبرز أتباع مذهب الرواقيين الفلسفي. ولد عام 4 قبل الميلاد، في CORDUBA بولاية BAETICA الرومانية، بأسبانيا. أرسلته أسرته إلى روما لمواصلة تعليمه، فدرس علوم الكلام والبلاغة التي كانت تؤهل صاحبها ليعمل في ميدان القضاء. كما درس الفلسفة ونال شهرة في سن مبكرة. سافر إلى مصر للاستجمام لأنه كما نقل كان يعاني من ضعف في صحته.

وعاد إلى روما فبدأ يعمل في ميدان السياسة والقانون. ثم أنشأ مدرسة، بمساعدة أبيه، لتدريس الفلسفة. وكان من المترددين على مدرسته فتاة جميلة من أسرة الإمبراطور كلوديوس. واتهمت ميسالينا، زوجة الامبراطور، سينيكا بالاعتداء على شرف الفتاة، فنفاه الإمبراطور إلى جزيرة كورسيكا.

عندما تزوج الامبراطور المذكور أغريبينا، أعادت سينيكا إلى روما وأوكلت إليه مهمة تعليم ابنها الشاب نيرون. فتزوج الأديب، وشعر بتغيير كبير في حياته. وعندما اعتلى الفتى نيرون عرش الإمبراطورية، أصبح سينيكا مستشاره، ومن أعظم رجال الدولة الرومانية كما جمع أثناء هذه الفترة ثروة ضخمة أثارت غيرة منافسيه. وفي عام 60 قرر أن يعتزل السلطة، وأن يعيش حياة تقشف وهدوء؛ بل وأن يعد نفسه للموت بعد أن شاهد ما شاهد من العنف في عهد نيرون.

وفي عام 65 م اتهمه أعداؤه بالتآمر على حياة الإمبراطور نيرون. وفي هذا السياق يذكر المؤرخ تاسيتوس أنه عندما جاء أمر نيرون إلى الفيلسوف بأن ينتحر، وأحاط الجنود بمنزله، عانق زوجته وأوصاها بالصبر. ولكنها قررت كذلك أن تنتحر إلى جانب زوجها. قطعا بخنجر واحد شرايين يديهما. فطلب الجنود من الخدم تضميد جروح الزوجة. أما سينيكا، فنظرا لكبر سنه، ولنظام التقشف الذي التزم به في السنوات الأخيرة، فقد كان الدم ينزف من يديه ببطء. فبادر إلى قطع شرايين أخرى في ركبتيه وساقيه، وطال عذابه، فطلب من صديق له أن يمده بكمية من السم وتناوله. غير أن أعضاءه تجمدت فلم يؤثر فيه السم بسرعة. دخل الفيلسوف بركة ماء دافئ ...، بعد ذلك وضع في حمام ساخن ليسرع السم في عروقه. أحرق جسده ودفنت بقاياه دون مراسيم جنائزية. حدث ذلك عام 65 ميلادية.

ترك سينيكا مؤلفات عديدة منها أربع عشرة مسرحية (من نوع التراجيدية)؛ و124 رسالة تحت عنوان " رسائل إلى لوسيليوس "؛ وله مقالات عديدة عن الأخلاق والعلوم والشعر وغير ذلك.



ومن أقواله :

- كما أن صغر قامة المرء لا تمنعه من أن يصبح رجلا عظيما، فإن حياة الإنسان قد تكون قصيرة وكاملة. وإذا كان طول عمري أو قصره ليس في يدي، فإنه بوسعي أن أجعل حياتي غنية وكاملة.
- مدح الناس وثناؤهم علينا يضربنا أكثر من مدحنا لأنفسنا؛ ولكن من له الشجاعة أن يصارح نفسه بالحقيقة؟ ومن لا يستغل الظروف عندما يجد نفسه وسط قطيع من المادحين؟
- لتعرف أخلاق المرء لاحظ كيف يتلقى المدح.
- أن تتعلم مالا يفيد أفضل من أن تظل جاهلا.
- الثروة الكبيرة عبودية مضنية.
- من أشبع معدته فقد حقق خطوة كبيرة نحو الاستقلال.
- طريق المجد محفوف بالمتاعب.
- كل عبقري فيه ذرة من الجنون.
- الأفكار الجيدة ملك للجميع.
- ليس الفقير من عنده القليل، بل من يتوق دوما للمزيد.
- يختبر الأصدقاء عند الشدائد كما يختبر الذهب بالنار.
- من جنون البشر أنهم يعاقبون من يقتل شخصا، ويصفقون لمن يقتل شعبا.



أبكتاتوس

EPICTETUS

ولد أبكتاتوس [1] حوالي سنة 60 ميلادية، أثناء حكم الإمبراطور نيرون، بمدينة هيرابوليس (آسيا الصغرى). وبما أن أمه كانت جارية، فقد كان عبدًا لأحد موظفي البلاط الملكي في روما. كان أبكتاتوس حريصا على التعليم، وظل يتردد على محاضرات الفيلسوف الرواقي RUFUS MUSONIUS [2].

وحوالي سنة 89 حصل على حريته، وبدأ يعلم الفلسفة. غير أنه اتهم مع عدد آخر من الفلاسفة بنزعتهم نحو النظام الجمهوري، فنفاهم الإمبراطور دومتيان من روما. فاستقر أبكتاتورس في مدينة

(1) لا يعرف اسمه الحقيقي، و EPICTETUS تعني " مكتسب " وتشير إلى كونه ملكا لسيده.
(2) أحد أتباع المذهب الفلسفي الذي أنشأه زينون عام 300 ق.م.



نيكوبوليس، في شمال اليونان، يدرس تعاليم المذهب الرواقي. توافد عليه الطلاب من جميع الأصقاع، ونال شهرة كبيرة.

كان أعرج، لأن سيده كسر رجله وهو صغير. وعاش فقيرا، فكان كما قال عن نفسه: " لا أملك إلا الأرض والسماء وعباءتي ". توفي أبكتاتوس سنة 138 ميلادية.

لم يكتب أبكتاتورس شيئا، بل يرجع الفضل إلى أحد تلاميذه اسمه Flavius Arrian (الذي أصبح مؤرخ الإسكندر المقدوني) الذي سجل محاضرات معلمه بدقة وعناية في ثمانية مجلدات، بقي أربعة منها، تحمل عنوان " أحاديث " Discourses. كما سجل Arrion ملخصا لأفكار أستاذه وتعاليمه، ملخصة من محاضراته، تحت عنوان ENCHEIRIDION، كلمة يونانية تعني " الملخص ". وهي تتضمن أفكار المعلم ومعتقداته الأساسية. وفيما يلي مقتطفات منها.

من تعاليم أبكتاتوس

- هناك أشياء تقع تحت سلطتنا، ويمكننا أن نتحكم فيها؛ وأشياء أخرى خارج سلطتنا ليس بوسعنا أن نتحكم فيها مثل الحصول على المنصب والجاه والثروة، ويشعر المرء بالخيبة إذا لم يستطع أن يحقق رغباته، ويشعر بالقلق والشقاء إذا لم يقدر على تجنب المواقف المكروهة مثل الفقر والمرض والموت. فإذا حصرت رغباتك في الحصول على ما هو في نطاق سلطتك فإنك لن تشعر بالخيبة.
- إن ما يقلق الإنسان ليست الأشياء و الحوادث في حدّ ذاتها، بل



الفكرة التي يكونها عنها وطريقة نظرته إليها وتقييمه لها. ولهذا فعندما يحدث ما يزعجنا ويعيقنا ويقلقنا، ينبغي ألاّ نلوم الآخرين، بل أنفسنا. فالجاهل هو الذي يلوم الآخرين على ما يلاقى من مشاكل الحياة.

- لا تبتهج بعمل ليس من صنعك. فإذا افترضنا أن فرسا أعجب بشكله وابتهج وقال: " أنا جميل "، فإنه يحق له ذلك. أما إذا قلت: " إنني مبتهج لأنني أملك فرسا جميلا " فإنك إنما تبتهج على حساب الفرس.

- لا ترغب في أن تحدث الأمور حسبما تريد؛ بل دعها تجري كما من شأنها أن تحدث. بهذا تعيش مرتاح البال.

- عاهة العرج (مثلا) قد تعيق رجلك، لا إرادتك. اجعل هذا شعارك بالنسبة لكل ما يحدث لك.

- لا تقل: " خسرت كذا .. "، بل قل: " أعدته إلى مكانه ". هل فقدت طفلا؟، زوجة؟، خسرت عقارا؟ كلا! إنه رجع إلى مكانه، أخذه الذي وهبه لك. اعتبر نفسك كأنك مسافر مقيم في فندق؛ إنك تتمتع بما فيه، ولكنك ستغادره.

- إذا أردت أن تتمتع براحة البال والحياة الهادئة الراضية فعليك أن تدفع الثمن. فليس من السهل أن يجعل المرء إرادته متناغمة مع الطبيعة، وأن يضمن لنفسه زخارف الحياة ومباهجها.

- هل تود أن يعيش أولادك وزوجتك وأصدقاؤك إلى الأبد. إذاً أنت



أحمق، لأنك ترغب في تحقيق أشياء ليست تحت سلطتك ومن يريد أن يعيش حرّا عليه ألا يطلب أو يرفض أشياء ليست خاضعة لإرادته، بل لإرادة غيره، وإلا أصبح عبدا.

- تذكر أنك تمثل دورا في مسرحية، حسبما يريد منك المؤلف: دور الفقير، المعاق، السلطان، المواطن ...

- سوف لا تغلب إذا تجنبت الدخول في معركة ليس في إمكانك أن تنتصر فيها. وإذا شاهدت شخصا ذا سلطان ومهابة فلا تنخدع بالمظاهر، ولعلك تظن أنه سعيد مرتاح البال.

- تذكر أن العبرة ليست في الشتائم والإهانات واللكمات، بل في تفسيرنا لها، ورأينا فيها: هل هي مسبة وإهانة أم لا. فعندما يستفزك شخص، اعلم أن رأيك في الموقف هو الذي يستفزك أو يجعلك تحتفظ بهدوئك.

- انظر إلى الحوادث التي تبدو مؤلمة مقلقة، مثل المرض والموت والنفي .. إلخ على أنها حوادث يومية عادية. وبهذا تبعد عنك المخاوف المزعجة والمواقف المحزنة.

- لنفرض أن شخصا سلّم بدنك لأحد المارة، لا شك أنك تنزعج وتثور. كيف إذا تسلم فكرك لمن يهينك، فتجعله تحت تصرفه ليثيره ويشوشه ويتلاعب بأعصابك؟!

- لا تكثر من الضحك، وتجنب الضحك بصوت مرتفع. تجنب القسم بقدر الإمكان. تجنب الحفلات والملذات المبتذلة.



- إذا قال لك شخص: " إن فلانا تكلم عنك بسوء "، أجبه: إنه يجهل الكثير من أخطائي، ولو عرفها لذكرها.

- ليس منطقيا أن يقول المرء: " أنا أغنى منك، إذاً أنا أعلى منك منزلة؛ أو أنا أفصح منك لسانا، فأنا أفضل منك ". بل ينبغي أن يقول: " أنا أغنى منك، فممتلكاتي أوسع من ممتلكاتك. وأنا أفصح منك، فأسلوبي أفضل من أسلوبك ".

- من سمات العاقل ألا يلوم أحدا، ولا ينتقد أحدا، ولا يثني على أحد، ولا يتهم أحدا.

لا تغضب على الآخرين !

- لماذا نغضب على بعض الناس؟ ألأنهم لصوص، قطاع طرق، زناة؟ كلا ! إنهم جهال، لا يميزون بين الخير والشر. هل ينبغي لنا أن نسخط عليهم؟ أم أن نعطف عليهم؟ فلنوضح لهم أخطاءهم وسيُقْلِعُون عنها.

- ألا يجب أن نقضي على هؤلاء الأشرار؟!

- لا تنظر إلى القضية بهذه الطريقة. بل قل: إن هذا الشخص الذي أخطأ في أمور هي في غاية الأهمية، إنه لم يفقد حاسة البصر التي تميز بين الأبيض والأسود فقط، بل عميت بصيرته التي تميز بين الخير والشر. فهل يجب أن نقضي عليه؟! وكأنك تقول: " يجب أن نقضي على الأعمى والأصم.

إن أعظم شيء لدى الإنسان هو قدرته على التمييز بين الأشياء



وعلى الاختيار. فإذا حرم إنسان من القدرة على الاختيار بين الخير والشر، فلماذا تغضب عليه؟ أليس العطف عليه واللطف به أولى؟ فهل تغضب على المرء بسبب الأشياء التي سرقها منك؟ ما عليك إلا أن تقلع عن التعلق بالملابس مثلا التي سرقت منك، وسوف لا تغضب على سارقها. لا تعجب كثيرا بجمال زوجتك، وسوف لا تسخط على من يضاجعها.

- عود نفسك على القول بأن اللص والزاني مثلا لا يقعان في دائرة الأشياء التي تحت تصرفك، بل هما خارج نطاق سلطتك. وعندئذ تجد أنه لا يوجد سبب لغضبك. وإذا أصررت على أن للأشياء المذكورة و(غيرها) قيمة في نفسك، فمن المنطق في هذه الحالة أن تغضب على نفسك، لا على اللص والزاني وغيرهما.
- عليك أن تحلل المسألة على النحو التالي: أنا أملك ملابس جميلة، وجاري ليس له ملابس جميلة. في منزلي نافذة وأود أن أعلق ملابسي فيها. واللص يعتقد، مثلك، أنه في حاجة إلى ملابس جميلة، فيأخذ ملابسك. عندما تعرض كعكة أمام أشخاص أنهكهم الجوع، وتأكلها على مرأى منهم، ألا تتوقع أن يخطفوها منك؟!

القديس أوغسطين

ST. AUGUSTINE



قضى أوغسطين فترة من شبابه تتقاذفه أمواج الحيرة والشكوك، يبحث عن الحقيق، عن الخالق، عن العقيدة السليمة.

ولد أوغسطين في مدينة تاغستي (سوق أهراس الحالية) على حدود الجزائر الشرقية، سنة 354. كان أبوه وثنيا، موظفا في الإدارة الرومانية في المدينة؛ وكانت أمه تدين بالكاثوليكية وتمارسها بحماس. حرصت على أن يكون ابنها قسا، وكان الأب يودّ أن يصبح الولد محاميا، أرسل الطفل إلى مدينة مداورا (جنوب تاغتسي) ليتعلم في مدرستها. وأظهر أثناء تعليمه الابتدائي والثانوي قدرا كبيرا من الذكاء والاجتهاد؛ فشجع ذلك أبويه على السعي لجمع ما يكفي من المال

لإرساله إلى مدينة قرطاجنة لمواصلة تعليمه. وساعد رجل من أهل الخير على تحقيق رغبة الأبوين.

كان عمر أوغسطين 17 عاما عندما وصل إلى قرطاجنة، وهناك درس علوم البلاغة والأدب واللغة اللاتينية وغيرها. وعاش مع عشيقة آنجب ولدا أسماه في أول الأمر: " ابن خطيئتي "، ولكن ما لبث أن بدل ذلك فسماه: " هبة الله "، وأحبه ورعاه بلطف وحنان. وقرأ كتابا من مؤلفات شيشرون عنوانه HORTENSIUS دفعه إلى الاهتمام بالفلسفة وكان أوغسطين قد أطلع على الإنجيل فلاحظ بأنه لا يسمو إلى مستوى كتاب شيشرون من حيث الأسلوب والبلاغة والأفكار الفلسفية.

انضم أوغسطين، في هذه الفترة، إلى ديانة " المانية "، وهي خليط من تعاليم زردشت، وبوذا، والمسيح. مؤسس هذه العقيدة هو ماني الذي عاش في بلاد فارس بين الفترة 216 - 277. وتعتمد الفكرة الأساسية في عقيدة المانية على التمييز بين النور والظلام، فالنور هو الخير والظلام هو الشر. الأول يمثل الله والثاني يمثل الشيطان. وعلى المؤمن بديانة المانية أن يتوخى التقشف والزهد في حياته، فلا يمارس الجنس ولا يأكل اللحوم. وبسبب هذا التشدد قسِّمَ أتباع المانية إلى فئتين: فئة النخبة الذين يتحملون حياة التقشف والعزوبة؛ وفئة "المستمعين" الذين يسمح لهم بالزواج وأكل اللحوم وشرب الخمر وغير ذلك. وبما أن أوغسطين لم يستطع أن يستغنى عن المتع الحسية الجنسية آنئذ، فقد رضى أن يكون في الفئة الأخيرة؛ وظل ينتمي إلى المانية طيلة عشر سنوات.

بعد أن أنهى دراسته رجع إلى تاغستي، مسقط رأسه، حيث درّس قواعد اللغة مدة سنة، ثم عاد إلى قرطاجنة فدرّس البلاغة وهي أقرب إلى ما يطلق عليه اليوم: " فنون الأدب واللغة ".

كان أوغسطين رجلا طموحا، ولما لم تتحقق آماله في مدينة قرطاجنة، سافر سنة 383 إلى روما حيث بقي مدة سنة يدرس علوم البلاغة (الأدب)؛ ثم انتقل إلى ميلانو حيث عين أستاذا لتدريس المادة نفسها. ولم تطفئ تعاليم المانية ظمأه للمعرفة، كما لم تجب عن الأسئلة والشكوك التي ظلت تحيره، فواصل البحث أثناء إقامته في روما وميلانو، فدرس الفلسفة الأفلاطونية الجديدة. ولحقت به أمه في ميلانو وحثته على أن يحضر معها الدروس الدينية التي كان يلقيها الأسقف أمبروزي. كما شجعته على الزواج، واختارت له عروسا صغيرة السن.

وجد أوغسطين في الأفلاطونية الجديدة أفكارا قريبة إلى قلبه، ولاحظ أنها لا تختلف كثيرا عن المسيحية. كان قد بلغ الثانية والثلاثين من العمر، ولا يزال يشعر ببعض الحيرة والتردد في اختيار المبادئ العقائدية التي تطمئن لها نفسه وتستنير بها أفكاره. وكان يبتهل للخالق طالبا أن يهديه وينير له سبيل الخلاص. وقد روى لنا في كتابه " الاعترافات " الظروف التي اعتنق فيها المسيحية.

فاعتزل في منزل صديق له مع أمه وابنه وبعض تلاميذه يتبادلون الآراء حول موضوعات عقائدية وفلسفية. وبعد فترة وجيزة عاد إلى



ميلانو حيث تم تعميده على يد الأسقف أمبروزي، إيذانا بقبوله العقيدة المسيحية وكان ذلك عام 387.

قرر أوغسطين أن يعود إلى مسقط رأسه. فسافر برفقة أمه وابنه وبعض أصدقائه إلى ميناء أوستيا (بالقرب من روما)، وفي هذه المدينة توفيت أمه، فأجل رحيله، وقضى في روما أكثر من سنة قام أثناءها ببحوث حول الديانة المسيحية. ووصل إلى تاغسطي عام 388، وأسّس جماعة دينية عاشت حياة تقشف، أشبه بحياة أصحاب الأديار، مركزة على العبادة والدراسة. وتوفي ابنه " هبة الله " في العام التالي.

وأثناء زيارة لمدينة هيبو (عنابة حاليا) الواقعة في شمال شرق الجزائر، ذهب إلى الكنيسة ليستمع إلى مواعظ أسقفها. وكان هذا الأخير قد شعر بدنو الشيخوخة والعجز فطلب من الحاضرين أن يختاروا رجلا من أخيارهم لمساعدته، فوقع الاختيار على أوغسطين، ورسمه الأسقف قسا ليسهل عليه القيام بمهامه. بل كان يطلب منه أحيانا أن يلقى المواعظ نيابة عنه. وبعد وفاة الأسقف سنة 396 طلب من أوغسطين أن يتولى مهام الأسقفية في المدينة المذكورة، وبقي في هذه الوظيفة حتى وفاته.

كانت مواعظه تجلب أعدادا كبيرة من الناس. فقد كان يخطب فيهم بحماس وصدق، وكانت عباراته تتسرب إلى القلوب وتهز المشاعر. وتصدى أوغسطين لمعالجة المشاكل اليومية، وكذلك للدفاع عن تعاليم المسيحية، وجادل الملحدين من مختلف الفئات والمعتقدات،

بخطبه وقلمه، وواصل التأليف، وتحرير رسائله التي تجاوزت 230 رسالة؛ كما كان يفصل في القضايا الدينية والمدنية ويتولى الإشراف على الشؤون الإدارية والمالية في الأبرشية.

وفي سنة 426 فضل أن يتفرغ لمراجعة مؤلفاته وترتيبها، وتسجيل جميع ما رغب في مراجعته مما سبق من أفكاره، ولذلك عين شخصا لمساعدته على إنجاز المهام الكنسية. وفي هذه الظروف هجم الوندال على شمال إفريقيا، وهزموا القوات الرومانية، وحاصروا مدينة هيبو. وتوفي الأسقف أوغسطين، والمدينة لا تزال تحت الحصار، في شهر أوت (أوغسطس) من عام 430.

ومن أهم مؤلفات القديس أوغسطين كتابان " الاعترافات " و"مدينة الله ". كان عمره نحو 45 سنة عندما ألف "الاعترافات" التي تعتبر كتابا فريدا من نوعه، يعترف فيه أسقف بخطاياه وضعفه أمام الرغبات الحسية ومتع الحياة الجسدية في شبابه. ولعله لم يكن يختلف عن كثير من الشباب فيما ارتكب من سيئات، غير أنه كان فتى عاطفيا رقيق الشعور، ذا ضمير حساس، بالإضافة إلى شجاعته التي مكنته من أن يسجل بكل صراحة وأمانة ودقة تلك الاعترافات الجريئة. وهو يصور لنا فيها ما كان يعتلج داخل نفسه من حيرة وشكوك وصراعات. وكم تضرع للخالق أن ييسر له سبيل الرشاد؛ وكم بحث وتساءل وسعى من أجل اكتشاف العقيدة الصحيحة (في نظره) والوصول إلى الحقيقة.

وفي سنة 410 هجم ألريك القوطي وجيشه على مدينة روما،



فخربوها وعاثوا فيها فسادا. وأشاع الوثنيون القول بأن تدمير هذه المدينة الخالدة المزدهرة إنما حصل بسبب الذين اعتنقوا العقيدة المسيحية وهجروا الآلهة التي ظلت تحمي روما قرونا طويلة. فتدخل الأسقف أوغسطين في الجدال حول هذا الحدث الجليل، وتصدى للرد على الذين اتهموا المسيحية بكونها السبب في هذه الكارثة، وجاء دفاعه في سلسلة من المقالات شكلت في النهاية كتابا ضخما هو: " المدينة الخالدة " يهدف إلى الدفاع عن المسيحية وتفنيد آراء الوثنيين. وقد استمر تأليفه لهذا الكتاب " المسلسل " من عام 413 حتى عام 426.

باعتناق أوغسطين للعقيدة المسيحية اكتسبت مفكرا عظيما ومحاميا مخلصا، أصبح بمرور القرون قديساً وقطباً من أقطابها. وكان تأثير تعاليمه على الكنيسة الكاثوليكية كبيرا، وأنارت أفكاره كثيرا لمن جاءوا بعده من رجال الدين حول قضايا عديدة مثل وجود الله؛ والخلود؛ ونسبية الزمن؛ والقضاء والقدر، وهل الإنسان مسيّر أو مخيّر؛ وخطيئة آدم،؛ والهداية الإلهية، وعلاقة الكنيسة بالدولة، وغير ذلك.

من القضايا الشائكة التي تناولها المفكرون منذ القدم، مسألة القضاء والقدر، وهل الإنسان حرّ في اختيار ما يفعل من خير أو شر، وهل يملك إرادة مستقلة تجعله مسؤولا على أعماله؟ وهل الإنسان مسيّر بيد القدر لا حرية له في شؤون حياته؟ وبدأ أوغسطين يتساءل، مثل غيره،: " إذا كان قد سبق في علم الله الأزلي، وهو علام الغيوب، أن من الناس من سيرتكبون الخطايا فلماذا خلقهم؟ ولماذا يعذبهم ؟..... " ولجأ إلى معالجة هذا الموضوع في إطار تعاليم المسيحية التي

تبحث المشكلة على أساس الخطيئة الأصلية التي اقترفها آدم وحواء. وقال بأن آدم وحواء كانا يتمتعان بحرية الإرادة والاختيار قبل أن يرتكبا المعصية. وقد كتب على أبناء آدم أن يرثوا خطيئة أبيهم، فأصبح كل مولود يولد وهو يحمل حظه من ذنب آدم.

وبما أن الله كان يعلم مسبقا بنزوع الإنسان إلى الخطيئة فقد أرسل يسوع المسيح (ابنه في عقيدتهم) ليشقى ويعذب ويصلب من أجل التكفير عن ذنوب كل من يؤمن به. وعلى هذا الأساس تقوم الكنيسة بعمليات القداس من أجل تطهير المسيحي من ذنوبه الموروثة. وليس في وسع المسيحي أن يبلغ مرحلة الخلاص والنجاة بأعماله الصالحة مهما فعل من الخير وابتعد عن الشر. بل لابدّ أن تتدخل ما تسمى " العناية الإلهية " لتهدي الضالين وتنير طريقهم.

وتجدر الإشارة بهذا الصدد إلى قس بريطاني يدعى PELACIUS جاء إلى روما في نهاية القرن الرابع، وعاش كذلك في قرطاجنة وفلسطين. انتقد هذا الرجل فكرة العناية الإلهية، وقال إن العمل الصالح يكفي لخلاص الإنسان. ورفض الفكرة القائلة بأن الله كتب الخطيئة على بنى آدم بسبب المعصية التي ارتكبها أبوهم. وقال بأن الإنسان يولد صفحة طاهرة، مثل آدم وحواء قبل العصيان، وأنه يتمتع بحرية الاختيار بين الخير أو الشر، وعلى هذا الأساس فقط يحاسب،

﴿ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴾.



ورد عليه أوغسطين بأنه إذا قلنا بأن الإنسان حرّ في اختيار تصرفاته، ولا يحاسب إلا على أعماله، لم يبق معنى لمجيء المسيح وشقائه على الأرض وصلبه. ثم ما فائدة القداس الذي تنظمه الكنائس في هذه الحالة؟ وجاء جواب Pelagius بأنه ليس من حكمة الله أن يصبّ اللعنة على بني الإنسان قبل خلقهم، ويكتب عليهم خطايا لم يرتكبوها. ثم إن القول بأن كل ما يفعله الإنسان مقدر مسبقا، ولا اختيار له في مصيره النهائي، يجعله يتخاذل في عمل الخير منتظرا ما يأتي به القدر المحتوم ورحمة الله ورعايته.

تــومــاس هــوبــز

THOMAS HOBBES



هوبز مفكر سياسي وفيلسوف. وصف بأنه كان طويل القامة، نشطا يحسن العزف على الكمان، مارس رياضة التنس حتى مرحلة متأخرة من حياته. وكان شديد الذكاء، لطيفاً في معاملاته، معتدلا في طعامه وشرابه. لم يتزوج، وأنجب طفلة من علاقة غير شرعية. سئل مرة: هل تقرأ كثيرا، فأجاب : لو قرأت مثل ما يقرأ غيري لعرفت أقل مما يعرفون.

من أفكاره الأساسية أن الحواس هي منبع المعرفة. فالمادة تتحرك، وهي بحركاتها المتنوعة تؤثر على حواسنا بطرق مختلفة. والإنسان يتفاعل مع تقلبات حركة المادة (كما يدركها بحواسه) بطرق شتى من أجل المحافظة على وجوده وبلوغ أهدافه.



ولد توماس هوبز عام 1588 في قرية وستبورت، بانكلترا. ويروي أن أمه ولدته قبل ميعاد وضع الحمل بسبب فزعها عندما علمت بغزو الأسطول الأسباني (الأرمادا) لانكلترا. وقد اختفى أبوه ذات يوم بسبب شجار، فتولى عمه تربيته. دخل الفتى جامعة أكسفورد وعمره 15 سنة.

بعد أنهى دراسته حصل على عمل كمعلم خاص للفتى وليم كافندشى (وكان أصغر منه سنا بقليل)، وقد أصبح هذا الفتى يعرف فيما بعد بإيرل دفونشاير الثاني. وكانت أسرته من ذوات الجاه والنفوذ، ساعدت هوبز، أثناء علاقته الطويلة بها، على مواجهة ظروف عسيرة مر بها. وفي سنة 1610 رافق تلميذه وليم في رحلة إلى فرنسا وإيطاليا. وقد وجد أثناء هذه الرحلة ما يحفزه على الاهتمام بالأدب والسياسة، فبدأ بعد عودته، يطالع المؤلفات الكلاسيكية. وبدأ ترجمة كتاب : "تيوكديدس "[1].

كما أنه اشتغل كاتبا لدى المؤلف الشهير فرانسيس بيكون، وساعده على ترجمة بعض مقالاته إلى اللاتينية.

بعد وفاة تلميذه المذكور وليم حصل على وظيفة معلم خاص لابن السيرجير فاز كليفتون، ورافق تلميذه في رحلة إلى باريس. وأثناء هذه الرحلة وقع بصره على نسخة من كتاب " العناصر " لإقليدس، فبدأ يهتم بالرياضيات والهندسة، وكان قد بلغ الأربعين من عمره. وكان اهتمامه بالهندسة بداية تحول في تفكيره.

(1) مؤرخ يوناني عاش في القرن الرابع قبل الميلاد.

وطلبت منه أسرة كافندشي مرة أخرى أن يتولى تعليم ابن تلميذه السابق " إيرل دفونشاير الجديد "؛ وركز على تعليمه الأدب الكلاسيكي والمنطق وعلوم البلاغة والفلك وغيرها. ورافقه في رحلة طويلة إلى فرنسا وإيطاليا. واستغل هوبز رحلته لتعميق معلوماته الفلسفية. وفي باريس شارك في أحد النوادي الثقافية [1]، كما زار العالم غاليلي في إيطاليا. وعندما عاد إلى انكلترا شرع في العمل على إعداد نظام فلسفته.

وعندما بدأ الصراع بين الملك شارل الأول والبرلمان، سارع الفيلسوف إلى تأليف كتابه " مبادئ القانون الطبيعي والسياسي " الذي يدافع فيه عن امتيازات الملك وسلطته. وعندما اشتد الصراع بين الملك والبرلمان، خاف على نفسه وسافر إلى باريس عام 1640، ومكث هذه المرة في فرنسا طيلة أحد عشر عاما. وكان يوجد فيها عدد كبير من الانكليز اللاجئين.

انتسب هوبز من جديد إلى النادي الثقافي المذكور، وطُلب منه أن ينشر تعليقا على كتاب للفيلسوف ديكارت عنوانه " تأملات "؛ ولكن انتقاده للكتاب لم يحظ بالترحيب. وزاد اهتمام هوبز بالمشاكل السياسية وألف كتابه المعنون " المواطن ". وعندما لجأ إلى باريس أمير ويلز (الذي اعتلى العرش فيما بعد باسم شارل الثاني) طلب من هوبز أن يكون معلمه الخاص.

وفي عام 1651 نشر كتابه الشهير الذي يحمل عنوان LEVIATHAN

(1) هو نادي مرسين العلمي، ومرسين هذا عالم في الرياضيات واللاهوت.



(لواياثان)، الذي انتقد فيه بعض التعاليم والآراء الدينية وخشي سطوة الكنيسة الكاثوليكية في فرنسا، فاضطر هذه المرة للهروب إلى انكلترا حيث أعلن ولاءه للنظام الجديد [1]، وجدد علاقته بإيرل دفونشاير الذي ظل يقدم له منحته السنوية. وواصل هوبز العمل من أجل استكمال نظامه الفلسفي. وظلت آراؤه تواجه انتقادا شديدا.

وعندما اعتلى شارل الثاني (تلميذه) العرش، حظى هوبز لديه ببعض الرعاية، غير أن ما ورد في كتاباته من انتقاد للكنيسة خلق له أعداء كثيرين، واعتبر كتابه " لواياثان " من الكتب التي تنتهك المقدسات، فاتهم بالإلحاد، وطالب بعض المسؤولين بإحراقه؛ ومنع من نشر أي مطبوعات تتناول موضوع المعتقدات والأخلاق.

وفي السنوات الأخيرة من حياته انتقل إلى ضيعة إيرل كافندشي، الرجل الذي رعاه وأحسن إليه، وكتب هوبز سيرته الذاتية، كما " سلى نفسه " بترجمة الأوديسة والإلياذة إلى الإنكليزية، وعمره نحو 87 سنة وتوفي في شهر ديسمبر من عام 1679.

ترك هوبز مؤلفات عديدة منها (بالإضافة إلى ما ذكر): المواطن؛ مبادئ القانون؛ الطبيعة الإنسانية؛ مبادئ الفلسفة؛ الأصول الفلسفية؛ بهيموث (تاريخ الحرب الأهلية في انكلترا)؛ ولكن أهم مؤلفاته هو كتابه الذي يحمل عنوان " لواياثان " وهي كلمة تشير إلى حيوان بحري (أو التنين) ويقصد بها الكاتب: الدولة القوية.

---

(1) النظام البيورتاني الذي استولى على الحكم بزعامة كرومويل، بعد قتل الملك شارل الأول.



يتضمن هذا الكتاب أربعة أقسام، القسم الأول عن " الإنسان "؛ والقسم الثاني عن " الدولة "؛ والقسم الثالث عن " الدولة المسيحية "؛ والقسم الأخير عن " مملكة الظلام ". وفيما يلي نبذة عن بعض الأفكار التي وردت في هذا الكتاب.

يرى هوبز أن الإنسان ليس مخلوقا اجتماعيا بالطبيعة، خلافا لرأي أرسطو، بل هو مخلوق أناني مستعد دائما لمحاربة المخلوقات الأخرى من أجل تحقيق مصالحه، لا يعبأ بما هو حق أو باطل.

وفي موضوع حول " سعادة الإنسان وشقائه " في كتابه " لواياثان " [1]، يقول هوبز ما معناه: نجد في طبيعة الإنسان ثلاثة عوامل تدفعه إلى الشجار: المنافسية؛ عدم الثقة بمحيطه؛ والسعي وراء الشهرة. الحالة الأولى تجعله يعتدي من أجل تحقيق مصالحه. والحالة الثانية تجعله يعتدي من أجل تحقيق الأمن. ويسعى في الحالة الثالثة إلى تحقيق طموحاته.

ويلجأ الإنسان في " حالة التنافس " إلى العنف للسيطرة على الرجال والزوجات والأطفال والماشية. وفي حالة " عدم الثقة والخوف " يلجأ كذلك للعنف للمحافظة على ما اكتسب. وفي " بلوغ الشهرة " يلجأ كذلك إلى العنف لمواجهة أي عمل أو رأي ينقص من قيمته أو قيمة أقربائه وأصدقائه أو مهنته أو بلده.

---

(1) الفصل الثالث عشر.



ذلك أن الإنسان، حسب رأي هوبز، قبل التنظيم الاجتماعي كان يعيش في حالة حرب يتربص فيها كل شخص بالآخر شرا، غير مكترث بمفهوم العدل والظلم والخطأ والصواب. وللخلاص من ظروف حياته الصعبة ومن عزلته وافق على أن يعيش مع بنى جنسه في ظل نظام جماعي إذا كان يحقق له الأمن. ويقول الفيلسوف: " كل إنسان يسعى لتحقيق السلام، وأن يتخلى عن جميع حقوقه، إذا فعل غيره مثل ذلك، وأن يقنع بالقدر من الحرية الذي سمح به للآخرين ".

ثم يوضح بأن العوامل التي تدفع الناس نحو السلم هي الخوف من الموت؛ والرغبة في الحصول على المواد التي تنعش الحياة، والأمل في العمل.

ولتحقيق الأمن والسلم حصل اتفاق بين الناس (وليس بين الجمهور والحاكم كما يرى غيره) على اختيار شخص يسلمونه حقوقهم، وتكون له السلطة المطلقة، ويكون مسؤولا أمام الله وليس أمام الشعب، ولا يعترض على حكمه أحد، ولا تنافسه الكنيسة على سلطته حتى لا يجد الناس أنفسهم أمام سلطتين (في حالة الخلاف). ويسهر هذا الملك على تحقيق الأمن وحفظ النظام، وتنفيذ القوانين. بعد ذلك عدّل هوبز قليلا من دعمه للملك ذي السلطة المطلقة، فقال بأنه يجوز للجمهور أن يخالف سلطة هذا الملك إذا عجز عن حماية الشعب من أخطار تهدده.

يقول هوبز بهذا الصدد في كتابه " لواياثان " ما مفاده " أعظم



سلطة هي تلك السلطة التي تنتج عن موافقة أكبر عدد من الناس على شخص واحد، يجعلون قوتهم تحت تصرفه من أجل حماية مصالحهم". وهو ينتقد الديمقراطية لكونها " تمنح الفرص لزعماء متمرسين بأساليب الدعاية ليثيروا الجماهير الجاهلة ضد السلطة المركزية ". ولذلك ينبغي أن يكون للملك السلطة المطلقة ليتمكن من تشديد الرقابة على جميع وسائل الدعاية التي تلجأ إليها المعارضة.

وفي أحد فصول الكتاب يتناول الفيلسوف موضوع القوة، من بين موضوعات أخرى، فيجعلها قسمين: أولا - القوة الشخصية الطبيعية، مثل المؤهلات البدنية، كالقوة العضلية؛ والميزات الفكرية، مثل حصافة الرأي، وفصاحة اللسان، والمواهب الفنية وغيرها.

والقسم الثاني هو القوة المكتسبة التي يتحصل عليها المرء بفضل قواه الطبيعية أو بمساعدة التوفيق الإلهي (وهو ما يسميه البعض الحظ السعيد).

وبالإضافة إلى ما سبق ذكره، وهو أن أعظم قوة بشرية هي تلك القوة التي تنجم عن اجتماع عدد كبير من الناس واتفاقهم على أن يولوا عليهم شخصا ليسير شؤونهم وينظم مجتمعهم، يشرح الكاتب المصادر الأخرى لقوة الشخص، الطبيعية والمكتسبة، ومنها:

- الغني، إذا رافقه السخاء، قوة لأنه يمكن المرء من اكتساب الخدم، والأصدقاء ..... إلخ.



- الشهرة، فمن يتمتع بشعبية كبيرة يحظى بدعم كثير من الناس ومساعدتهم.
- النجاح، قوة لأنه يجعل صاحبه من ذوي الحكمة والحظ والخبرة.
- حصافة الرأي، فالشخص الذي يشتهر بسداد الرأي وحسن تسيير الأمور أثناء السلم والحرب، يثق به الناس ويطمئنون إلى رأيه.
- البلاغة، فصاحة اللسان وحسن المنطق قوة لا ينكر تأثيرها.
- المهن، مثل صناعة المحركات وأدوات الحرب قوة عظيمة ضرورية للدفاع وتحقيق النصر.

" وليست قيمة الشخص ما يدعيه لنفسه فقط، بل إنها الثمن الذي يحصل عليه عندما " يستخدم قوته ". فللقائد الماهر قيمة كبيرة أثناء الحرب؛ وللقاضي العادل قيمة كبيرة أثناء السلم، وتنخفض في حالة الحرب. والسوق هي التي تجدد الثمن "[1].

(1) الفصل العاشر.

بليز باسكال

BLAISE PASCAL



ولد باسكال سنة 1623 في كليرمون فيرون (فرنسا) وكان أبوه رئيس محكمة الضرائب، وتوفيت أمه وعمره 3 سنوات. وفي 1631 انتقل الأب إلى باريس، واهتم بتعليم أولاده. ودرس باسكال اللغتين اليونانية واللاتينية والهندسة، وساعده أبوه وشجعه على الدراسة لما لاحظ فيه من ذكاء واجتهاد، وهيأ له الظروف الملائمة في مجالات العلوم المتوفرة.

كتب باسكال بحثاً هاماً عن الأجسام المخروطية، كما صنع عام 1642 آلة حاسبة ليستخدمها أبوه في حساباته. وواصل بحوثه العلمية فاخترع محققنة وكتب بحثا عن " الفراغ "، وعن السوائل فأكد ذلك شهرته. وبينما كان باسكال يتابع نشاطاته العلمية، بدأ يهتم بالمسائل



الدينية، فاعتنق هو وأفراد أسرته مذهب الـ JANSENISME، وهو مذهب يقول بأن خلاص الإنسان يأتي عن طريق عفو الله ورعايته، وليس بالعمل الصالح فقط؛ وأن هذا الخلاص نعمة من الله يهبها لعدد من أوليائه المصطفين.

وفي عام 1654 بدأ باسكال يفكر في اعتزال العالم لما شاهد من خداع وتضليل ومُقْلِقَات، فدخل ديرا في Port-Royal، غير أنه لم يعتزل الناس كليا. وبدأ يكتب رسائله Les Provenciales سنة 1656 مدافعا عن مذهب الـ Jansenistes في معمعة النقاش الديني الدائر بين المذهب المذكور واليسوعيين. وحدث أن شفيت قريبته من مرضها فاعتبر ذلك معجزة، وبدأ يسجل مجموعة من الأفكار والتأملات والاقتباسات عن الدين المسيحي، نشرت تحت عنوان Les Penseés .

وعندما اشتد عليه المرض وزع ما يملك على الفقراء، وترك منزله لعائلة فقيرة، وانتقل ليعيش مع أخيه إلى أن توفي سنة 1662، ولم يتجاوز التاسعة والثلاثين من العمر.

من أقواله :

- للقلب حجج وأعذار لا يعرفها العقل.
- حتى الفصاحة إذا استمرت طويلا تصبح مملة.
- إذا اشتكى الفلاح أو الجندي من قساوة القدر عليه، دعه يجرب البطالة.



- عاملان يتحكمان في طبيعة الإنسان : الغريزة والتجربة.
- عرف سليمان الشقاء عن طريق الملذات، وعرفه أيوب عن طريق الآلام.
- ستجد رسالتي هذه أطول من المعتاد، لأنني لم أجد وقتا كافيا لأجعلها قصيرة.
- ليس بيننا وبين الجنة أو الجحيم إلا الحياة، وما أسهل تحطيمها.
- ما أتفه الرسم، فهو يثير إعجابنا لكونه يشبه أشياء لا نعجب بأصولها.
- الإنسان؟ يا له من وحش، فوضى، متناقضات، أعجوبة، حكم، حشرة حقيرة، مستودع الحقائق، بؤرة الشك والأخطاء، مجد العالم وعاره.
- الإنسان ليس ملكا ولا حيوانا. والمؤسف أن من يفعل فعل الملك، يفعل كذلك فعل الحيوان.
- هل نتبع الأغلبية لأنها على حق؟ كلا ، لأنها الأقوى.
- عندما يرتكب الإنسان الشرور بدافع ديني، فإنه يرتكبها بحماس وابتهاج.
- طب نفس، فما كنت لتبحث عني لو لم تجدني.
- الهدوء العميق في هذا الكون اللانهائي يرعبني.



بــــاروخ سبينــوزا

BENEDICT DE SPINOZA



في عام 1656 أصدرت هيئة كنيس أمستردام بيانا شديد اللهجة تعلن فيه حرمان باروخ سبينوزا من جميع المزايا الدينية والاجتماعية، وتطلب من الناس ألاّ يقدموا إليه أية خدمات يحتاج إليها. ومما ورد في قرار الحرمان:

" ... وليمْحُ الله اسمه من سجل أصحاب الجنة، وليُدَمِرْه من بين قبائل بني إسرائيل، وليصب عليه جميع لعنات الأفق التي وردت في سفر القوانين ...، ويُحَرَّمُ على أيّ إنسان أن يتحدث إليه، أو يكتب إليه، وأن يظهر نحوه أية شفقة، وأن يسكن معه تحت سقف واحد، أو يقترب منه .. إلخ ".



ينحدر سبينوزا من أسرة يهودية كانت تقطن البرتغال وعندما أجبَرتْهم محاكم التفتيش على اعتناق المسيحية، هاجروا إلى هولندا لما كان يسود فيها من تسامح ديني. ولد سبينوزا في امستردام سنة 1632، وتعني كلمة " باروخ " العبرية " مبارك "، لذلك ترجمت إلى اللاتينية فأصبح يعرف باسم BENEDICTUS. ورغم ما في الاسم من تفاؤل لم تكن حياته كلها مباركة أو سعيدة، على الأخص فيما يتعلق بالحالة المادية والصحية.

وتوفيت أمه وعمره لا يتجاوز ست سنوات، ويروى أنه ورث منها داء السل. وبدأ تعليمه في مدرسة عبرية فدرس الكتب المقدسة (العهد القديم والإنجيل)؛ ثم اطلع على فلسفة عدد من الفلاسفة اليهود مثل موسى بن ميمون، وإبراهيم بن عزرا. كما درس الفيلسوف ديكارت وتأثر بأفكاره. واهتم باللغات فدرس العبرية والأسبانية والألمانية والهولندية واللاتينية؛ كما درس الهندسة والرياضيات والعلوم الاجتماعية.

عندما توفي أبوه سنة 1654، نشأ خلاف بينه وبين أخته (غير شقيقة) حول الميراث، وعلى الرغم من أن الحكم القضائي كان لصالحه، فقد ترك لها كل شيء، ولم يأخذ سوى سرير. وأصبح باروخ (أو بَنَدِكْتْ) وحيدا مضطرا لكسب معيشته، وكان العمل الذي ساعده على ذلك طوال حياته هو شحذ العدسات التي تستعمل في المجهر والمكبر والنظارات، وصقلها.



بدأت آراؤه الثورية تجاه الأديان تسبب له المشاكل منذ وقت مبكر في حياته، وراح يثير بعض التساؤلات والشكوك حول قضايا مهمة تتعلق بالعقائد. وانتقد أفكار وتعاليم وردت في العهدين القديم والجديد، وأثار شكوكا حول الشخصيات التي " ألفت " عددا من الأسفار مثل سفر أيوب، ويشوع، وموسى (باستثناء الوصايا). وتساءل كيف يمكن ليشوع " أن يوقف الشمس عن دورانها حول الأرض؟ " واعتبر ذلك جهلا بالحقائق الفلكية.

وأثار الشكوك حول وجود الملائكة، وخلود الروح، واختيار الإله للشعب اليهودي، ورفض فكرة عودة المسيح إلى الحياة وخروجه من القبر، وظهوره للناس فترة قصيرة. وانتقد الطقوس الدينية وما فيها من تعقيدات، وأكد أنه لا علاقة لها بالأخلاق الفاضلة، وأفضل الطقوس هو معاملة الناس معاملة حسنة. وهكذا تبلورت آراؤه عبر السنين.

وعلى أساس هذه الآراء وغيرها، ما كان لزعماء الجالية اليهودية، في هولندا وخارجها، " وهم قوم يلتزمون بعقائدهم "، ويفخرون بتاريخهم، ويخشون ردود فعل المسيحيين، أن يسكتوا على هذا الشاب المهرطق، وأن يسمحوا له بأن يحطم عقيدتهم أو يشوه مبادءها. وقد حاول زعماء اليهودية أن يسكتوه بالترغيب أولا، وعرضوا عليه مبلغا سنويا فرفض، وهو الفقير المحتاج؛ ثم لجأوا إلى الترهيب فلم يرضخ. وأخيرا كان قرار الكنيس المشار إليه بإنزال اللعنات عليه وإخراجه من رحمة العقيدة التي انتقدها. وكان عمره عند صدور هذا القرار لا يتجاوز 24 عاما.

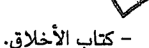


كان باروخ سبينوزا يميل إلى حياة البساطة والهدوء، لذلك انتقل عام 1560 إلى قرية رينزبوغ، قرب لندن، ليجد الجو الملائم للدراسة والبحث، ومكث فيها ثلاث سنوات، ثم انتقل إلى لاهاي ليكون قريبا من بعض أصدقائه. وفي سنة 1673 عرضت عليه وظيفة أستاذ في جامعة هايد لبيرغ فاعتذر قائلا بأنه لا يرغب في إلقاء محاضرات في الأماكن العامة. وفي لاهاي زاره الفيلسوف ليبْنِتْزْ ، وكانت قد جرت بينهما مراسلات قبل هذه الزيارة.

وتفاقم مرضه بسبب أسلوب حياته وعمله، وبسبب ما كان يستنشق من غبار الزجاج المتطاير في غرفته. عانى بسبب الداء، وحرمان الكنيس؛ ونال حظه من الانتقاد اللاذع من عدد كبير من معاصريه، ومدحه بعضهم. أحب ذات يوم فتاة ورفضته، فأعرض عن الزواج طوال حياته. وتوفي عام 1677، في شهر فبراير، عن عمر لا يتجاوز 44 سنة. وكانت تركته مكتبة فيها نحو 160 كتابا، وبعض الأثاث، وعددا من العدسات التي صقلها، وعددا من المخطوطات.

ومن مؤلفاته :

- المبادئ الفلسفية لديكارت على أساس هندسي.
- رسالة موجزة عن الله والإنسان.
- رسالة عن إصلاح العقل.
- رسالة عن اللاهوت والسياسة.



- كتاب الأخلاق.

- كتاب عن قواعد اللغة العبرية (لم ينته من إعداده).

وقد رفض أن ينشر معظم مؤلفاته نظرا لما كانت تسبب له آراؤه من مشاكل وردود أفعال وانتقادات.

تناول سبينوزا في كتابه " الأخلاق " موضوعات عديدة منها: الإله، والطبيعة، والإنسان، والفكر، والانفعالات (العواطف) والإله في فلسفته ليس شيئا مهيبا أو حاكما عظيما خارج الكون، بل قدرة، حالٌّ في الكون، إنه نظام الطبيعة في شموله وعظمته، الطبيعة التي ليس لها بداية ولا نهاية.

والإنسان مجموعة من الرغبات، مدفوع بغريزته إلى السعي للحصول على اللذة وتجنب الألم. فالرغبات قوة ديناميكية تدفع الإنسان نحو الحياة، نحو المحافظة على البقاء. والواقع أنه عندما يُحقق رغبة يشعر بالبهجة، وعندما يفشل في ذلك يشعر بالحزن والضعف.

والفضيلة في نظره هي أن يبذل المرء جهده من أجل ضمان وجوده، وأن يحسن توجيه رغباته من أجل تحقيق الرضى والسعادة. فبقدر ما ينجح في نيل ما ينفعه ويؤكد بقاءه، يزداد حظه من الفضيلة. ولهذا فهو يرى أن الفضيلة لا علاقة لها بتعاليم الأديان وإرشاداتها.

ومن آرائه التي وردت في الكتاب المذكور:

- يعتبر الشيء خيرا بالضرورة ما دام منسجما مع طبيعتنا.



- بقدر ما يعيش الناس وفقا لتوجيهات العقل، يتناغمون مع الطبيعة.
- بقدر ما تهيج الانفعالات حياة الناس، يسود التنازع بينهم.
- الشخص الذي يدفعه الخوف لفعل الخير وتجنب الشر، لا يتصرف وفقا لمنطق العقل.
- التوبة ليست فضيلة، لأنها لا تنبع من العقل. والإنسان الذي يندم عما فعل بائس مرتين، أو ضعيف.
- الابتهاج كله خير، حتى عند الإفراط فيه، أما الحزن فهو شرٌّ على الدوام.
- الرجل المغرور يفضل المتملقين، وينفر من ذوى النفوس النبيلة.

ومن أقـوالـه :

- الأشياء التي يعتبرها الناس أعظم خير يمكن تلخيصها في ثلاثة: الغنى، الشهرة، الملذات. ويظل المرء مشغولا بها لدرجة أنه نادرا ما يفكر في مصدر آخر من مصادر الخير.
- لا سلطة للإنسان على أفعاله (مذهب الجبرية).
- ليس البخل والطموح والشهوة إلا أصناف من الجنون، على الرغم من أنها لم تدون في سجل الجنون.
- عندما يرضى الإنسان بأن يعيش في ظل السلطة الحاكمة يسلم



جزءا من حقوقه لها. ولهذا يجب أن يكون الحاكم عادلا، وألا يتدخل في حرية تفكير المواطنين.

- كثيرا ما أدّى تعدد العقائد الدينية إلى إثارة العداوة والبغضاء بين الناس، وإلى إثارة النزاعات والحروب.

- من تعتمد شهرته على الرعاع يجب عليه أن يعمل باستمرار للمحافظة عليها، لأن سلوكهم لا يدوم على حال.

- الحزن يعرقل قدرة المرء على الإنتاج.

- لو كانت رغبة الناس في السكوت تعادل رغبتهم في الكلام لتحسنت ظروف حياتهم.

دفيد هيوم

DAVID HUME



ولد دفيد هيوم في مدينة أدنبرة سنة 1711، وتوفي أبوه وهو لم يوف الثالثة من عمره. وانتسب للجامعة حيث درس اللاتينية واطلع على عدد من كتب الفلسفة والأدب، غير أنه لم يحصل على الشهادة. وأشارت عليه أسرته بدراسة القانون. ولم يجد في نفسه رغبة في مواصلة الدرس فعزف عنه، وعاد للاهتمام بالفلسفة. وحاول أن يغير شيئا من ظروف حياته فعمل في متجر غير أنه لم يبق فيه طويلا.

سافر إلى فرنسا واستقر في مدينة لافليش حيث قضى ثلاث سنوات، وألف كتابه " رسالة في الطبيعة البشرية " الذي لم يلق نجاحا يذكر. وبدأت ظروف حياته تنتعش عندما نشر كتابه " مقالات أخلاقية وسياسية " إذ حقق له نجاحا كبيرا. وفي سنة 1745 قبل وظيفة معلم



خاص لمركيز شاب كان يعاني من اختلال في تفكيره، وكان ذلك مقابل مبلغ 300 جنيه في العام. ثم عمل سكرتيرا للجنرال سان كلير، ورافقه في مهام عديدة في فيينا وترين، ومكنته هذه الرحلات من أن يعود إلى اسكوتلندا ومعه بعض المال. وحصل بعد ذلك على وظيفة أمين مكتبة المحامين في مدينة أدنبرة، وسمح له عمله هذا بإنجاز عدد من البحوث، وخاصة كتابه " تاريخ انكلترا " الذي حقق له شهرة كبيرة.

وفي عام 1763 حصل على وظيفة هامة في السفارة البريطانية في باريس حيث أصبح من الشخصيات المحبوبة، خاصة لدى السيدات، (لم يتزوج هيوم) وتمتع بإقامته، ونال شهرة واسعة. وكانت الكونتيسة دبوفليه تراسله وتستلطفه، وعندما جاء إلى باريس شملته بعنايتها وأغدقت عليه رعايتها، غير أن الفيلسوف لم يتجاوز علاقات الصداقة مع هذه السيدة. وعاد إلى بلاده سنة 1766، واصطحب معه جان جاك روسو الذي كان يعاني من مضايقات في فرنسا. غير أنّ صداقتهما لم تعمر طويلا.

شغل هيوم، بعد ذلك، وظيفة وكيل لوزير الخارجية لمدة سنة. ثم عاد إلى مسقط رأسه، مدينة أدنْبرة، حيث بنى منزلا جديدا، وقرر أن يستقر آملا أن يزيد إنتاجه ويتمتع بشهرته. أصيب هيوم بمرض سنة 1775، وزار مدينة باث للعلاج، ولكن الداء اشتد عليه بعد عودته، وتوفي في شهر أوت (أوغسطس) عام 1776.

ترك دفيد هيوم مؤلفات عديدة منها: رسالة في الطبيعة البشرية؛

مقالات أخلاقية وسياسية؛ بحث في الفهم البشري؛ محاورات في الدين الطبيعي؛ بحث في مبادئ الأخلاق؛ تاريخ انكلترا، وغيرها. وقال عنه جيمز بوزويل: بأنه أكبر كاتب في بريطانيا. وقد زاره هذا الكاتب قبل وفاته بقليل وسأله: هل أصبحت تؤمن بالخلود الآن؟ فأجابه دفيد بما يؤكد أنه لم يغير رأيه في هذا الموضوع.

كان هذا الفيلسوف يدعو إلى الاعتماد على تجربة الحواس، ويرى أن المعرفة في النهاية تأتي من تجربة حواس الإنسان، وأن الفكر مجموعة من الإحساسات والذكريات. وينتقد الأديان، وينكر وجود المعجزات، ويقول إنه لم يحدث في تاريخ المعجزات أن معجزة واحدة أكد صحتها أشخاص من ذوى الإدراك السليم والثقافة الصحيحة، وبلغوا من الصدق ما يجعلهم فوق أيّ شك من أنهم يهدفون إلى مخادعة الناس. ويضيف بأن المعجزات إنما حدثت بين أناس تفشى وسطهم الجهل، ويتساءل: "ما لنا لا نشاهد أيّ معجزة في عصرنا هذا؟".

وقال في انتقاد المسيحية الكاثوليكية " من الجوهري للمذهب الكاثوليكي أن يؤجج الكراهية ضد أيّ عقيدة أخرى، وأن يعتبر جميع الوثنيين والمسلمين والمهرطقين معرضين لغضب الله ونقمته. ومع أن هذه المشاعر (يعني مشاعر الكاثوليك) تستحق كل مذمة، نجد أن المتعصبين من الكاثوليك يعتبرونها من الفضائل، ويصورونها في مسرحياتهم وملاحمهم كأنها صور من البطولة ".

ونظرا إلى مهاجمته للدين واجهت بعض مؤلفاته حصارا من



رجال الدين، ووضع الفاتيكان مؤلفاته على قائمة الكتب التي منع وجودها في مكتبات الكنيسة، كما حرم من وظائف مهمة. ولكن صديقه بوزويل قال عنه: لقد كان هيوم أقرب ما يكون إلى الرجل الفاضل الحكيم، بقدر ما يسمح به ضعف الطبيعة البشرية ".

وللكاتب مقال يتناول فيه " تطوير الفنون " ويقدم له بالحديث عن دور الكماليات (كل ما يتمتع به المرء من ملذات حسية وروحية زيادة على ضروريات الحياة)، فيقول : يمكن للمرء أن ينظر إلى الكماليات من الجانب الحسن أو الجانب السيئ. وهي بصفة عامة تعني تهذيب الكيفية التي يشبع بها المرء حواسه. وأي درجة من الكماليات تستحق الاستحسان أو الذم وفقا لسنّ المرء وبلدة وظروفه ... فإذا انْشغل الشخص انشغالا كاملا بملذات المائدة، مثلا، من غير أن يستمتع بلذة الطموح والدرس والحوار، يعتبر ذلك من علامات الغباء.

ثم يتحدث عن الأشخاص الذين يمدحون الكماليات حتى في أسوأ حالاتها ومستوياتها، وعن أولئك الذين يذمون الكماليات حتى في حالاتها البريئة. ويحاول أن يصحح هذا التطرف في الرأيين فيقول إن العصور التي سادت فيها الفنون الراقية كانت عصورا سعيدة، وإن الكماليات إذا كانت غير بريئة أصبحت غير نافعة. ويتابع: " ففي الظروف التي تزدهر فيها الصناعات والفنون، يستمتع خلالها الناس بثمار أعمالهم، ويكتسب الفكر قوة جديدة ...، وإذا ألغينا الفنون من مجتمع ما فإننا نحرمه كذلك من فرص العمل ومن متع الحياة ".



وفي رأيه أن سعادة الإنسان تكمن في ثلاثة عناصر: العمل، اللذة، الراحة، بنسب مختلفة. فإذا فقد منها عنصرا فقدانا كاملا، فإن هذا يحطم، إلى حد ما، نكهة التركيب بكامله. ويؤكد هيوم في مقاله المذكور بأن الصناعات، والمعرفة، والإنسانية، مرتبطة بعضها بالبعض الآخر بسلسلة لا تنفصم. وهي تسود في العصور المستنيرة والمجتمعات الراقية. ويضيف بأن هذه العناصر الثلاثة تنتشر تأثيراتها الإيجابية على مستويات المجتمع، وتزيد في ازدهار الحكومات، وفي رقي الأفراد وسعادتهم ".

" والرد على الذين ينبذون الكماليات حتى في حالاتها البريئة، هو أن إشباع الرغبات الحسية ليس شرا في حدّ ذاته، إلا إذا كان يستهلك جميع نفقات الشخص، ولا يترك له مجالا للقيام بواجبات الإحسان والسخاء، حسبما تتطلبه الظروف .. ".

ويواصل هيوم ، في فقرة أخرى :

" إذا منعنا الكماليات " السلبية "، من غير أن نعالج حالات البطالة، والكسل والإهمال واللامبالاة تجاه الآخرين، فإننا بذلك نخفض مستوى النشاط الصناعي، ولا نعوض شيئا عما يقدمه الناس من إحسان وسخاء للآخرين ".



آرثـــر شـوبنهـور

A. SCHOPENHAUER

ولد شوبنهور سنة 1788 في مدينة دانسيغ. كانت أمه امرأة مثقفة كتبت عددًا من القصص، وأبوه تاجرًا موسرًا له اهتمامات ثقافية. وعندما استولت بروسيا على دانسيغ، انتقلت الأسرة إلى هامبورغ، وكان عمر الفتى خمس سنوات. درس شوبنهور في هامبورغ، ثم قضى فترة في فرنسا ليتعلم اللغة الفرنسية.

وبعد وفاة أبيه عام 1805، ذهبت أمه وأخته إلى فايمار حيث انضمت إلى نادي اجتماعي كان من جملة أعضائه الشاعر غوته (GOETHE). وقرر الفتى أن يستأنف دراسته فركز اهتمامه على الأدب الكلاسيكي والطب والفلسفة. وانتقل إلى برلين سنة 1813، وحصل على



دبلوم الدكتوراه من جامعة جينا (JENA). ثم انتقل إلى فايمار ليعيش فترة إلى جانب أمه. وهناك تعرف على الشاعر غوته.

حصل نزاع بينه وبين أمه فانتقل إلى مدينة دريسدن حيث أقام حتى عام 1818. وهناك ألف رسالته عن " الرؤيا والألوان ". ثم ركز جهده على إعداد تأليفه الرئيس " العالم كإرادة وفكرة ". غير أن إنتاجه هذا لم يحظ بقبول مشجع. وفي عام 1820 عين محاضرا في جامعة برلين، حيث كان الفيلسوف هيغل قد نال شهرة واسعة. ولم يحصل انسجام بين الفيلسوفين، فانبري شوبنهور لانتقاد هيغل، غير أن هذا لم يكن ليساعد على استقراره في الجامعة المذكورة.

في عام 1822 سافر شوبنهور في رحلة طويلة إلى إيطاليا، ثم توجه إلى ميونيخ حيث أقام سنة، ثم عاد إلى برلين. وجه اهتمامه إلى أعمال وقام بمحاولات لم تتحقق جميعها، من ذلك ترجمة بعض مؤلفات الفيلسوف دافيد هيوم إلى اللغة الألمانية، وترجمة الفيلسوف كانت إلى اللغة الإنكليزية؛ ورسالته المذكورة عن " الرؤيا والألوان " إلى اللغة اللاتينية : وغير ذلك.

وفي سنة 1831 استقر في مدينة فرانكفورت، وعاش في عزلة، يعاني المرض. ولكنه واصل اهتمامه بالبحث والتأليف، إلى أن توفى عام 1860.

ومن مؤلفاته، بالإضافة إلى ما ذكر، "رسالة عن حرية الإرادة"، و"حول الإرادة في الطبيعة"؛ و"العالم إرادة وتمثلا"؛ وله كتاب عنوانه



" PARERGA UND PARALIPOMENA " يتضـمن موضـوعات عـن تـاريخ الفلسـفة؛ والكـتابة والأسـلوب؛ والمـرأة؛ والتعلـيم؛ والضـجيج والصوت، وغير ذلك.

مقتطفات من مقال له عنوانه : " حول التعليم " .

يقال إن فكر الإنسان مكون بطريقة تؤهله للانتقال من الملاحظات الخاصة إلى الأفكار العامة، عن طريق التجريد. وهذا هو حال الإنسان الذي يعتمد في كل ما يتعلم على تجربته الخاصة، وليس على المعلم أو الكتاب. وهو يدرك جيّدا الفكرة العامة التي يتوصل إليها انطلاقا من تجاربه الخاصة، وبالنتيجة يعالج مشاغل حياته من وجهة نظر سليمة.

وعلى عكس ما ذُكِرَ، نلاحظ أن الأسلوب الاصطناعي في التعليم هو أن يستمع المرء لما يقول الناس، ويقرأ ويتعلم حتى يملأ دماغهُ بالأفكار العامة (النظرية)، قبل أن يمارس أيَّ اتصال بالعالم الواقعي ليجربه بنفسه.

ولهذا نجد أن شبابنا، بعد مرحلة التعليم الشاقة الطويلة، يدخلون العالم وهم يجهلون الأشياء المهمة في الحياة، ويحملون تصورات خاطئة عنها. والسبب هو أننا نبدأ بأن نعلمهم الأفكار العامة أولا، ثم يتجهون إلى الملاحظات والعمليات المحددة. ونجد أن المعلم يبذل جهودا كبيرة ليحشو دماغ الطفل بأفكار جاهزة الصنع، بدلا من أن



يعمل على تطوير مؤهلاته ويعلمه كيف يحكم على الأشياء بنفسه عن طريق التجربة.

ولهذا يجب ألا ندخل في ذهن الطفل أفكارا ونظريات لم يشارك في وضعها؛ وأن نعلمه كيف يقيس الأشياء بمعاييره، لا بمعايير غيره؛ لعلنا بذلك نجنبه آلاف الأوهام والتصورات الغريبة والأحكام المجحفة. وإلا فإنه يقضى جزءا من وقته في محو هذه التصورات عندما يدخل معترك الحياة.

وينبغي ألاّ يتلقى الطفل، قبل سن 15 من عمره، أيَّ تعليم في الموادّ التي يحتمل أن تؤدي إلى أخطاء جدية، مثل الفلسفة، والعقائد الدينية ....، بل يجب أن يركز اهتمامه على المواد التي لا تحتمل الخطأ مثل الرياضيات؛ أو على المواد التي لا خطر من حصول خطأ فيها مثل اللغات، والعلوم الطبيعية والتاريخ وغير ذلك ".

مقتطفات من مقال له عنوانه : " حول الأسلوب " .

عندما تتضح فكرة سليمة في الذهن .. تجد سبيلها إلى التعبير بسهولة .. أما أولئك الذين يكتبون جملا معقدة عويصة غير واضحة، فإنهم بدون شك لا يعرفون بدقة ماذا يريدون أن يقولوا ... ويلاحظ أن كثيرا من الناس يحاولون أن يخفوا فقرهم في التفكير في طوفان من الألفاظ.

ومن الأفضل أن يحذف المرء كلمة أو عبارة من أن يضيف شيئا لا



يستحق أن يكتب. وهذا ما يعنيه المثل القائل " النصف أكثر من الكل ". الشخص الذي يقول أو يكتب كل شيء شخص مملّ. فمن المفيد أن يكتفي المرء بالتعبير عن جوهر الفكرة. ومن علامات الضعف أن يستعمل الإنسان ألفاظا كثيرة للتعبير عن أفكار قليلة. ومن الأمثلة على التعبير المحكم السليم قول أيوب (عليه السلام) عن الحياة " ابن المرأة حياته قصيرة، مفعمة بالشقاء؛ يولد، يقطف مثل الزهرة، ينساب مثل الظل، ولا يدوم على حال ".

" وكما ينبغي للمرء أن يتجنب الإفراط في الزخرفة عندما يبني منزلا، كذلك في فن الأدب، ينبغي له أن يحذر الإكثار من العبارات المنمقة، والإسهاب غير الضروري، والتعابير الزائدة. إن قانون البساطة ينطبق على جميع الفنون، لأنه من الممكن أن يتوخى الفنان البساطة ويبلغ بفنه الذروة ".

مقتطفات من مقال له عنوانه " حول بعض أنواع الأدب ".

"... التاريخ للزمان مثلما الجغرافية للمكان؛ ولا يوصف التاريخ بأنه " علم " بالمعنى الحقيقي للكلمة، لأنه لا يتناول الحقائق الكونية إلا في بعض التفاصيل المحددة. والتاريخ هو الدراسة المفضلة عند أولئك الذين يرغبون في أن يتعلموا شيئا من غير أن يبذلوا الجهد الذي تتطلبه دراسة أي فرع من الفروع العلمية الصحيحة التي ترهق ذكاء الإنسان.

وهناك نوعان من التاريخ: التاريخ السياسي، وتاريخ الأدب



والفنون. الأول تاريخ الإرادة، والثاني تاريخ الفكر. الأول يقص حوادث البلايا والكوارث والرعب، ويسجل آلام الإنسان، وأخبار الصراع والخداع، والمجازر الجماعية المرعبة. أما الثاني فهو مصدر السرور والبهجة والهدوء والصفاء ".

ومن أقواله :

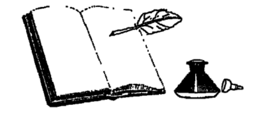
- إذا اتفق المرء جهده في بغض ما لا يعجبه، لم تبق لديه طاقة لفعل ما يعجبه.
- كل إنسان يعتبر أن عالمه هو مجال بصره.
- كل فراق يذيقنا طعم الموت مسبقا؛ وكل لقاء يمثل يوم البعث من جديد.
- الخطيئة الأولى في سلوك المرأة أنه ليس لها إحساس بالعدالة.
- الألم والضجر من أعداء السعادة.
- الجهل يشوه قيمة الإنسان إذا صاحبه الغنى.
- الانغماس في شؤون الدنيا، والعربدة، والترف، وملذات الحياة ليست سبيلا لتحقيق السعادة.
- الصباح فترة مقدسة، فإذا نهضت متأخرا أضعت خلاصة الحياة.
- يمكنك أن تنقش أية أفكار سخيفة في دماغ الطفل، إذا ظللتَ تكررها بجدٍ وإجلال.



- حب المظاهر صفة غريزية في المرأة، سواء كانت ذكية أو غبية.
- لا تكثر من التأكيد على كلامك، وأعط الفرصة لمن يسمع أن يكتشف ما تعني، أثناء ذلك يمكنك أن تتخلص إذا فسره بما لا يروق لك.
- لو توقفت المخلوقات عن التناسُل لأصبح العالم أحسن حالا.

القسم الثالث

شخصيات تاريخية



- شى هوانغ تى
- قمبيز الثانى
- داريوس الأول
- قيصر أغسطس أكتفيان
- ماركوس أريليوس
- كويلاى خان
- هنرى الثامن، ملك إنجلترا
- أليزابيث الأولى، ملكة إنجلترا
- بطرس الأكبر، إمبراطور روسيا
- كاترين الكبرى، إمبراطورة روسيا
- سيمون بوليفار
- أبراهام لنكولن

شى هوانغ تى

SHI HOUANDG TI



ملك وحّد الصين، بنى الجدار العظيم، دفن معارضيه أحياء، أحرق الكتب، وكان يعتقد أن أسرته ستحكم الصين آلاف السنين، ولكن زال سلطانها بعد بضع سنوات من وفاته. ذلكم هو شى هوانغ تي (أي الإمبراطور الأول)، وكان اسمه عند ميلاده شينغ أصبح ملكاً على دويلة CHIN وعمره 13 سنة. ولكنه تسلم الحكم الفعلي عام238 ق.م بعد أن بلغت سنه 28 عاماً.

وانطلق هذا الملك الطموح من مملكته الصغيرة فحارب الدويلات المجاورة حتي قضي على حكامها، وأخضعها بسلطانه فصهرها جميعاً في دولة واحدة سنة 221 ق.م، وجعل الحكم مركزياً وحكمها بيد من حديد.

وأدخل إصلاحات عديدة فألغي النظام الفيودالي وامتيازاته،



ووزع المناصب على أساس الكفاءة لا القرابة، وقسم الامبراطورية إلى 36 ولاية، جعل على كل ولاية حاكماً عسكرياً وحاكماً مدنياً ومفتشاً يراقب سير الأعمال.

وكذلك وحد القوانين والمقاييس، وأنشأ شبكة الطرقات والقنوات والحصون، وحاول تبسيط نظام الكتابة، ونقل السكان من مناطق سكنهم ليقضي على نزعة الإقليمية، وأجبر الأسر الثرية على الانتقال إلى العاصمة ليراقبهم عن كثب ويأمن شرهم، وأصلح ظروف المزارعين، ونشر الأمن وهيبة السلطان، وأصبحت كلمة CHIN (الدويلة التي انطلق منها) منذ عهده تطلق على "الصين" .

ولاحظ شي هوانغ تي أن تراث الفيلسوف كونفوشيوس وتعاليمه لا تتماشى مع حكمه الدكتاتوري، فراح يحرق الكتب الأدبية والفلسفية، بل تجاوز ذلك فحاول أن يقضي على ما سبقه من ثقافة وتقاليد (باستثناء المؤلفات العلمية). وكان يدفن معارضيه أحياء، وفي مشهد رهيب دفن ذات يوم 460 مثقفاً.

وإلي جانب استبداد هذا الملك وطغيانه، فهو الذي شيد الجدار (السور) العظيم الذي يتموج صعوداً وانخفاضاً بين الجبال والوهاد والقفار على حدود الصين الشمالية. يبلغ طوله نحو 2500 كم، وارتفاعه نحو 9 أمتار، وارتفاع الأبراج 12 متراً، وعرض الطريق الذي يخترقه 4 أمتار، ويوجد فيه نحو أربعين ألف برج مراقبة. ويكفي أن يقال عن



هذا الجدار إنه البناء الوحيد الذي أمكن لرواد الفضاء أن يشاهدوه من على سطح القمر بالعين المجردة.

جند الملك مئات الألاف من السكان لإنجاز هذا السور العظيم، وكان الهدف من بنائه صد هجمات قبائل المغول والهون وحماية الفلاحين من اعتداء القبائل الرحل " البربرية ". وسهل السور الاتصال بين أبراج المراقبة، وبينها وبين عاصمة البلاد وذلك بإرسال إشارات الدخان نهاراً، وبالمشاعل النارية ليلاً.

كان شي هوانغ تي يرهب الموت، فبذل جهده للحصول على "إكسير " الخلود. دعا السحرة وخبراء الكيمياء، وطلب منهم أن يعدوا له أدوية تحفظ له الصحة والشباب والحياة. وراح يتناول عقاقير متنوعة ربما كانت هي التي أودت بحياته. كان يعتقد أن إمبراطوريته ستدوم عشرة آلاف سنة، غير أنها لم تدم طويلاً بعد وفاته سنة 280 ق.م.



قمبيز الثاني

CAMBYSES II



قمبيز، أكبر أولاد الملك قورش الثاني، تولي العرش بعد وفاة أبيه، ودام حكمه من 529 إلى 522 ق.م ويروي أنه طلب من أماسيس، فرعون مصر، أن يزوجه ابنته، غير أن هذا الأخير خشي عواقب هذا الزواج، فاختار فتاة جميلة وجهزها بالهدايا، وأرسلها إلى قمبيز ملك بلد فارس، واتخذ ذلك ذريعة لغزو مصر. والواقع أنه كان يهدف إلى توسيع امبراطوريته، والاستيلاء على خيرات مصر. وكان أبوه قد مهد لغزو مصر قبل ذلك.

وحدث أن فر أحد ضباط الجيش المصري، من أصل يوناني، إلى بلاد فارس، وانضم إلى جيش قمبيز، وأفاده بمعلومات قيمة عن الأوضاع في مصر. وساعدت قبائل عربية جيش قمبيز أثناء اجتيازه



الصحراء، فوفرت له ما أمكن من الماء والمؤونة. والتقى الجيشان عند وادي النيل، وكان يقود جيش مصر ابن الفرعون أماسيس (كان هذا الأخير قد توفي). وبعد مقاومة عنيفة انهزم جيش مصر، واستولى قمبيز على مدينتى ممفيس وهيليوبوليس، وخمدت المقاومة، واعتبر قمبيز نفسه الوارث الشرعي لعرش الفرعون.

وازداد طموح « الفرعون » قمبيز، وسعى إلى احتلال إثيوبيا، فقاد جيشا جرارا دون أن يتخذ الاحتياطات الضرورية لتوفير الماء والمؤونة لجيشه، فشل مشروعه وعاد إلى مصر بعد أن استولى على جزء صغير من إثيوبيا.

ويروى أن قمبيز، بعد أن استتب له الأمر في بلاد مصر، واستولى على ثرواتها، سلك سبيل العنف والجبروت، وراح يستهزئ بعقائد الشعب ويدنس مقدساته، فحطم المعابد، وسخر من الآلهة ودمر قبور ملوكها، وأخرج مومياء الفرعون أماسيس وأحرقها. والمعرف أن العجل « أبيس » كان من جملة الآلهة عند قدماء المصريين، وهو عجل أسود، على جبهته بقعة بيضاء، ولا تصبح البقرة حبلى بمثل هذا العجل إلا بعد أن ينزل عليها شعاع سماوى (حسبما يروى).

ولما علم قمبيز بهذا الخبر، أمر أن يؤتي بهذا العجل (الإله) المقدس، وطعنه بخنجره. ويروى أن قمبيز كان يعاني منذ صغره من خلل في صحته، وأن حالته الصحية ساءت، وأصبح يعاني نوبات عصبية، بسبب استهزائه بالمقدسات ونتيجة ما ارتكب من جرائم ضدّ



الأبرياء. وكان هذا الملك يظن أن ما فعله بمعابد مصر وآلهتها وشعائرها وجثة ملكها سيظهر للسكان خطأ معتقداتهم ويجعلهم يتخلون عنها، فلم يزدهم ذلك إلا تمسكا بها، بل أصبحوا يعتقدون أن ما أصاب قمبيز من نوبات عصبية إنما هو نتيجة لعنة صبتها آلهة مصر على هذا الملك المعتدى.

ومن الجرائم التي نسبت إليه أنه قتل أخاه سمرديس خشية أن يبتز منه العرش؛ وأمر بقتل أخته، والتي كانت زوجه في الوقت نفسه، وقتل ابنه. كما أمر بقتل كروسوس (ملك ليديا سابقا)، ثم ندم وأمر أعوانه بإحضاره حيّا، فلما أحضروه أمامه غضب لأنهم لم ينفذوا حكم الإعدام على الفور. واختار ذات يوم 12 رجلا من أشراف الفرس ونبلائهم وأمر بردمهم في التراب حتى لا يبقى فوق التراب سوى رؤوسهم، وتركهم ليقضوا نحبهم بهذه الطريقة الوحشية.

وتجدر الإشارة إلى أن ما ذكر عن وحشية قمبيز، مصدره ما رواه المؤرخ اليوناني هيرودوت، وأن حكاية قتله لأخيه سمرديس ربما يكون قد حاكها الملك داريوس ليسهل استيلاءه على العرش بعد وفاة قمبيز. وبينما كان هذا الأخير في سوريا، عائدا من مصر إلى بلاد فارس، بلغه أن أخاه، سمرديس، قام بثورة ضده. غير أن قمبيز أصيب ذات يوم، وهو يقفز من على فرسه، بجرح عميق توفى على أثره. وكان ذلك في صيف عام 522 ق.م. وبنهاية قمبيز يبدأ عهد ملك آخر من ملوك بلاد فارس، هو داريوس العظيم.

داريوس الأول

DARIUS I

كان داريوس الأول في مصر، يعمل ضمن بطانة الملك قمبيز. وعندما بلغه أن شخصا يدعى بارديا (يسميه هيرودوت سمرديس) قام بثورة في بلاد فارس ضد قمبيز، وعلم أن هذا الأخير توفي في سوريا، في طريق عودته إلى وطنه، رحل مسرعا إلى ولاية ميديا حيث تعاون مع ستة من أشراف الفرس على قتل سمرديس الذي اغتصب العرش من قمبيز، ولكنه لم يبق فيه سوى ستة شهور. وقد كان سمرديس أحد أبناء الامبراطور العظيم قورش الثاني، ولكن داريوس ادعى أن الشخص الذي اغتصب عرش قمبيز ليس من العائلة المالكة، وليس أخا لقمبيز ابن قورش، وإنما هو أحد المجوس المتعصبين. وزعم أن تشابه الأسماء محض مصادفة لأن قمبيز كان قد قتل أخاه سمرديس قبل سنوات خشية أن ينازعه على العرش.



ويروى لنا المؤرخ هيرودوت أن الجماعة الذين تآمروا على سمرديس وقتلوه كانوا ستة سابعهم داريوس، وأنهم اتفقوا على أن يلتقوا في صباح اليوم التالي، في مكان معين، ممتطين خيولهم، وأن الرجل الذي يصهل فرسه الأول عند اللقاء، هو الذي يتولى عرش الامبراطورية الفارسية. وحكى داريوس هذه الحكاية لخادمه الذي يرعى خيله، فوعد الخادم سيده بأنه سيلجأ إلى حيلة تجعل حصان سيده يصهل قبل غيره. اختار الخادم الفرس (الأنثى) التي كان يلازمها حصان سيده، وأخذها برفقة هذا الحصان، وربطها بالقرب من المكان الذي اتفق السبعة أن يلتقوا فيه، وجعل يطوف بحصان سيده حولها، ثم تركه إلى جانبها بعض الوقت ليتعود على مكان وجودها. وفي الصباح، عندما التقى السبعة في المكان الموعود، شعر حصان داريوس بوجود الأنثى بالقرب منه فأطلق أول صهيل، وفي الوقت نفسه شاهد الجميع وميض برق، تلاه دويُّ الرعد، فشعر الجماعة بأن السماء إلى جانب داريوس، وهنأوه بولاية العرش.

واجه الامبراطور الجديد ثورات في ولايات عديدة في شرق البلاد، ولكنه استطاع أن يقضي عليها. ويروى أنه عندما أخمد ثورة بابل أمر بأن يصلب ثلاثة آلاف من كبار شخصياتها ليكونوا عبرة لغيرهم. ثم اتجه نحو مصر، وقضى على ثورتها وقتل واليها.

وبعد أن استتب له الأمر داخل البلاد، اتجه إلى القبائل التي كانت تهاجم حدود الامبراطورية، فهاجم قبائل الاسكينديين شرق بحر قزوين، وتوجه بجيشه شرقا حتى استولى على وادي الهندوس. ثم سار

في اتجاه أوروبا حتى اجتاز مضيق البوسفور ونهر الدانوب، ولاحق قبائل الاسكينديين في أوروبا، غير أنه لم يستطع القضاء عليها. ونشطت جيوش ولاته في تراقيا وآسيا الصغرى فاحتلت مقدونيا وبعض جزر بحر إيجى. بعد هذه الانجازات بدأ داريوس يفكر في احتلال اليونان، فأرسل جيشا للاستيلاء على أثينا، ولكن الأثينيين ألحقوا به هزيمة تاريخية في معركة مراتون سنة 490 ق.م.

ويروى لنا هيرودوت أن السبب الذي دفع داريوس إلى محاولة احتلال اليونان هو أنه قفز ذات مرة من على جواده فأصيب في رجله ودعا طبيبا يونانيا مشهورا لعلاجه؟ حظي هذا الطبيب، وكان يدعى ديموسيدس، بالتقدير والإكرام، ولكنه منعه من مغادرة البلاد. وحدث أن أصيبت زوجة الملك، أتوسا، وهي أخته كذلك في الواقع، بمرض خطير، فوعدها الطبيب أن يشفيها من دائها شريطة أن تغري زوجها داريوس بجميع الوسائل والحيل، ليغزو بلاد اليونان ويضمها إلى بلاد فارس، ليتمكن هذا الطبيب من العودة إلى بلاده. وفي نهاية الأمر رضخ الملك لطلب زوجه، وكان أن هزم جيشه كما سبق في معركة مراتون.

اشتهر هذا الامبراطور العظيم، داريوس الأول بما كان يتمتع به من خبرة في تنظيم البلاد وإدارتها وتشييد المباني. وقد عمل على توطيد اللامركزية، وقسم الامبراطورية إلى عشرين ولاية. وكان يعين على رأس كل ولاية حاكما من الأمراء أو الإشراف، ويعين إلى جانبه قائدا عسكريا مستقلا عنه ليراقب أعماله، ويجعل في كل ولاية أمينا يتصل بالملك مباشرة ويبلغ عن نشاط الوالي والحاكم العسكري.



وقد جمعت إمبراطوريته الواسعة شعوبا وقبائل عديدة، وحضارات متنوعة، من بلاد فارس، الهند، بابل، ليديا، اليونان، فينيقيا، مصر، فلسطين .. إلخ. وكانت هذه المجموعات الحضرية تمثل قاعدة واسعة لحضارة عالمية. وأظهر داريوس مرونة وتفهما كبيرا، تجاه المعتقدات والمقدسات المحلية، وذلك على عكس ما فعله قمبيز في مصر. وكانت الديانة الشائعة في بلاد فارس هي الزرادشتية، وهي عقيدة تركز على ثنائية الصراع بين إله الخير وإله الشر. وكان مؤسس هذه العقيدة، زرادشت، يدعو إلى الإيمان بإله الخير، وبالجنة والنار، وبيوم البعث الذي يلقى فيه المؤمنون جزاءهم في الجنة، ويعاقب الأشرار يوم القيامة بنار جهنم.

وقد أنجز داريوس مشروعات كبيرة لفتح الطرق وتسهيل المواصلات، وتوحيد العملة والمقاييس والموازين، وأسس عاصمة جديدة هي برسيبوليس، وبنى معبد آمون في مصر، وأكمل فتح القناة التي تربط بين نهر النيل والبحر الأحمر، وطلب من والي مصر أن يسجل القوانين المصرية.

وافت داريوس المنية سنة 486 ق.م. وهو يجهز جيشه استعدادا لغزو اليونان، واستعادة هيبة سلطانه في تلك الأصقاع، بعد الهزيمة التي مني بها في معركة مراتون.

قيصر أغسطس (غيوس أكتفيان)

CAESAR AUGUSTUS



ولد أكتفيان سنة 63 ق.م. في مدينة فِلِتْرى الواقعة جنوب شرق روما، لعائلة ثرية. وتوفي أبوه وعمره أربع سنوات.

كان الفتى أكتفيان في منطقة أبولونيا (ألبانيا حاليا) عندما بلغه نبأ اغتيال يوليوس قيصر، خال أمه، سنة 44 ق.م. وكان الامبراطور يوليوس قيصر قد دعم مركز الشاب وتبناه، وأوصى له بجميع ميراثه، ولذلك رجع أكتفيان مسرعا إلى روما ليتسلم ميراثه.

اتفق أكتفيان، الذي كانت سنه نحو 18 عاما، مع اثنين من زعماء روما، مارك أنطونيو [1] و م.أ. لبيدوس [2] على تشكيل سلطة ثلاثية،

(1) قائد عسكري وزعيم روماني، ساند يوليوس قيصر ضد بومبى، أثناء الحرب الأهلية.

(2) رجل دولة انضم إلى يوليوس قيصر أثناء الحرب الأهلية.



وتقاسموا غرب الامبراطورية الرومانية، لأن المنطقة الشرقية كانت آنئذ تحت سلطة قائدين آخرين من قواد روما هما بروتس [1] وكاسيوس [2]. ثم جهز زعماء السلطة الثلاثية جيشا تولى قيادته مارك أنطوينو، وتوجهوا إلى شرق البلاد لمحاربة القائدين المذكورين، وهزموهما في معركتي فليليبى. بعد هذا الانتصار الساحق، تُركتْ تلك المنطقة الشرقية تحت سلطة مارك أنطونيو الذي دخل مصر وتزوج ملكتها الشهيرة كليوبترا. وكان يوليوس قيصر قبله وقع في حبّ هذه الملكة، ويروى أنه أنجب منها ولدا يدعى قيصريون. أما أكتفيان فرجع إلى إيطاليا ليتولى إدارة المقاطعات الغربية من الإمبراطورية وتنظيمها.

وبدأ التنافس بين مارك أنطيو في مصر وأكتفيان في روما من أجل السيطرة على الامبراطورية شرقها وغربها. وعمل أكتفيان على إقناع مجلس الشيوخ وزعماء روما بأن مارك أنطونيو لم يعد مخلصا لروما، وأنه بعد أن تزوج ملكة مصر وقع تحت سيطرتها، خاصة بعد أن وهبها وأولادها مقاطعات غنية من شرق الإمبراطورية. على إثر ذلك أعلن اكتفيان الحرب على كليوبترا لكونها أصبحت عدوا لروما وخطرا على مستقبل الامبراطورية.

استعان اكتفيان بقائد محنك يدعى أغريبا [3] له خبرة في

(1) ساند بروتوس القائد بومبي أثناء الحرب الأهلية التي أعلنها مجلس الشيوخ على يوليوس قيصر، وشارك في المؤامرة التي انتهت باغتيال يوليوس قيصر.

(2) أحد زعماء المؤامرة على يوليوس قيصر.

(3) M.V. Agrippe رجل دولة شهير كان أثناء حياته سندا قويا لأكتفيان، حقق له النصر في المعركة المذكورة.



الحرب. وانتهت معركة أكتيوم (اليونان) بهزيمة جيش مارك أنطونيو وكليوبترا، وكان ذلك في سنة 31 قبل الميلاد، وفرًا عائدين إلى مصر حيث انتحرا. وبموت مارك انطونيو انتهت الحرب الأهلية وأصبح اكتفيان (أغسطس) سيد الامبراطورية. وبموت الملكة كليوبترا انتهى الحكم اليوناني (البطالمة) في مصر التي ضمّها أكتفيان إلى امبراطوريته، وسيطرت روما على البحر المتوسط.

ومن المفيد التعريف بأكتفيان الذي سيطر على السلطة في روما أكثر من أربعين سنة، وغير مجرى الإمبراطورية الرومانية، وترك آثارا عميقة على الشعب الروماني. كان أكتفيان وسيم الطلعة، متوسط القامة، ضعيف البنية، عليل الصحة، عانى من الحساسية ومن داء المفاصل، ولم يكن يتحمل شدة البرد أو الحر. ومع ذلك فقد كان يؤدي جميع أعماله بنشاط وحيوية، وينجز مشروعاته بالصبر والمثابرة، ويسعى إلى أهدافه بعزيمة قوية وإرادة لا تكل.

وكان ذكيا في معاملته لأعضاء مجلس الشيوخ ورجال الدولة وقواد الجيش؛ يلجأ إلى المرونة والدهاء، أو إلى الشدة والعنف بحذق وتبصر. وعلى الرغم من أن هدفه ظل هو السيطرة على جميع وسائل السلطة، فإنه لم يظهر ميله إلى الحكم الدكتاتورى الذي تسبب في اغتيال متبنيه وخال أمه يوليوس قيصر، بل كان يتظاهر بمساندة الحكم الجمهوري، ويراعى مشاعر الزعماء والقواد ويتقرب إليهم. ولذلك كانت منجزاته تبدو كأنها تمت في إطار نظام سياسي يرضى الجميع.



كانت روما تعاني من الفقر وفقدان الأمن والفساد والبطالة، فجاء أكتفيان بكنوز مصر وأحسن استغلالها وتوزيعها فساعد على إنعاش التجارة وتحسين المعيشة. ورضى أعضاء مجلس الشيوخ، وقواد الجيش، والتجار، وأولو الأمر، وعامة الناس عن زعيم أخرج الإمبراطورية من الحرب الأهلية، وساعد على حل بعض مشاكلهم.

ويعتبر أكتفيان أول امبراطور يحكم البلاد بعد القضاء على نظام الجمهورية. وبعد أن ورث لقب " قيصر "، بعد أن تبناه خال أمّه يوليوس قيصر، منحه مجلس الشيوخ ألقابا عديدة أسبغت على شخصه مزيدا من الجلال ووسعت نطاق سلطانه. ومن هذه الألقاب لقب "أغسطس " ولقب " تريبيون "، و" زعيم الشيوخ "، و"ممثل الشعب "، و" رئيس الديانة "، و" أب الوطن "، وكثير غيرها.

بعد أن ضمّ أغسطس مصر إلى روما، عمل على توسيع حدود الإمبراطورية فأصبحت تمتد من البحر الأسود إلى المحيط الأطلسي؛ وحقق ما أصبح يعرف بالسلم الرومانية، أدخل على البلاد إصلاحات واسعة النطاق، وأنجز مشروعات غيرت كثيرا من مظاهر الحياة. من ذلك توسيع شبكة المواصلات، بناء أسطول لمحاربة القرصنة وحماية التجارة، تشييد العديد من المباني والهياكل الفخمة، إنشاء خزانات المياه ومدّ القنوات لتوفير المياه لروما. وقد استعان بصديقه أغريبا لتحقيق كثير من المشروعات.

واهتم أغسطس بالنشاط الأدبي في عهده، فكان يرعى الأدباء



والشعراء، ويقربهم منه، ويشجعهم على الإنتاج الذي يتغنى بعظمة روما، ويشيد بأعمال الإمبراطور. ومن هؤلاء الأدباء الشاعر فرجيل صاحب الإنياذة، والشاعر هوراس، والمؤرخ ليفي.

ومن إصلاحاته أنه أصدر قوانين لمحاربة الفساد والزنى، وتشجيع إنجاب الأطفال، فعمل على تكريم الأمهات اللواتي ينْجبن ثلاثة أطفال فأكثر بمنحهن بعض المزايا، وفرض عقوبات على الشباب العازفين عن الزواج. وعلى الرغم من حرصه على تدعيم الأخلاق الفاضلة والتقاليد السليمة، فقد هزت الفضيحة أسرته، فاضطر أن ينفى ابنته يوليا إلى جزيرة قفراء بسبب علاقات لا أخلاقية؛ ثم ارتكبت ابنتها الخطيئة نفسها فاضطر الإمبراطور إلى إخفاء الفضيحة.

وبما أن الإمبراطور لم ينجب ولدا يخلفه على العرش، وقد تبنى تيبيريوس Tiberius، ومنحه سلطات واسعة، ليعده للحكم من بعده. وتيبيريوس هذا هو ابن ليفيا الجميلة من زواج سابق لزواجها من الإمبراطور الذي أعجب بها فأرغم زوجها على طلاقها وتزوجها. وبقى تيبيريوس وأخوه يعيشان مع أبيهما. وعندما توفي هذا الأخير انتقلا ليعيشا مع أمهما في رعاية الإمبراطور. وأرغم الامبراطور تيبيريوس (وريثه) على طلاق زوجته (كما فعل مع أبيه من قبل ليأخذ منه ليفيا)، وزوجه ابنته يوليا سالفة الذكر. لم يسعد هذا الزواج تيبيريوس، واستمرت يوليا في سلوكها السابق.

وفي سنة 13 ميلادية كتب الامبراطور أغسطس وصيته؛ وفي شهر أغسطس (أوت) من العام التالي وافته المنية وكان عمره 77 سنة.



وتجدر الإشارة في الختام إلى كلمة عبر فيها المؤرخ الإنكليزي إدورد غيبون عن رأيه في الإمبراطور أغسطس فقال " يجب أن نتعرف على أخلاق هذا الإمبراطور المستبد الحذق لندرك كيف قضى على دستور البلاد. لقد ارتدى قناع النفاق منذ كان عمره تسع عشرة سنة، وفعل ذلك بفكر هادئ وقلب جامد وسلوك الجبان. وظل هذا القناع يغطي تصرفاته طوال حياته ... كانت أخلاقه، الفاضلة منها والفاسدة، مصطنعة. وطبقا لما أملته عليه مصالحه. كان في بداية عهده عدوا للعالم الروماني، وفي آخره أبا للعالم الروماني ".

ماركوس أوريليوس

MARCUS AURELIUS



ولد ماركوس سنة 121 م، لعائلة ذات سلطة وثراء؛ وحظى برعاية وتقدير أفراد أسرته، وتلقى العلم على كبار الأساتذة. وكان يميل إلى الفلسفة فتأثر بكتابات الفيلسوف أبكتيتوس EPICTETUS أحد أعلام مدرسة الرواقيين [1]. وتبنى الشابَّ ماركوس عمُّه الإمبراطور أنطونينوس (كما تبنى فتى آخر أصبح أخاه بالتبنى).

وعندما توفى عمه عام 161م، تسلم ماركوس زمام الإمبراطورية [2]، فجمع بين حبه للحكمة والتأمل في الحياة، وبين جنوحه للسلم

(1) مذهب فلسفي أنشأه الفيلسوف زينون حوالي 300 ق.م.

(2) حرص ماركوس على إشراك أخيه بالتبني في السلطة فأضفى عليه لقب " قيصر أغسطس " وبذلك أصبح لروما، لأول مرة في التاريخ، إمبراطوران في وقت واحد.



والمصالحة والتسامح، وبين واجباته كإمبراطور، فوجد أنه لا مناص من الحرب للدفاع عن حدود البلاد والقضاء على الثورات. فقضى هذا الإمبراطور المسالم معظم وقته في صد هجمات القبائل البربرية على شمال الإمبراطورية؛ وفي إخماد الثورات في بريطانيا وأسبانيا، وفي المقاطعات الشرقية. وقد وافته المنية وهو يحارب الثائرين في شمال نهر الدانوب، عام 180م، وعمره 59 سنة.

تأثر ماركوس بالفلسفة الرواقية، وهي فلسفة تشجع الناس على الرضا بنصيبهم من الحياة، وترفع معنويات المحرومين، وتخفف من بطر الأثرياء وكبريائهم، وتقوى روابط المساواة بين الناس، وتعلم الإنسان أن يرتفع عن اللذة والألم معا. وقد عاش ماركوس نفسه خلال فترة من شبابه حياة تقشف وكدّ، يقال إنها أثرت على صحته.

وحتى أثناء وجوده في المعسكرات، وهو يقود جيشه لخوض المعارك، كان ماركوس يجد الوقت ليخلو إلى نفسه، ويسجل تأملاته حول الحياة والموت والإنسان والقدر والكون، فيقول مثلا إن الكون وحدة متغيرة متجددة تحكمها قوى سماوية؛ والإنسان جزء صغير من هذه الوحدة القدسية؛ والحياة حرب مريرة، ومسيرة طويلة في أرض غريبة. ويعترف ماركوس في بداية تأملاته بما حظى به من مزايا، وما تعلم من أفراد أسرته من حكم وتجارب، ويشكر الآلهة التي منحته كل هذه المزايا والخيرات.

ومن أقواله المأثورة التي سجلها في " تأملاته " ما يلي :

- تعلمت من الإسكندر الأفلاطوني ألا أقول لأيّ شخص ليس لدي وقت، وألا أهمل الواجبات التي تقتضيها علاقاتنا مع الناس الذين نعيش معهم، متذرعا بانشغالات عاجلة.

- ... كل ما في الجسد إنما هو جدول، وما يتعلق بالروح فهو أحلام وبخار؛ والحياة معارك متواصلة، ومقام للغرباء، وبعد الشهرة يأتي النسيان. فما الذي يقود الإنسان على درب الخلاص؟ الفلسفة وحدها قادرة على ذلك. إنها تمنع الشيطان داخل الإنسان من اللجوء إلى العنف؛ وتعلو به عن اللذة والألم؛ وتجعله يقبل كل ما هو مقدر عليه ومكتوب له؛ وتعلمه أن ينتظر الموت بفكر مطمئن لمعرفته أن الموت لا يعني سوى تفكك المواد التي يتكون منها كل كائن حي، وبما أن هذا يتم وفقا لسنة الطبيعة فليس فيه أذى.

- لا تضع ما بقي من عمرك مهتما بمشاغل الناس ما لم يكن في ذلك مصلحة عامة؛ لأن انشغالك بالحوادث التافهة يعوقك عن إنجاز الأهداف المفيدة.

- لا تعتبر أيَّ حادث مفيدا لك إذا أعاقك عن الوفاء بوعدك، أو أدى إلى فقدان احترامك لنفسك، أو بغض شخص، أو سوء الظن، أو إلى النفاق أو السّخط على الناس.

- عندما تقول: فلان أساء إليَّ، آذاني ....، فهذه وجهة نظرك. اطرد هذه الفكرة من دماغك يختفي شعورك بأنّك مظلوم.



- إن جزءا كبيرا مما تقول وتفعل غير ضروري. تجنب ذلك، توفر الراحة لنفسك.
- تأمل مادة الكون الفسيح، فأنت لست سوى ذرة منه؛ تأمل زمن الكون، وأنك لست سوى لحظة منه؛ تأمل ما جرت وتجري به الأقدار، وما وجودك سوى جزء صغير منها.
- لماذا تزعج الأرواحُ الغبية الجاهلة الأرواح البصيرة التي تعرف البداية والنهاية، والعوامل التي تتحكم في دورات الكون ومسيرته؟!
- عما قريب ستكون حزمة عظام، حفنة تراب؛ وليس الاسم أو الشهرة سوى الصدى الذي يختفي عندما ينقطع صوتك. أما الأشياء التي نقدرها في الحياة فهي تافهة وحقيرة؛ ونحن نعيش مثل الكلاب يعض بعضنا البعض الآخر.
- أفضل وسيلة للانتقام هي ألاّ تفعل ما فعله من أخطأ في حقك.
- إذا فرضت عليك الظروف وضعا مقلقا عُدْ إلى نفسك حالا، أنقذها من قبضة الاضطراب، وستجد الطمأنينة إذا عدت إلى أحضانها.
- الحقيقة لا تجرح أجدا، بل الخطأ والجهل هما مصدر الأذى. فإذا أقنعني شخص بأن تفكيري أو عملي خطأ، يجب أن أصلح أمري على الفور.
- ما أقسى أن تمنع الناس من الأشياء التي تبدو لهم ملائمة لمصلحتهم وطبيعتهم. وعندما تنزعج إذا أخطأ الناس فأنت في الواقع تمنعهم من الحصول على أشياء يعتقدون أنها تخدم مصالحهم.



- تفتخر العنكبوت عندما تمسك ذبابة، ويفتخر شخص عندما يمسك أرنبا، وآخر عندما يمسك خنزيرا .. أو دبّا، أليس الجميع سراقا؟!.

- كلما قمتَ بعمل توقفْ لحظة واسأل نفسك: هل الموت حادث مريع لأنه يحرمك من ذلك العمل؟

- فكر مليا أيّ رجل كان سقراط عندما أخذت زوجته ملابسه فلبس جلدا وخرج، وماذا قال لأصدقائه عندما خجلوا من لقائه وهو في تلك الحالة.

- قال أبكتيتوس EPICTETUS: عندما يُقبّل الرجل ابنه ينبغي أن يهمس " ربما ستموت غدا ". فقيل له " هذا فأل سيئ " فأجاب: إن أيّ عبارة تعبر عن سنة الكون ليست فألا سيئا. وهل من الفأل السيئ أن نقول: سنقطف سنبلة أو كوز ذرة؟

- تذكر أنك أنت الذي تصدر حكمك على الحوادث، وأنك تتحكم في وجهة نظرك؛ فإذا أزعجك حادث كن مثل البَحّار الذي يتجنب النتوءات الصخرية، وستجد راحة البال.

- إن الإنسان الذي يرحب بكل ما جاء في موسمه، ولا يهمه إن كانت منجزاته عظيمة أو صغيرة ما دامت متماشية مع العقل السليم، ولا فرق عنده إن تأمل الكون فترة طويلة أو قصيرة، فهذا الإنسان لا يعتبر قدوم الموت حادثا مرعبا [1].

---

(1) عرف ماركوس أوريليوس " بالامبراطور الحكيم ".



كوبلاى خـــان

KUBLAI KHAN



يشكل المغول أحد الأعراق الرئيسية من سكان آسيا. كانوا قبائل رحل ينتقلون باحثين عن الكلإ لقطعانهم، حسب فصول السنة. ومن إحدى هذه القبائل نشأ جنكيز خان الذي سيطر في وقت قصير على جزء كبير من الصين والهند والشرق الأوسط وأوروبا، وأصبح أكبر الغزاة في التاريخ. وعندما توفي ترك أربعة أولاد منهم " أوُغوداي " و"تولوى ". وقبل وفاته سنة 1227 وزع عليهم إمبراطوريته المترامية الأطراف.

وبعد وفاته بسنتين اتفق زعماء المغول على أن يكون أغوداى هو الخان الأكبر للمغول جميعهم. بعد وفاته خلفه ابنه، وعندما توفي هذا الأخير عام 1248، اجتمع كبار قواد المغول وزعمائهم واختاروا مانْغُو،

ابن تُولوى وحفيد جنكيز خان، ليكون الخان الأكبر. وطلب الإمبراطور مانْغو من أخيه هولاكو أن يواصل حملاته على الشرق الأوسط، وطلب من أخيه كوبلاي أن يتابع العمليات العسكرية منّ أجل احتلال الصين. وعندما توفي الامبراطور مانغو، تولى السلطة بعده كوبلاي، بعد نزاع مع أخيه على الملك، وسارع هولاكو إلى مساندة أخيه ليصبح كوبلاى هو الخان الأكبر سنة 1260.

أصبحت الصين تحكم من طرف قائد مغولي لأول مرة في تاريخها الطويل، شيد كوبلاي عاصمة جديدة له كانت تدعى " تاتو "، وهي مدينة بيكين الحالية، وأسس أسرة " يوان " التي حكمت الصين زهاء مائة عام، ويعترف له الصينيون بأنه الإمبراطور الذي وحد دولة الصين. وبعد أن اعترف أبناء عمومته بسلطانه أصبح مُلكه يمتد من البحر الأسود غربا إلى البحر الأصفر شرقا. واشتهر اسمه في أوروبا لما عرف عنه من رعاية للعلوم والفنون، ومن تسامح تجاه الأجناس والديانات المختلفة.

وعلى خلاف السياسة التي اتبعها قواد المغول أثناء حملاتهم العسكرية، إذ كانوا يدمرون المدن ويقتلون السكان ويعذبون الأسرى، خاصة في البلدان التي تقاوم احتلالهم، اتبع الامبراطور كوبلاي سياسة أقل عنفا وأكثر تسامحا تجاه سكان البلاد التي غزتها جيوشه. وقد أثبت أثناء حكمه للصين أنه رجل دولة عظيم. واشتهر بتسامحه مع الفئات الدينية المختلفة، ومنح بعضها امتيازات خاصة، وسمح لمختلف العقائد، ومن بينها البوذية والمسيحية والإسلام، بالدعوة لمذاهبها.



ويروى أنه طلب من البابا كليمانت الرابع، بواسطة أبي ماركو بولو وعمه أثناء زيارتهما الأولى للصين، أن يرسل إليه مائة من العلماء.

وكان من الطبيعي أن يكلف الإمبراطور كبار قواده وزعماء المغول بمساعدته في إدارة شؤون المملكة، فوزع عليهم المناصب الهامة ليظل زمام السلطة في أيدي المغول. غير أن هؤلاء الغزاة من البدو لم تكن لديهم الخبرات الكافية لإدارة جميع وظائف الدولة، ولذلك فتح كويلاي الباب أمام مجموعات كبيرة من الصينيين المثقفين للقيام بهذه الأعمال، كما فتح المجال أمام الأجانب من ذوى الخبرات ليتولوا وظائف هامة، أو يقوموا بأنشطة تجارية على نطاق واسع. وكان عدد من هؤلاء الأجانب يتكون من الأتراك والمسلمين.

وفي سنة 1280، بعد أن قضى كويلاى على اسرة سونغ التي كانت ما زالت تحكم جزاء من الصين، حاول أن يوسع امبراطوريته لتصبح "مركز العالم" فأرسل جيوشه لغزو بعض الدول مثل فيتنام واليابان، ولكن الأسطول الذي وجهه إلى اليابان لقي هزيمة نكراء لأسباب من بينها الظروف المناخية.

وأنجز كويلاي أعمالا هامة ساعدت على توسيع الازدهار العمراني والرخاء الاجتماعي على الأقل للطبقات العليا. وتشهد الأوصاف التي سجلها الرحالة الايطالي ماركو بولو في كتابه "المليون"[1] على عظمة هذا الامبراطور، وعلى ما كانت تزخر به مدن الصين

(1) انظر ماركو بولو

من ثراء، وما كان ينعم به سكانها من خيرات. والواقع أنه لم يكن سهلا على قائد مغولى، مهما كانت حنكته، أن يحكم دولة مثل الصين، تزخر بثقافة واسعة وحضارة عريقة.

ولكنه كان حاكما حكيما مرنا، وتأثر هو ومن كان حوله من القواد والمستشارين بالحضارة الصينية واندمجوا فيها. ولم يصمد حكم المغول طويلا بعد وفاة كوبلاي، عام 1294.



هنرى الثامن (وزوجاته)

HENRY VIII



ولد عام 1491، تولى العرش سنة 1509 وتوفي عام 1547. كان ملكا قويا، مثقفا، ضخم القامة. اهتم بالفنون، والأنشطة الرياضية، وألف كتابا عنوانه " الدفاع عن المقدسات السبع "، ينتقد فيه تعاليم لوثر، مما جعل البابا رليُو العاشر يمنحه لقب " حامي العقيدة "، يعني العقيدة الكاثوليكية. وقد حكم هنري الثامن انكلترا مدة 38 عاما واجه خلالها مشكلة طلاق زوجته الأولى لأنها لم تنجب له ابنا يخلفه على العرش. وقد خلق له هذا الطلاق مشكلة مع البابوية في روما. وكان نتيجة ذلك أن رفضت الكنيسة في انكلترا الخضوع لأوامر البابا، وأصبح الملك هنري الثامن صاحب السيادة على الكنيسة في بلاده فحقق بذلك نصرا كبيرا.



وواجه هنرى الثامن معارضين فاتهمهم بالخيانة وأمر بضرب أعناقهم، ومنهم حاجبه الشهير توماس مور [1]. وأمر بشنق أو إحراق كثير من الناس بتهمة الهرطقة؛ وأدخل إصلاحات هامة على الكنيسة؛ ودخل في حروب، وواجه أحلافا ومؤامرات .. ولكنه ظل يشعر بأن الحظ لم ينصفه، فلم يهب له الزوجة التي تسعده، ولم يرزقه بالأبناء الذين يفخر بهم ويرثون العرش من بعده. وأود أن أركز في هذه الصفحات على واحدة من المشاكل التي واجهها هنري الثامن، هي علاقته بزوجاته.

الزوجة الأولى: كاترين الأرجونية. وهي ابنة فرديناند الثاني، ملك أسبانيا، وعمة الإمبراطور شارل الخامس (الذي كان ملكا على أسبانيا وألمانيا). تزوجت كاترين أولا الأمير أرتور، أخ هنري الثامن وجلبت معها صداقا كبيرا. وعندما توفي زوجها عام 1502، قرر هنري السابع (أبو كل من أرتور وهنرى الثامن) أن يزوجها لابنه هنري بدلا من أن يتركها تعود إلى بلدها أسبانيا ومعها تلك الثروة التي جلبتها. وبما أن هنري عندئذ كان لا يتجاوز 12 عاما، قرر الملك أن تتم خطبة الأرملة كاترين لابنه، ويؤجل الزواج.

وعندما أصبح هنرى ملكا عام 1509 استكمل مراسيم الزواج، وأصبحت كاترين ملكة انكلترا. كانت كاترين فتاة مثقفة، دمثة الأخلاق، وإن لم تكن جذابة لدرجة تستحوذ على مشاعر الملك. وكانت

(1) انظر صفحة رقم .....



تكبره بست سنوات. أنجبت كاترين ستة أطفال، ماتوا جميعا، ماعدا ماري، إما أثناء الولادة أو مباشرة بعد ذلك. ومرت السنون، وزادت رغبة الملك في إنجاب ابن يرث العرش من بعده.

وبما أن كاترين هي أرملة أخيه، بدأ الملك يشعر بأن ضميره يوبخه، وأن وفاة أولاده عقاب من الله بسبب زواجه من أرملة أخيه، وراح يستشهد بعبارات من الإنجيل تشير إلى أن مثل هذا الزواج محرم، على الرغم من أن الإنجيل يتضمن عبارة أخرى تحلل هذا الزواج، وأن هنري لم يتزوجها إلا بعد أن حصل على ترخيص من البابا يوليوس. وعزم هنري ألا يترك مملكته في يد امرأة بعد وفاته .

وصبر الملك وانتظر طويلا هذا الابن الذي يرغب في إنجابه، ولعله أثناء ذلك لم يحرم نفسه من التمتع بهذه أو تلك من الغانيات اللواتي كان يزدهر بهن بلاط الملك. غير أنه في سنة 1527 قرر أن يسعى للحصول على طلاق الملكة كاترين، طلب من البابا كليمانت السابع في روما أن يرخص له بهذا الطلاق ولم يكن من السهل على البابا أن يفعل ذلك وهو تحت سيطرة الامبراطور شارل الخامس (وكاترين عمته)، ثم كيف له أن يقر ببطلان هذا الزواج بعد أن رخصه أحد البابوات السابقين !

وفي أثناء ذلك كان الملك قد أعجب بفتاة تدعى آن بولين، كانت وصيفة للملكة، وكانت نشطة جذابة وذكية، ولم يكن عمرها يتجاوز العشرين عاما، وكان عمر الملك آنئذ 34 سنة، بينما كان عمر الملكة

أربعين سنة، وقد بدأت تظهر عليها علامات الكبر، وكان الملك قد يئس من أنها ستنجب الابن الذي يرغب فيه، وكان يشاطره رغبته هذه كثير من الناس.

الزوجة الثانية: آن بولين. قرر الملك أن يهجر الملكة كاترين، فتركها في قصر وندسور. وعندما علم البابا المذكور بذلك وجه إليه رسالة (ربما فعل بإشارة من الإمبراطور شارل الخامس) يطلب منه أن يبقي على كاترين زوجة شرعية، وأن ينتظر صدور ترخيص من البابا بشأن طلاقها. ولكن الملك يئس من الانتظار، فتزوج عشيقته آن بولين في شهر جانفي من عام 1533، وكانت حاملا منذ أربعة شهور. وبعد ذلك بقليل، في ماي من السنة نفسها، أعلن رئيس أساقفة كانتربرى أن زواج الملك الأول مخالف لتعاليم المسيح، ولذلك فهو باطل، وأن زواجه من آن بولين زواج شرعي.

وبعد بضعة أشهر ولدت آن، الملكة، طفلة هي أليزابيث التي ستصبح ملكة مشهورة في تاريخ انكلترا، وكان الشاعر شكسبير معاصراً لها وعمل الملك على التخلص من سلطة البابا على الكنيسة في انكلترا، فأصدر المجلس النيابي سنة 1534 قوانين تنص على أمور منها تحديد وراثة العرش، واستقلال الكنيسة الإنكليزية عن البابوية في روما، وجعل الملك صاحب السلطة المطلقة على هذه الكنيسة، ونص على معاقبة أيّ شخص يرفض الاعتراف بأن زواج الملك من آن بولين زواج شرعي.

ولكن سرعان ما ظهر للملك أن زوجته الثانية لم توفر له الراحة



التي كان ينشدها، ولم تنجب له الوريث الذكر الذي ما زال يتمناه. وقد أنجبت ابنا ولكنه ولد ميتا. وبدأ يشعر بالملل والقلق من سلوكها المتقلب. واستغل شائعات تفيد بأنها ارتكبت جريمة الزنا مع عدد من الرجال للتخلص منها. ربما تكون الملكة قد اقترفت هذه الجريمة، ولعل الملك أوحى إلى بعض رجاله بإشاعتها. ودفع الملك زوجته الثانية إلى جماعة من القضاة لمحاكمتها، فقرروا بأنها مذنبة، وأمر الملك بضرب عنقها في شهر جانفي (يناير) من عام 1536.

الزوجة الثالثة: جين سيمور. استلطفها الملك وبدأ يراودها أثناء حياة زوجته الثانية. غير أنها أقنعته بلباقة واحترام بأنها لا تود أن تكون مجرد عشيقة له. وقد وجد فيها هنري من طيبة القلب ودماثة الأخلاق ما عهده في زوجته الأولى، كاترين. وما إن تخلص من الزوجة الثانية حتى تزوجها. عملت جين على تحسين علاقة الملك مع ابنته الأميرة ماري، واعترفت هذه الأخيرة بالشروط التي فرضها الملك، ومنها أن زواج أمها كاترين من الملك كان زواجا غير شرعي، والاعتراف بسيادة الملك على الكنيسة في انكلترا.

أنجبت جين سيمور الابن الذي طالما توقعه الملك، وهو إدوارد الذي تولى الملك خلال الفترة 1547 - 1553. ولكن جين، الزوجة التي أسعدت الملك ما لبثت أن لفظت أنفاسها الأخيرة بعد اثنى عشر يوما من الولادة، وقد حزن عليها الملك، وعندما شعر باقتراب وفاته طلب أن يدفن بجوارها.

وبعد وفاة جين سيمور تزوج هنرى ثلاث مرات. وكان زواجه الرابع يكتسى صبغة سياسية، إذ تزوج من فتاة ألمانية لم يرها من قبل، وإنما أرسل رساما ليأتيه بصورة عنها. وهذه الفتاة تدعى آن كليف، وهي أخت زعيم حركة البروتستانت في ألمانيا، وكان الملك يهدف من وراء هذا الزواج إلى الحصول على مساندة هذا الزعيم في حالة حدوث صراع دولي ضد القوى الكاثوليكية المتمثلة في ملك فرنسا والإمبراطور شارل الخامس.

وعندما ظهر للملك هنرى أن بلاده غير معرضة للتهديد من القوى المذكورة طلق الزوجة المذكورة، لأنه لم يجد فيها الملكة التي ترضى جميع رغباته. وأمر بقطع عنق الرجل الذي نصحه بالزواج منها.

كانت زوجته الخامسة فتاة لا تتجاوز العشرين من العمر، تدعى كاترين هوارد. وكانت سنه هو 49 سنة. ويبدو أنه سكن إليها وتمتع بعشرتها مدة سنة تقريبا. ولكن محنتها بدأت عندما علم هنري بأنه كان لها علاقات غير أخلاقية مع عدد من الرجال قبل زواجه منها. ولم يدم هذا الزواج أكثر من 18 شهرا، إذ أمر الملك بضرب عنقها في شهر فيفرى من عام 1542.

كان الملك خلال هذه الفترة يعاني من مرض الزهري، وانقطع عن نشاطه الرياضي، فزاد وزنه وضخم بدنه، كما أصيب بقرحة في ساقه، وبدأت صحته تنهار، وأصبح يعاني من هواجس القلق والاكتئاب. وقرر أن يتزوج سيدة تدعى كاترين بار، فكانت الزوجة السادسة والأخيرة. وكانت



كاترين قد ترملت مرتين قبل زواجها من الملك في عام 1543. وقد ركزت اهتمامها على العناية بالملك العليل، كما أحسنت معاشرة أولاد الملك الثلاث، مارى، إليزابيث وإدوارد. وقد تزوجت بعد وفاة الملك، غير أنها لم تعمر طويلا. وكانت وفاة هنري الثامن في شهر جانفي (يناير) من عام 1547، وتوفيت كاترين بار في سبتمبر من عام 1548.

وقد ألف شكسبير مسرحية تاريخية عنوانها " هنري الثامن " عالج فيها موضوعات منها طلاق الملك من زوجته الأولى كاترين الأرجوانية، وصعود نجم الكاردينال ولزى وأفوله، وتتويج زوجة الملك الثانية آن بولين، وتعميد الأميرة إليزابيث.

الملكة إليزابيث الأولى

ELIZABETH I

اليزابيث الأولى من أعظم من حكم انكلترا. ولدت عام 1533، أبوها هو الملك هنري الثامن، وأمها آن بولين Anne Boleby زوجته الثانية. تزوجها على الرغم من معارضة البابا الذي كان يعتبر طلاقه من زوجته الأولى غير شرعي. ولهذا ظل الكاثوليك يعتبرون اليزابيث ابنة غير شرعية. بالإضافة إلى هذا فقط أمر هنري الثامن (أبوها) بإعدام أمها بتهمة الخيانة، وكان عمر إليزابيث أقل من ثلاث سنوات.

ولم تخل حياتها، قبل توليها العرش، من اتهامات كادت تودي بحياتها. فقد أعدم اللورد سيمور أثناء حكم أخيها الصغير إدورد السادس بتهمة أنه كان يخطط للزواج من إليزابيث ليحقق طموحاته السياسية. وكذلك تعرضت الفتاة لمحنة أخرى أثناء حكم أختها من



أبيها ماري الأولى عندما اتُّهمت بأنها كانت على علم بالثورة التي قام بها السير THOMAS WYAT سنة 1554، وأرسلت إلى السجن في برج لندن حيث مكثت أربع سنوات.

كان عمر إليزابيث 25 عاما عندما جلست على عرش انكلترا، بعد وفاة أختها المذكورة مارى الأولى.

حدث ذلك في نهاية عام 1588، ودام حكمها 45 سنة. كانت الملكة مثقفة، تتكلم عددا من اللغات، مولعة بلبس المجوهرات وارتداء الملابس المزخرفة المرصعة بالأحجار الثمينة؛ وكانت من أنصار العقيدة البروتستانتية.

واجهت اليزابيث انقساما عقائديا، إذ كانت البلاد منقسمة بين المذهب الكاثوليكي الذي يمثل الأغلبية، والمذهب البروتستانتى. كما وجدت خزينة الدولة فارغة، الجيش ضعيفا، والأسطول البحري خاملا. أما على الساحة الدولية فكان البابا يقف ضدها بسبب مساندتها للبروتستانت، ويهددها بحرمانها من رضى الكنيسة. وكانت فرنسا وأسبانيا تطمعان في السيطرة على انكلترا، وإعادة العقيدة الكاثوليكية إلى مجراها.

وبدأت الملكة بانتقاء مساعدين ومستشارين أكفاء بدون مراعاة الأسر التي ينتمون إليها، وكان أشهرهم سيسل (CECIL) الذي تولى منصب مستشار الملكة مدة 14 عاما، ثم منصب وزير الخزانة طيلة 26 سنة. وكان لها مساعدون عرفوا بالكفاءة والإخلاص والشجاعة. وكانت



إليزابيث امرأة ذكية، متروية في اتخاذ القرارات، أعجب بها كثير من السفراء والأمراء. وكانت كذلك، مثل أبيها هنري الثامن، تريد أن يكون لها الحكم المطلق، ولا تتردد في اللجوء إلى أساليب المراوغة والكذب والعنف، إذا دعت الحاجة، من أجل الوصول إلى أهدافها.

كانت ترفض أن يتدخل البابا في شؤون رعاياها العقائدية، أو في تحديد مسؤوليات الكنيسة. وسعت إلى تحقيق الإصلاح الديني فأصدرت قانون 1559 الذي يجعل المذهب البروتستانتى مذهب الدولة، ويمنع إقامة الطقوس الكنائسية على الطريقة الكاثوليكية، ويفرض على من لا يحضر قداس الكنائس البروتستانتية أن يدفع ضريبة شهرية قدرها عشرون جنيها. ولكن الأمور تطورت عام 1570، عندما أصدر البابا بيوس الخامس بيانا يعفى فيه جميع المواطنين الانكليز من طاعة الملكة اليزابيث لأسباب عقائدية. عندئذ أصدرت قوانين جديدة تشدد فيها الخناق على الكاثوليك.

وفي سنة 1569 بدأ يظهر خطر آخر يهدد سلطة الملكة من طرف فئة " البيوريتانز " الذي يعنى " المتطهرين " لأنهم بدأوا بمطالبة الملكة بتطهير الكنيسة البروتستانتية من جميع الطقوس التي لم تأت بها تعاليم الإنجيل الصحيحة. وكان هدفهم كذلك القضاء على العقيدة الكاثوليكية، والسعي لإخضاع نظام الحكم للكنيسة على عكس ما كانت تهدف إليه الملكة. وعندما شعرت أنهم أصبحوا خطرا على عرشها، قررت ملاحقتهم من أجل القضاء عليهم.



ومن الحوادث المشهورة في حياة إليزابيث أنها بقيت " عذراء " طيلة حياتها. ترى ما السبب الذي جعل الملكة تعزف عن الزواج؟ على الرغم من إلحاح رجال الدولة والبرلمان والشعب عليها لتنتقي زوجا في مستوى مجدها وطموحاتها، وعلى الرغم من رغبة كل من له مُلكٌ في أن ينجب من يخلفه على العرش، وعلى الرغم من عدد الملوك والأمراء والنبلاء والسفراء والفرسان الذين تمنوا الزواج منها. وكان مستشاروها ينصحونها بأن زواجها من أحد ملوك أوروبا، مثل شارل التاسع، ملك فرنسا، أو فليب الثاني، ملك أسبانيا، سيحقق لها أهدافا سياسية ويدعم ملكها.

ومن بين الأسباب التي تذكر لتعليل رفضها الزواج القول بأنها كانت تعاني من عائق طبيعي يمنعها من ممارسة العلاقة الجنسية؛ أو أن المانع كان هو تلك الصدمات النفسية التي تعرضت لها وهي طفلة صغيرة عندما أمر أبوها بإعدام أمها، ثم بإعدام زوجة أبيها؛ ولعلها رفضت الزواج خشية أن يشاركها الزوج ملكها، أو أن تصبح انكلترا تابعة لتاج دولة أخرى؛ أو لأنها كانت تجد متعة أكبر في ما حظيت به من ملاطفة الرجال المقربين، وما كانت تحظى به من إجلال وتقدير وهدايا ممن ظلوا ينتظرون الزواج منها.

لا شك في أن تردد الملكة في اختيار زوج لها، وما حدث من تأجيل لرد الجواب الفاصل لمن طلبوا يدها، كان لمصلحة السياسة الخارجية الانكليزية، لأنه مكّن الملكة من كسب الوقت لتقوية الأسطول البحري وتدعيم الدفاع ضد من كانوا يفكرون في غزو انكلترا. لقد كان فليب



الثاني، ملك أسبانيا، أقوى ملك في أوروبا، وكان راعي الكنيسة الكاثوليكية؛ ويطمح إلى الزواج من الملكة إليزابيث ليوسع سلطانه وإمبراطوريته. وقد حصلت اتصالات عديدة بشأن هذا الموضوع، ولكن الملكة عرفت كيف تماطل في وعودها مما جعل فليب الثاني يؤجل تحالفه ضدها وغزو بلادها.

وكانت اليزابيث أثناء فترة التسويف والمناورة لدعم الثورة في هولندا ضد الوجود الأسباني، وتساند حركة البروتستانت في فرنسا، وكانت تشجع السفن الانكليزية، بصورة غير مباشرة، على شن غارات ناجحة ضدّ السفن والموانئ الأسبانية وتهدد تجارتها. وكانت أسبانيا بلدا غنيا بما ينهال عليها من ثروات العالم الذي اكتشفته. واستمرت هذه الحرب الخفية الباردة بين البلدين، وكان كل بلد يكتفى بالاحتجاجات والوعود والمناورات. وكانت الملكة تخطط للمستقبل بحكمة وتريث حتى لا تثير غضب فرنسا وأسبانيا.

ومن المناسب الإشارة كذلك إلى مصدر آخر من مصادر المتاعب التي واجهتها الملكة، ويتمثل في المحاولات التي قامت بها ماري ستيوارث لإقصاء إليزابيث عن العرش. ورثت ماري عرش اسكوتلندا، ترعرعت في فرنسا، وتزوجت الشاب فرانسيس الثاني، ملك فرنسا. وعلى إثر وفاته عادت إلى اسكوتلندا. وبما أنها تعتنق العقيدة الكاثوليكية، ظنت أن كاثوليك انكلترا سيجتمعون حولها، ويناصرونها للاستيلاء على عرش انكلترا بدل الملكة إليزابيث. ولكن ساقتها الظروف وسوء الحظ إلى الفرار إلى انكلترا، فلم تجد اليزابيث حلا سوى أن تضعها تحت



الإقامة الجبرية. غير أن ماري استمرت في التآمر مع مؤيديها من أجل انتزاع العرش من إليزابيث.

وزاد في تفاقم الوضع أن البابا غريغورى الثالث عشر أصدر بيانا، عام 1580، يبيح فيه قتل الملكة إليزابيث. ودفع هذا المسؤولين إلى إصدار قرار صارم لحماية الملكة، ينصّ على أن أيّ شخص يكون على علم، من قريب أو بعيد، بالتآمر على الملكة، سيعدم؛ بالإضافة إلى تفاصيل أخرى يضيق المجال عن ذكرها. ولكن بعد بضع سنوات اكتشفت مؤامرة ضد حياة الملكة، جرت على إثرها محاكمة مارى، ونفذ فيها حكم الإعدام في مطلع سنة 1587. وبالإضافة إلى هذا الحادث الذي هزّ زعماء الكاثوليكية، قام أحد البحارة الانكليز المشهورين يدعى دْرِيك بهجوم ساحق على السفن الأسبانية في موانئ قادس ولشبونة، ويئس ملك أسبانيا من وعود إليزابيث بشأن زواجها منه، وقرر أن يغزو انكلترا.

جهز فليب الثاني 130 سفينة، زودها بسبعة وعشرين ألف جندي، و2431 مدفعا، انطلقت من ميناء لشبونة في مايو 1588. أصبحت هذه الحملة تعرف باسم ARMADA، وكان هدفها أن تنقل الجيش الأسباني الموجود في هولندا للمساعدة على الهجوم على الأراضي الانكليزية. غير أن هذه الحملة الضخمة فشلت فشلا ذريعا في بلوغ أهدافها لأسباب عديدة.

وكانت من نتائج انهزام الأرمادا الأسبانية أن تدعّم شعور الإنكليز



بقوتهم ووحدتهم، وزالت مخاوفهم من الغزو الخارجي، وتدعم المذهب البروتستانتي، وشجعت الأسطول الانكليزي على منافسة الأسطول الأسباني من أجل السيطرة على البحار. واشتهر عهد اليزابيث بأنه كان عصر ازدهار كذلك في ميدان الانتاج الأدبي. كانت الملكة تحب الموسيقى والرقص، وتتمتع بإقامة الحفلات والمهرجانات ومشاهدة المسرحيات. وقد شجعت الإنتاج المسرحي والتمثيل. وبرز في عهدها شعراء وأدباء مثل شكسبير، وبيكون، ومارلو، وسبَنْسر، وبن جنسون.

توفيت إليزابيث في شهر مارس من عام 1603، وكانت أبدت موافقتها على أن يخلفها جيمس السادس، ملك سكوتلندا الذي حكم انكلترا تحت اسم جيمس الأول. وهو أول ملك من أسرة ستوارت يحكم اسكوتلندا وانكلترا معا.



بطـــرس الأكبـــر

PETER I

ولد بطرس سنة 1672، أبوه هو القيصر ألكسيس، وأمه نتاليا. أنجب أبوه، من زوجته الأولى ولدين هما فيودور الذي ولد عليلا؛ وإيفان الذي كان يعاني من اختلال عقلي، وسبع بنات، كانت أشهرهن صوفيا. وعندما توفي القيصر كان عمر بطرس لا يزيد عن أربع سنوات. اعتلى عرش روسيا أولا فيودور المريض، وعندما وافته المنية حصل صراع على العرش بين أنصار بطرس (وكان عمره نحو عشر سنوات) وأنصار إيفان المعتوه (أخيه من أبيه)؛ وحصل الاتفاق في النهاية على أن يتولى العرش إيفان، ويشاركه بطرس، وكان عمره عشر سنوات. وعينت صوفيا وصية على العرش، وكانت هي التي تسير شؤون الدولة في واقع الأمر.

وفي عام 1989 دبّر بطرس وأنصاره انقلابا، فانتصر على أخته، وأدخلها أحد الأديرة، واعتلى العرش بموافقة أخيه إيفان، وكان عمر بطرس سبع عشرة سنة. فماذا فعل هذا الشاب الذي أصبح في النهاية إمبراطور روسيا العظيم؟ وكيف كان سلوكه وأوصافه؟

كان بطرس الكبير في سلوكه ومظهره أشبه بفلاح أو نجار منه بامبراطور. وكان عصاميا، كون نفسه واكتسب بجهده الخاص خبرات عملية، وتعلم حرفا مارسها في ورشات العمل في الوقت الذي كان فيه قيصر روسيا وإمبراطورها. لقد كان متفانيا في خدمة بلاده بفكره وبعضلاته، فكرس حياته لتنظيم روسيا وتحديثها، وإن أهمل نفسه في كثير من الأحيان.

أولى اهتماما كبيرا للمعرفة، خاصة العلوم التطبيقية، لأنه كان رجل عمل لا نظريات. وكان فكره تواقا لكل جديد، بعيدا عن التعصب المذهبي. وكان في سلوكه يظهر في صورة الإنسان المخلص المتفهم المتواضع الشهم أحيانا، ويكون فظا قاسيا وقحا متوحشا متجبرا أحيانا أخرى.

وتجدر الإشارة إلى أنه، على عكس أخويه، كان ذكيا،قوى البنية طويل القامة، حيوي المزاج صريحا، يتجنب التكلف في سلوكه ومظهره. كان يفضل العادات البسيطة، والملابس العملية، مشغوفا بالحياة، يجد متعة كبيرة في المسكرات، وفي التهريج والمداعبات. كان مزاحه يبلغ درجة الإزعاج لمن حوله، أحيانا، وكثيرا ما كانت مداعباته قاسية عنيفة ومؤلمة لمن يأتي دوره ممن حوله.



وكان يعرف أن البشر لا يستقيمون إلا بالقوة، فإذا حدث ما يغضبه أو يخون ثقته، ينتقم بدون رحمة. ولعله كان يجد متعة في مشاهد العنف، في بعض الأحيان، وكان لا يتردد في أن يقتل أشخاصا بيديه. عانى في حياته من مرض الزهري، ومن تشنجات عضلية عصبية عارضة، كانت تفقده حيويته وتدخله في حالة اكتئاب.

أنجب بطرس ولدا يدعى ألكسيس من زواجه الأول الذي لم يدم طويلا. أما زوجته الثانية فتدعى كاترين، وهي من عائلة فقيرة، ولا تحسن القراءة والكتابة. اتخذها بطرس خليلة خلال فترة طويلة، ثم تزوجها، وفي النهاية توجها إمبراطورة سنة 1722. كانت مثالا للزوجة المخلصة اللطيفة المتفهمة لمسؤوليات زوجها. وكانت تغض النظر عن كثير من غرامياته وتجاوزاته، وتحنو عليه وتحسن رعايته أثناء أزماته ونوباته العصبية. فلا غرو أن ارتقت في نظره من مجرد " عاهرة " إلى إمبراطورة.

أما ابنه من زوجته الأولى، ألكسيس المذكور، فكان مصيره مشؤوما. فقد شب على أفكار كانت مخالفة لآراء أبيه، ولما كان يبذل من جهود لتحقيق الإصلاحات التي خطط لها. ونتيجة للصراع مع أبيه لجأ ألكسيس إلى الإمبراطورية الرومانية. ولكنه عندما عاد إلى روسيا وجهت إليه اتهامات كانت نتيجتها أن حكم عليه بالإعدام. وتوفي في السجن، قبل أن ينفذ فيه الحكم، بسبب ما لقي من تعذيب.

كانت روسيا عندما تولى بطرس الحكم دولة زراعية ضعيفة،



يسودها نظام اجتماعي أشبه بنظام القرون الوسطى. وكان هدفه الأساسي أن يجعل من بلاده دولة قوية وأن يفتح لها منافذ على البحر. وقد كانت نافذتها الوحيدة على البحر هي منطقة أرْكانْجَلْ في الشمال، ولكن مياهها كانت تظل متجمدة خلال فترة طويلة من السنة. وفي الجنوب كانت الامبراطورية العثمانية تسيطر على البحر الأسود؛ وكانت السويد هي القوة المسيطرة على بحر البلطيق. وفي سنة 1695 قرر بطرس أن يستولي على منطقة أزوف حول بحر أزوف، قرب البحر الأسود. وفشلت حملته الأولى، فجهز حملة ثانية في العام التالي واحتل مدينة أزوف.

وكان بطرس يعرف جيدا أن تقوية روسيا يتطلب منه أن يحدث تغييرا جذريا على جميع المستويات. فلكي يفتح منافذ بحرية يحتاج إلى إنشاء جيش جديد منظم، وبناء أسطول بحري، ومصانع لإنتاج الأسلحة. وكل ذلك يتطلب تدعيم الاقتصاد والتجارة، وتغيير النظام الإداري، وفتح مدارس التدريب، وتغيير العادات وأساليب حياة الروس العتيقة، والحد من سيطرة رجال الدين، والقضاء على الخرافات ... وغير ذلك.

ولم يجد مناصا من الاتجاه نحو الدول الغربية المتقدمة لتستفيد روسيا مما لديها من خبرات وعلوم وتكنولوجيا، وكذلك لتدعيم التحالف ضد الامبراطورية العثمانية. فنظم عام 1697 رحلة شملت نحو 250 شخصاً، وفضل بطرس أن يسافر تحت اسم مستعار. وكثيرا ما كان، أثناء رحلته، يزور المصانع وورشات العمل مرتديا ملابس



العمال. ولكي يتمكن من دراسة صناعة السفن عن قرب، اشتغل في ورشة لصناعة السفن في هولندا. ثم سافر إلى انكلترا فزار المصانع ومدارس التدريب، وعمل مع النجارين في ورشة لصناعة السفن كذلك. ثم قام بزيارة النمسا حيث حاول أن يقنع الإمبراطور بتشكيل حلف ضد الدولة العثمانية، ولم يفلح. ومن ثم عاد إلى روسيا مارا ببلونيا، وجلب إلى بلاده عددا كبيرا من الخبراء في الشؤون العسكرية، وإنتاج الأسلحة، وبناء السفن، وفي التنظيم الإداري وغير ذلك.

لم يكن بطرس ليكتفي بالمنْفَذ الذي استولى عليه في منطقة أزوف، ولكن التحالفات الدولية لم تشجعه على غزو الإمبراطورية العثمانية، فقرر أن يتجه نحو الشمال. تحالف مع سكسونيا والدنمارك - النرويج من أجل محاربة هيمنة إمبراطورية السويد على بحر البلطيق. وهاجم الجيش الروسي مناطق كانت تحت سيطرة السويد، وبعد نكسة في بداية الحرب استولى على نارفا. ودامت الحرب نحو عشرين عاما، ولكن في النهاية حقق الجيش الروسي انتصارات كبيرة، كان من أهمها انتصاره في معركة بولتافا، حيث ألحق بجيش السويد هزيمة ساحقة.

ومن المهم الإشارة إلى بعض الأعمال التي أنجزها هذا القيصر القائد مما جعله جديرا بلقب " بطرس الكبير ".

- قرر الانفتاح على بعض الدول الأوروبية المتقدمة، مثل هولندا وانكلترا، للاستفادة مما لديها من علوم وخبرات وتكنولوجيا.



- ركز على تنظيم الجيش وبناء أسطول بحري قوي، وإنشاء ورشات لبناء السفن ومصانع لصنع الأسلحة، ومدارس لتدريب الضباط تحت إشراف خبراء أجانب.
- عمل على تغيير المجتمع الروسي وتطويره، فأنشأ المدارس لتكوين الإطارات وتعليم التقنيات، ومدارس للمهندسين.
- أعاد تنظيم طبقة النبلاء على أسس جديدة لا تعتمد على الثروة والمركز والانتماء العائلي، بل على ما يقدمه كل شخص من خدمات للبلاد في ميادين الخدمة العسكرية، وفي الإدارة وتدعيم الإصلاحات الجديدة. وشجع النبلاء على التعليم داخل البلاد وفي بعثات إلى أوروبا.
- غيّر النظام الكنسي فألغى وظيفة بطريرك موسكو، وجعل مكانه مجلسا (تحت إشراف الدولة) يتولى الشؤون الدينية؛ وألغى عددا كبيرا من الأديرة واستولى على أراضيها.
- أنشأ نظاما إداريا حديثا لتسيير البلاد.
- وسع حدود روسيا فاستولى على منافذ هامة على بحر أزوف، وبحر البلطيق (خليج فنلندا)، وعلى سواحل قزوين الغربية والجنوبية.
- أمر المواطنين بترك " الحجاب " والعباءات الطويلة، وإزالة اللحي، وبارتداء الزي الأوروبي. وبدأ بتنفيذ هذه التغييرات على من حوله. وفرض على من يرغب في الاحتفاظ بلحيته أن يدفع ضريبة.



- منع من يرغب في دخول نظام الرهبنة أن يفعل ذلك إلا بعد بلوغ سن محددة : 30 سنة بالنسبة للرجال، و50 عاما بالنسبة للنساء.
- أسس مدينة سان بطربسورغ، وجعلها عاصمة بلاده.
- أدخل التقويم اليولياني، وبدأ يؤرخ الحوادث بالتاريخ الميلادي.
- أسس الأكاديمية الروسية للعلوم، وشجع ترجمة الكتب إلى اللغة الروسية.
- غير الأبجدية القديمة إلى أخرى علمانية.

وذات يوم من خريف 1724 شاهد بعض الجنود يوشكون على الغرق في خليج فنلندا، فقفز إلى البحر لمساعدتهم. أصيب بنزلة برد حادة لازمته إلى أن توفي في شهر فيفر (فبراير) من سنة 1725.

كاترين الكبرى

CATHERINE II



قررت إليزابيث، إمبراطورة روسيا 1741-1761، أن تجعل بطرس، ابن أختها وحفيد بطرس الأكبر، خليفة لها على العرش. ولد (الخليفة) عام 1728 في KIEL (حاليا في ألمانيا)، وكان عندئذ يعرف بدوق هولشتاين؛ أحضرته إليزابيث إلى روسيا، وارتأت أن تختار له زوجة فجاءت بأميرة ألمانية أصبحت فيما بعد تعرف باسم كاترين، بعد أن غيّرت الإمبراطورة اسمها ومنحتها لقب " الدوقة ".

ولدت كاترين في مدينة STETTIN عام 1729؛ وكان أبوها أحد الأمراء الألمان، وتنتمي أمها إلى أسرة دوقات هولشتاين. وكان عمرها 16 سنة وعمر الفتى بطرس 17 عاما عندما تزوجا تحت رعاية الإمبراطورة إليزابيث. وفشل هذا الزواج منذ بدايته، إذ التفت بطرس إلى عشيقته وأهمل زوجته، وعاملته كاترين بالمثل فاتخذت لها عشاقا.



لم يكن بطرس مكتمل الشخصية، لا من الناحية العقلية ولا البدنية؛ وكان في تصرفاته نصيب من السذاجة والبلاهة، وكانت عشيقته تسيطر عليه؛ وكثيرا ما يدْمنُ على المسكرات، ولم يكن رجال البلاط من الروس راضين عن سلوكه، فقد كان مرتبطا عاطفيا بقومه الألمان الذين ترعرع بينهم، ومعجبا بأسلوب حياتهم. كما أنه لم يظهر حبه وإخلاصه لوطنه الجديد روسيا.

وعلى الرغم من أنه تقبل العقيدة الأرثوذكسية السائدة في روسيا، فقد ظلت الأفكار اللوثرية التي تشبع بها في ألمانيا تسيطر عليه. ومما زاد الوضع استياء أنه كان لا يخفي إعجابه الشديد بإمبراطور بروسيا، فردريك الثاني، عدو إليزابيث. كل هذا في الوقت الذي كانت هذه الأخيرة تعده لكي يرث العرش من بعدها. ولكن إليزابيث بدأت تساند كاترين وتقوى معنوياتها التي ساءت بسبب ما لقيته من إهمال زوجها.

وعندما توفيت الإمبراطورة إليزابيث، كانت روسيا منغمسة في حرب السبع سنوات، متحالفة مع فرنسا والنمسا، ضد بروسيا. وارتقى بطرس العرش (تحت لقب بطرس الثالث)، فكان أول ما فعل هو أن أوقف الحرب ضد بروسيا، وحوّلها من عدو إلى حليف لروسيا، لما تقدم من إعجابه بإمبراطورها.

وشعرت كاترين بالخطر عندما علمت أن زوجها يفكر في التخلص منها. وكانت تجد الدعم والتعاطف لدى الحرس الإمبراطوري ورجال البلاط وكثير من رجال الدولة. وكان من سوء حظ زوجها الإمبراطور

أنها سبقته إلى وضع خطة للإطاحة به، بمساعدة عشيقها أورلوف والحرس الإمبراطوري. وفي شهر جويلية (يوليو) من عام 1762 ارتقت العرش. ولم يعمر بطرس الثالث طويلا إذ قتل في سجنه؛ ولا يعرف بالتأكيد ما إذا كانت زوجته موافقة على اغتياله، أم أن أصدقاءها قضوا عليه ليخلصوها من أية عواقب غير متوقعة.

سبق أن كاترين أميرة ألمانية، كان اسمها "صوفا أوغستا فريدريكا". كانت فتاة ذكية موهوبة تواقة للمعرفة واسعة الاطلاع، تتقن اللغة الفرنسية. لم تكن رائعة الجمال، ولكنها كانت جذابة. وكانت شديدة الطموح، قوية الشخصية والعزيمة، بعيدة عن التعصب الديني، هدفها أن تصبح ملكة، ولذلك صبرت على زوجها العليل طيلة 17 سنة. وكانت واقعية، أحبت روسيا وجعلت مصلحتها قبل مصلحتها الشخصية، ولكنها لم تنس نصيبها من الدنيا. كان المعجبون بها والطالبون لودها كثيرين، وقد تجاوز عدد من اتخذتهم عشاقا العشرين. ولكنها كانت تختار الرجل لمواهبه القيادية وكفاءاته البدنية، وتختبره في ميادين الحرب أو السياسة أو الإدارة ... بعد ذلك تتخذه خليلا وتفتح له غرفة نومها.

كانت معجبة بالأدب الفرنسي، وقرأت للعديد من الأدباء والفلاسفة الفرنسيين. وكانت لها مراسلات مع ديدرو صاحب الموسوعة[1]، وفولتير، ودالمبير، وغريم. وقد زارها بعضهم وأعجبت بهم وأكرمتهم.

(1) راجع الصفحة رقم ......



أنجبت كاترين ابنا عام 1754، أصبح فيما بعد بولس الأول، ثم أنجبت بنتا وولدا. ويعتقد أن هذا الأخير كان من عشيقها أورلوف.

هذه هي المرأة، كاترين الكبرى التي حكمت روسيا طيلة 34 عاما، وأصبحت رمز الفترة من تاريخ روسيا، يفتخر بها الروس كما يفتخرون ببطرس الأكبر.

كان عليها بعد أن تولت العرش أن تجد مصدراً لتمويل خزانة الدولة الفارغة، فلجأت إلى الاستيلاء على الأراضي التي تملكها الكنيسة والأديرة، وحولت رجال الدين إلى موظفين لدى الدولة. وعقدت العزم على أن تجعل روسيا دولة قوية متطورة، وأن تكون هي مثالا للحاكم " المستنير " الذي قرأت عنه في كتب الفلاسفة. وحاولت أن تخطط لوضع دستور شامل يحقق الإصلاحات الضرورية لإمبراطورية متطورة، على غرار أفكار حركة التنوير الفرنسية التي كانت من عشاقها.

وفي عام 1767 كونت لجنة تشريعية، وجمعت ممثلين عن طبقات النبلاء، وعن مختلف المدن والمناطق، وعن المزارعين (غير الفلاحين من الرقيق الذين يملكهم النبلاء). وتصدرت أعمال هذا " المؤتمر الكبير " تعليمات من الإمبراطورة تتضمن أفكارا ليبيرالية لتوجيه أعمال المؤتمر. وعقدت اجتماعات عديدة لم تسفر عن نتيجة، وبقيت مساعي الإمبراطورة حبرا على ورق.

والواقع أن روسيا كانت لا تزال بلدا زراعيا متخلفا. وكان

الفلاحون في مجملهم عبيدا لمن يملك الأرض. وكانت طبقة النبلاء والارستقراطية هي التي تمد الملكة بما تحتاج إليه من مال ورجال لتدعيم جهود الحرب. وكانت كاترين ملكة طموحة ترغب في أن تجعل من روسيا دولة قوية، وتعترف بخير هذا البلد الذي احتضنها وأكرمها وهي أميرة صغيرة مجهولة.

ولكن ما كل ما يتمنى المرء يدركه؛ فقد اكتشفت أن البون شاسع بين الإيمان بالأفكار الليبيرالية والتفكير في وضع قوانين تحسن ظروف "عبيد الأرض"، وبين تطبيق هذه الإصلاحات وتغيير النظام الاجتماعي الإقطاعي، وتحرير الفلاحين من قبضة أسيادهم. لأن هذا العمل يثير عليها ملاك الأرض والنبلاء، ويحرمها مما تحتاج إليه من دعم لتقوية الجيش والأسطول. وهكذا تخلت عن مشاريعها الليبرالية، وبدأت تنفيذ " إصلاحات " كانت في مجموعها لصالح طبقة النبلاء والإقطاعيين:

- دعمت سلطتهم فيما يتعلق بالتحكم في استخدام عبيد الأرض والاستحواذ على مصيرهم.
- قدمت لهم امتيازات خاصة تحميهم من أيّ دعوى تقام ضدهم، وألغت القوانين التي كانت تلزمهم بقضاء مدة في خدمة الدولة، في الجيش أو الإدارة.
- أعفتهم من ضريبة الرؤوس، وسهلت لهم استغلال المناجم.

وكان من نتائج هذه الإصلاحات أن ازداد عدد رقيق الأرض فأصبح لا يقب عن 95 في المائة، وأصبح الفلاحون محرومين من



حقوقهم الأساسية. وهكذا ذهب ما كانت تحلم به كاترين من إصلاحات ليبيرالية أدراج الرياح.

وفي عام 1773 نظم ضابط يدعة بوغاتشوف انتفاضة في منطقة الأورال سانده الفلاحون في توسيع نطاقها. وادعى هذا الثائر أنه بطرس الثالث زوج الإمبراطورة. واستفحل أمره، فاضطرت كاترين إلى إرسال جيش للقضاء على ثورته، وحكم عليه بالإعدام.

وتجدر الإشارة إلى رجل (من بين آخرين) ممن حازوا ثقة الامبراطورة، واضطلع بدور هام في تدعيم سلطانها، يدعى بوتمكين. كان من الرجال الذين اختبرتهم وأعجبت بهم، فاتخذته وزيرا وقائدا وعشيقا. وكان هذا القائد ذا مواهب واسعة، فاستطاع أن يقود الجيش الروسي إلى النصر على الجيش العثماني عام 1774، وضم إلى روسيا مناطق واسعة في شمال البحر الأسود. وظلت كاترين تكنّ له عظيم التقدير حتى بعد أن ألغته من قائمة عشاقها.

سبقت الإشارة إلى ما أظهرته كاترين، قبل توليها العرش وبعده، من اهتمام بحركة التنوير في فرنسا، وبأدبائها وفلاسفتها. وحاولت أن تدخل بعض أفكارهم في مشروع دستورها الفاشل. غير أن ضرورات حكم بلاد واسعة متخلفة مثل روسيا جعلت تلك النبضات التحررية تتبخر أمام متطلبات الواقع، وطموح الملكة إلى توسيع نطاق امبراطوريتها.

ثم جاءت الثورة الفرنسية، وأعدم الملك لويس السادس عشر، فاهتزت لهذا الحدث عروش، وشعرت كاترين بالخطر، فبدأت تتخذ



الإجراءات الوقائية. وفرضت الرقابة على الكتب والمجلات، وأمرت بسجن أو نفي كل من ينتقد النظام، وتحالفت مع النمسا وبروسيا من أجل تقسيم بولونيا، واستولت على مناطق واسعة من أكرانيا أملا في أن تحجز هذه المساحات عن بلادها تيارات الأفكار الثورية المنبعثة من فرنسا.

وإضافة إلى ما سبق، من المفيد الإشارة إلى بعض المنجزات الأخرى التي تحققت أثناء حكم كاترين الكبرى. ففي ميدان التوسع الاستعماري، نجحت جيوشها في الاستيلاء على مساحات واسعة في مناطق أزوف والقرم وأكرانيا وليتوانيا. وحصلت روسيا على حرية الملاحة في البحر الأسود، وعلى حق التدخل في القسطنطينية لحماية المسيحيين.

وأنفقت بسخاء على التعليم، وشيّدت المدارس والمستشفيات وشجعت العلوم والفنون والأدب. وألفت قصائد شعرية ومقالات متنوعة ومسرحيات وغيرها. وقد ساعدتها ثقافتها الواسعة على أن تكون بعيدة عن التعصب العقائدي، فسمحت للمذاهب المختلفة بأن تمارس شعائرها بحرية.

توفيت كاترين الكبرى بسبب انفجار شريان في الدماغ، حدث ذلك في شهر نوفمبر من عام 1796، بعد حكم دام أربعة وثلاثين عاما.



سيمون بوليفار

SIMON BOLIVAR



بعد مسيرة طويلة وشاقة في طريق الكفاح، وبعد أن تمكن من تحرير ستة بلدان في أمريكا الجنوبية من سيطرة الجيش الأسباني ، وبعد فشله في ضم شمل البلدان التي حررها في إطار اتحاد يعزز استقلالها، ويرفع صوتها أمام القوى الدولية الأخري، كتب سيمون بوليفار، قبل وفاته ببضعة شهور، رسالة تنم عن مدى شعوره بالخيبة لما ظهر من خلافات ومنازعات بين زعماء البلدان التي حررها. ومما ورد في هذه الرسالة:-

" توليت السلطة خلال عشرين سنة الماضية، بعد ذلك كله توصلت إلى استنتاجات منها :



- أنـه من شبه المستحيل أن نتمكن من تسيير شئون هذه البلدان كما ينبغي.
- من يخدم ثورة كمن يحرث البحر.
- الحاجة الوحيدة التي بوسع المرء أن يفعلها هي أن يهاجر.
- ستقع هـذه البلدان بلا شك في أيدي مجموعات من المستبدين من جميع الأجناس والألوان،
- سيقضـي علينـا العـنف والجـرائم والوحشية، ويحـتقرنا الأوربـيون ويسيطرون علينا.
- إذا كان مـن المتوقع لجـزء مـن العـالم أن يعـود إلى حالـة الفوضـى البدائية، فسيكون هذا الجزء هو الأقاليم التي حررناها ".

ولـد سيمون بوليفار سنة 1783 في مدينة كاراكاس، فنزويلا مـن عائلـة ثرية مـن الأسـبان. تـوفي أبـوه وعمـره ثـلاث سنوات، وتوفيـت أمـه وسـنه نحـو تسـع سـنوات وتولـي عمـه تربيـته وإدارة أملاكـه، واخـتارت عائلته له معلماً خاصا (أحد المعلمين) يدعي SIMON RODRIGURE كان صاحب خبرة وأفكار تحررية، وكان له أثر كبير في حياته الفكرية.

وعندما بلغ بوليفار السادسة عشرة من العمر، سافر إلى أسبانيا، مدريـد، لمواصلة تعليمه، ومكـث فيها ثـلاث سنوات . واسـتقر في مـنزل خالـه فلم يجـد صعوبة في الاندماج في المجتمع الأسباني. غير أنه لاحظ أن الأسـبان المولديـن في إحـدى المسـتعمرات الأسـبانية مـثله لا يحظـون



بنفس المعاملة والتقدير مثل أولئك الذين ولدوا في أسبانيا. وتعرف على فتاة تدعي ماري تيريز، واتفقا على الزواج. قبل ذلك قام برحلة إلى فرنسا، وأعجب بما سمع من أخبار انتصارات نابليون. وعند عودته إلى مدريد، تزوج وسافر مع زوجته إلى كاركاس. غير أن القدر انتزع منه ماري تيريز بعد نحو تسعة شهور من زواجهما، فحزن عليها حزناً شديداً بعدها.

وفي سنة 1840 ، قام برحلة ثانية إلى أوروبا، فزار أسرة زوجته في مدريد، ثم سافر إلى باريس حيث التقى بمعلمه RODRIGUEZ ، ويرى أنه حضر حفل تتويج نابليون إمبراطوراً. ثم واصل رحلته مع معلمه إلى إيطاليا. وأثناء وجوده في روما، تعهد بأن يكرس حياته لخدمة البلدان الأمريكية التي ترزح تحت الاستعمار الأسباني، وكانت سنه لا تتجاوز 28 عاماً. وتجدر الإشارة إلى ما كان لمعلمه من تأثير في توجهيه إلى الأفكار التحررية آنئذ مثل الديمقراطية والمساواة والنظام الجمهوري، وإرشاده إلى مطالعة مؤلفات كبار الكتاب مثل فولتير وروسو.

كانت الإمبراطورية الأسبانية في " العالم الجديد "، في القرن الثامن عشر، تمتد شمالاً من فلوريدا إلى كاليفورنيا، ونحو الجنوب حتى بيرو والأرجنتين. وكانت مقسمة إلى أربع مقاطعات (أو أقاليم):

- أسبانيا الجديدة (عاصمتها مكسيكوسيتي).
- غرناطة الجديدة (عاصمتها بوغوتا).
- بيرو (عاصمتها ليما).



- لابلاتا (عاصمتها أسونسيون).

وكانت هذه المستعمرات الواسعة تعتبر ملكية خاصة للملك، يعين عليها ولاة مستبدين عادة. وكانت الأقلية القليلة من البيض تسيطر على خيرات البلاد، بينما كانت أغلبية السكان من الهنود والإفريقيين (العبيد) يعانون من الفقر والجهل. وكان الحكام في مدريد يعملون على إخفاء ما تنشره الثورة الفرنسية من أفكار تحريرية ثورية، حتى لا تصل إلى سكان المستعمرات. غير أن رياح التحرر كانت تنقل شيئاً من هذه الأفكار عبر الرسائل والمقالات والمسافرين . كما أن حرب الاستقلال التي خاضتها الولايات الأمريكية ضد بريطانيا كان لها قدر من التأثير على شباب المستعمرات الأسبانية المستنير.

وعندما استولى نابليون على أسبانيا، ونصب أخاه جوزيف ملكاً على عرشها، غضب بعض سكان المستعمرات (البيض خاصة) ورفضوا أن ينفذوا الأوامر الواردة من المغتصب الفرنسي. وشكل المسؤولون في كاركاس مجلساً سياسياً لإدارة البلاد. وفي عام 1810 أرسل المجلس وفداً إلى لندن بهدف عقد تحالف مع انكلترا، وكان بوليفار أحد أعضاء الوفد. وفي لندن التقى بوليفار برجل يدعي ميراندا، وهو قائد ثوري سبق أن حاول تحرير فنزويلا، ولم تنجح جهوده. واستطاع بوليفار أن يقنعه بأن يعود معه إلى فنزويلا من أجل استئناف الكفاح ضد الوجود الأسباني.



وأثناء مداولات الكنغرس في كاركاس، استطاع بوليفار والقائد ميراندا إقناع الكنغرس بأن يعلن استقلال فنزويلا عن التاج الأسباني، وتم ذلك في شهر جويلية (يوليو) من عام 1811. وعندما بدأت ثورة التحرير هذه كان معظم السكان الأصليين والسود لا يكترثون بها، إذا كان همهم الأول هو كسب قوتهم. والواقع أن بعض السكان البيض كذلك كانوا يخشون أن يفقدوا ثرواتهم.

وحدث أن أوكل القائد ميراندا إلى بوليفار مهمة الدفاع عن ميناءPUERTO CABELLO الاستراتيجي، ولكن حدثت ظروف أدت إلى أن يستولي الجيش الأسباني على هذا الميناء الهام. فلجأ إلى طلب الصلح، وقبض عليه وزج به في السجن، قبل أن هذا تم بسبب خيانة من طرف بوليفار.وسمح لهذا الأخير بمغادرة فنزويلا، إلى مدينة قرطاجنة، في إقليم غرناطة الجديدة (حالياً في كولومبيا)، وبذلك فشلت أول معركة من أجل التحرير، كان قائدها بوليفار.

لم ييأس بوليفار، ولم يستسلم، وعرف أن معركة التحرير طويلة وشاقة، وظل طيلة أربع عشرة سنة يخوض المعارك التحررية .

بعد الهزيمة المذكورة جمع جيشاً من المتطوعين، واستطاع أن يستولي على مدينة كاركاس في صيف 1813. واستمرت المعارك، وأخرجه الجيش الأسباني من المدينة. واتجه إلى هايتي التي استقلت عن فرنسا، وطلب المساعدة من رئيسها، وكان من أصل أفريقي، فقدم له المساعدة بعد أن اشترط عليه أن يحرر العبيد. وأنجز بوليفار وعده

فأعتق جميع ما يملك من عبيد، وكانوا يعدون بالمئات. وخاض المعارك، وحقق بعض النصر، ولكنه مني بهزيمة كبيرة في معركة LA PUERTA سنة 1815.

جمع هذه المرة جيشاً قوامه 2500 رجلاً من اللفيف الأجنبي من إنكليز وإيرلنديين (وقد أنفق ثروته على حروب التحرير)، واستطاع أن يحرر إقليم غرناطة الجديدة، وكون جمهورية كولومبيا الكبري (علي الورق) التي كان من المفروض أن تضم غرناطة الجديدة، وفنزويلا، وكويتو (إكوادور). حدث هذا في عام 1819، وكان هذا الانتصار تحولاً إيجابياً في حروب التحرير. وفي جوان (يونيو) من عام 1821، حقق انتصاراً كبيراً في معركة CARABOBO، وتمكن من تحرير فنزويلا نهائياً من سيطرة الجيش الأسباني. واجتمع الكنغرس، وأعلن بوليفار رئيساً للجمهورية الكبرى المذكورة.

كان القائد SUCRE من أشهر قواده وأقربهم مكانة إلى قلبه. وعندما حقق هذا القائد انتصاراً هاماً في معركة PICHINCHA في مايو 1822، تم تحرير إكوادور. وفي مدينة QUITO التقى بوليفار بفتاة حسناء ثائرة مناضلة هي الأخرى، فتعلق بها، ورافقته في حله وترحاله.

اتجه بوليفار نحو الجنوب لتحرير بيرو، وهجم على الجيش الأسباني، وانتصر عليه في معركة JUNIN، في صيف 1824. ولاستكمال تحريره هذه البلاد أرسل قائده SUCRE الذي واجه الجيش الأسباني في معركة AYACUCHO، وكان النصر فيها حليف جيش التحرير.



وخاض القائد المذكور معركة أخري في منطقة بيرو العليا، فحررها وأسماها بوليفيا، تكريماً لرئيسه بوليفار. وبذلك بلغ بوليفار قمة سلطانه الذي أصبح يمتد من البحر الكاريبي شمالاً إلى حدود بوليفيا والأرجنتين جنوبياً، باستثناء البرازيل التي كانت تابعة للبرتغال.

وفي عام 1826 دعا بوليفار إلى اجتماع للبلدان التي استقلت عن أسبانيا، يعقد في باناما ليبحث موضوع إنشاء شكل من الاتحاد بينها يدعم استقلالها ويعزز مواقفها أمام الدول الكبرى. ولكن هذا الاجتماع لم يحقق الهدف الذي دعا إليه بوليفار، ويبدو أن أفكاره كانت متقدمة على عصره بالنسبة لتوحيد تلك البلدان.

ولم يقف الأمر عند ذلك، فقد بدأت تظهر مشاكل أكبر مما كان يتوقع زعيم التحرير. فقد كان من العسير تطبيق مبادئ المساواة والأخوة والعدالة والجمهورية الديمقراطية بسبب الظروف الاجتماعية والاقتصادية والمشاكل العرقية وضعف مستوي الوعي لدي السكان . وظهر خلاف بين زعماء البلدان المحررة، وبدأت منازعات، وحاول كل واحد أن يدعم نفوذه الشخصي، فنشأت حرب أهلية وانفصلت فنزويلا عن كولومبيا. بل اتهم قائد التحرير نفسه بالخيانة، وحصلت محاولة لاغتياله في مدينة بوغوتا. وفي آخر مرة تحدث فيها أمام الكنغرس، دعا مرة أخري إلى إنشاء مجلس يوحد.البلدان المتحررة وجهودها. وفي النهاية قال عبارته المشهورة (من يسعى إلى توحيد بلدان أمريكا الجنوبية كمن يحرث البحر).

وفي عام 1830 قرر أن يعتزل الحياة العامة، فغادر مدينة بوغوتا متوجهاً إلى قرطاجنة. وبينما كان ينوي أن يركب سفينة ليسافر إلى جاميكا أو إلى أوروبا، بلغه نبأ اغتيال صديقه القائد SUCRE الذي كان يعزه مثل ابنه، فحزن لقتله حزنا عميقاً. وحصل انقلاب عسكري في بوغوتا، فطلبوا منه أن يعود إليهم فرفض. واشتد به المرض فذهب إلى منزل صديق له بالقرب من SANTA MARTA في كولومبيا. وفي 17 من شهر ديسمبر 1830 وافته المنية. وبعد اثني عشر عاما نقل جثمانه إلى بلده الأصلي فنزويلا.

ويكفي دليلاً على مكانته في تاريخ أمريكا الجنوبية، وفي قلوب الناس، أنه لا تكاد توجد مدينة أو قرية في تلك البلدان، تخلو من شارع أو ساحة أو مؤسسة تحمل اسم سيمون بوليفار.



أبراهام لنكولن

ABRAHAM LINCOLN



ولد لنكولن عام 1809 في ولاية كنتاكي، ثم انتقلت أسرته إلى ولاية إنديانا وعمره تسع سنوات. وتوفيت أمه ولم يتجاوز العاشرة من العمر. كان أبواه فقيرين، ونشأ في بيئة لم توفر له فرص التعليم، فلم ينل من التعليم النظامي إلا القليل. ولكنه قرأ بعض الكتب مثل الإنجيل، وروبنسون كروزو وحكايات EASOP ، وسعى بمرور السنين إلى رفع مستوى ثقافته. وما لبث أن تزوج بامرأة مطلقة لها ابن وبنتان، فأعادت للأسرة الدفء والحنان الذي فقدته. وفي سنة 1830 انتقلت الأسرة إلى ولاية إلينوي.

تعاطى الشاب لنكولن أعمالا متنوعة مثل الزراعة، ونشر الأخشاب، ومسح الأراضي، وأمين مستودع، وعمل في مكتب للبريد،



وورشة لصنع المراكب، واشترك سنة 1836 على شهادة تخوله ممارسة المحاماة. وانتخب عضواً في مجلس البرلمان المحلي.

تزوج لنكولن عام 1842، وبدأت شهرته تنمو تدريجياً في ميدان المحاماة والسياسة في ولاية إلينوي، إلى أن أنتخب عضواً في الكنغرس عام 1847 (فترة واحدة). وارتقى سلم المسئوليات في الحزب الجمهوري، فرشحه لانتخابات مجلس الشيوخ الأمريكي. ولم يحصل لنكولون على هذا المقعد، ولكنه حقق شهرة واسعة النطاق من خلال خطاباته ومناقشته مع منافسه. وفي عام 1860 رشحه حزبه للانتخابات الرئاسية ففاز بها، ودخل البيت الأبيض في 4 مارس سنة 1861 .

كان لنكولن في بداية فترة رئاسته الأولى متردداً في إعلان سياسته المتعلقة بتحرير العبيد. وكان يخشى أن هذه السياسة تدفع بعض الولايات الحيادية إلى الانضمام إلى ولايات الجنوب الانفصالية. والواقع أن البرنامج الذي انتخب على أساسه رئيساً للولايات المتحدة عام 1860 لم يتضمن الالتزام بتحرير العبيد. غير أن زعماء الولايات الجنوبية كانوا يفكرون في الانسحاب من الاتحاد إذا انتخب لنكولن رئيساً لما عرف عنه من أفكار تناصر قضية العبيد. وبالفعل ما إن حل شهر جوان (يونيو) من عام 1861 (تولى السلطة في مارس) حتى كان عدد الولايات التي انفصلت عن الاتحاد إحدى عشرة ولاية.

كانت توجد حامية تابعة للحكومة الفيدرالية في حصن FORT SUMTER قرب ميناء شارلستون (كارولين الجنوبية)، فأرسل لنكون



فرقة من الجنود لتعزيزها. ولكن جيش الولايات الجنوبية أطلق النار على هذا الحصن في 12 أبريل سنة 1860، وطلب من الحامية أن تستسلم. وبذلك بدأت حرب أهلية مدمرة دامت أربع سنوات. وانتهت هذه الحرب عندما استسلم الجنرال "لي" LEE ، قائد قوات ولايات الجنوب الانفصالية في التاسع من شهر أبريل سنة 1865 .

وانتخب لنكون عام 1864 لفترة ثانية رئيساً للولايات المتحدة، فبذل جهداً كبيراً من أجل إدخال تعديل على الدستور يمكن من إلغاء نظام الرق في البلاد. ونجح في دفع الكنغرس إلى الموافقة على هذا "التعديل" في مطلع عام 1865. كما نجح في هدفه الرئيسي وهو الانتصار على الولايات الانفصالية والمحافظة على وحدة البلاد. غير أن لنكولن لم يعمر طويلاً ليتمتع بهذا النصر، إذ قتل بعد بضعة أيام فقط بعد نهاية الحرب الأهلية، وكان اغتياله في 14 أبريل 1865 بينما كان جالساً في مسرح فورد في العاصمة واشنطن، وتوفي في صباح اليوم التالي.

من أقوال لنكولن:

- كما لا أريد أن أكون عبداً، لا أريد أن أكون سيداً للعبيد.
- من لا يريد أن يكون عبداً ينبغي ألا يسمح أن يكون له عبيد. من يحرمون الآخرين من حريتهم لا يستحقونها لأنفسهم، وسوف لا يتمتعون بها طويلاً في ظل إله عادل.
- لو أستطيع أن أنقذ وحدة البلاد من غير تحرير عبد واحد، فعلت ذلك ولو أستطيع إنقاذ وحدة البلاد بتحرير جميع العبيد فعلت



ذلك، ولو أستطيع إنقاذ وحدة البلاد بتحرير بعض العبيد وترك البعض الآخر، فعلت ذلك.

- علينا أن نعاهد الذين قتلوا في هذه المعركة (غيتسبورغ) على إلا تذهب تضحيتهم، وأن يبدأ هذا الشعب حياة جديدة في ظل الحرية، وعلي أن حكومة من الشعب وإلي الشعب لا تنقرض على وجه البسيطة.

- كلما سمعت شخصاً يدافع عن الرق، تمنيت بقوة أن يكون نفسه عبداً لغيره. يبدو غريباً حقاً أن يجرؤ رجل على أن يطلب من إله عادل أن يساعده على نيل خبزه من عرق جبين رجل آخر.

القسـم الرابع

موضوعات متنوعة



- هيرودوت
- حكاية راعوت (من العهد القديم)
- السحر والشعوذة
- التنبؤ بالمستقبل
- معجزات
- أبقراط (أبو الطب)
- الأناجيل ومدونوها
- أبو الهول (الإغريقى)
- العالم كما هو
- اليوم السابع - الحكاية الخامسة
- معلم الحكمة
- حكاية طوبيت (من العهد القديم)
- الإمبراطورة وابنها
- الأبيض والأسود
- حكاية أستير (من العهد القديم)
- سقــراط
- اليوم الثامن - الحكاية العاشرة
- ماركو بولو
- الحـــق
- ليوناردو دافنشى
- حكاية أبشالوم (العهد القديم)
- القوانين
- الإمبراطورة وصديقتها
- الآباء والأبناء
- المســاواة
- الزواج والعزوبة
- عــادات

هـــيرودوت

HERODOTUS



ولد هيرودوت نحو عام 484 ق.م في مدينة HALICARNASSUS (الآن مدينة BODRUN في تركيا). وكانت هذه المدينة تحت حكم اليونان ثم حكمها الفرس فترة. قرأ هيرودوت هوميروس، وأطلع على الأدب اليوناني. وكان مولعاً بالسفر فزار اليونان الكبرى، وساحل فلسطين، ومصر حيث أقام فترة طويلة. كما زار سوزا، عاصمة الفرس، وبابل، والبحر الأسود وغيره من المناطق.

وفي عام 454 ق.م قتل LYGDAMIS، الطاغية أحد أقاربه، فغادر هيرودوت مسقط رأسه ورحل إلى ساموس، ثم رحل منها إلى أثينا حيث التقي بزعيمها بركليس وبعدد من الكتاب والفلاسفة. وكان يقرأ على الناس فقرات من كتابه "التاريخ"، (قبل إتمامه)، فنال بذلك



إعجاباً كبيراً. ومع ذلك كان يشعر في أثينا بأنه أجنبي لأنه لم تكن له جنسية المدينة.

في عام 443 ق.م أرسل الحاكم بركليس جالية لتستقر في مدينة THURII في جنوب إيطاليا، فانضم هيرودوت إليها وكان عمره نحو 40 عاما. بعد هذه المرحلة اختفت أخباره، ولعله اعتكف على إتمام "تاريخه "، وواصل أسفاره، وظل على اتصال بأثينا، وتشير المراجع إلى أنه ألف كتاب عن الأشوريين. توفي هيرودوت في مدينة توري المذكورة عام 425 ق.م .

يقول هيرودوت في كتابه "التاريخ " بصدد الحديث عن عادات سكان مدينة بابل :

ومن عاداتهم (وتشاركهم فيها قبيلة إينيتي) أنه في كل سنة تجمع الفتيات اللواتي بلغن سن الزواج في الساحات العامة بكل قرية، ويقف حولهن الرجال. ثم ينادي المنادي عليهن، ويعرضهن للزواج واحدة تلو الأخرى، مبتدئا بأجملهن فيطلب أغلى مهر. ويستخدم المبالغ التي جمعها من مهر الحسناوات لتزويج من كن أقل حظاً من الجمال، فيدفع مبلغاً لكل رجل يتزوج إحداهن.

ويحدثنا هيرودوت في الكتاب نفسه عن مصر فيقول : (وفيما يتعلق بمصر، سأطيل ملاحظاتي لأنه لا يوجد بلد فيه هذا العدد الكبير من الأعمال والعجائب التي تتحدى الوصف. ثم يتحدث عن مناخ مصر وعن النيل، ثم يقول بصدد الحديث عن العادات :.... تهتم المرأة



بالسوق والتجارة، بينما ينسج الرجل على النول في المنزل، .... وتحمل النساء الأعباء على أكتافهن، بينما يحمل الرجل العبء على رأسه. ويتناول المصريون غذاءهم خارج المنزل....، بينما يقومون بأعمالهم الخاصة (السرية) داخل منازلهم. ولا تتولى المرأة وظيفة الكاهنة سواء كانت خاصة بإله أو إلهة. ولا يجبر الأولاد الذكور على دفع نفقة لآبائهم إذا رفضوا ذلك. أما البنات فيجبرن على ذلك.

وفي مصر يحلق الكهنة شعر رؤوسهم، على عكس ما يحدث في البلدان الأخرى. وعندما يفقد الرجل شخصاً عزيزا لا يحلق شعر رأسه ولحيته. الناس في البلدان الأخرى يعيشون منفصلين عن الحيوانات، أما في مصر فهم محاطون دوما بالحيوانات، وهم الشعب الوحيد (ومن تعلم منهم) الذي يمارس عادة الختان. وعندما يكتبون يحركون أيديهم من اليمين إلى اليسار، وليس من اليسار إلى اليمين مثل اليونانيين.

وملابسهم مصنوعة من الكتان، وهم يحرصون على أن تكون نظيفة على الدوام. أما الكهنة فيحلقون الجسد بكامله كل يومين حتى لا يلتصق به أي وسخ أو حشرات، ولمراعاة النظافة عند تأدية صلواتهم في المعابد، فهم يستحمون مرتين في النهار ومرتين ليلاً بالماء البارد. ولا يستهلك الكهنة شيئا من ممتلكاتهم، بل يعد لهم الخبز من الحنطة، وتحضر لهم لحوم البقر والإوز وشئ من خمر العنب ... إلخ. وبدلا من كاهن واحد، تتولى خدمة كل إله جماعة يترأسهم كبير الكهنة).

ويحدثنا أبو التاريخ عن بعض عادات الفرس فيقول:



- عندما يلتقي الفرس في الشوارع، إذا كانوا من المركز الاجتماعي نفسه يقبل كل منهم الآخر على الفم، وإن كان أحدهم أدنى بقليل من مركز الآخر تكون القبلة على الخد. وإذا كان الاختلاف في المركز كبيرا، يسجد من هو أدنى أمام من هو أعلي مركزا.

- يتبنى الفرس العادات الأجنبية بسرعة. فقد لبسوا زي الميديين، وارتدوا درع الصدر المصري، وعندما يسمعون بعادة أجنبية مغرية يرحبون بها. وأخذوا عادات بعض الشهوات من اليونانيين. ولكل رجل عدد من الزوجات، وعدد الخليلات.

- يعتبر الفرس أن من أكبر دلائل الرجولة البراعة في استخدام السلاح، يلي ذلك القدرة على إنجاب أكبر عدد من الذكور. ويعلمون أولادهم من الخامسة إلى العشرين من العمر، ثلاثة أمور: ركوب الخيل، تسديد السهام، وقول الحقيقة.

- قبل أن يعاقب السيد عبده، يوازن بين سيئاته وحسناته. وهم يعتبرون الكذب من أكبر الكبائر. يليه في سلسلة الخطايا الدين لأن المدين كثيرا ما يضطر للكذب.

- لا يلوث الفارسيون النهر بفضلات أجسامهم، بل لا يغسلون أيديهم في النهر، ولا يسمحون لغيرهم بذلك.

- وهناك عادة سمعت بها، ولم أتأكد منها بنفسي، تفيد بأن الفرس لا يدفنون من يموت من الذكور بل يترك في العراء حتى يمزق بدنه كلب أو طائر من الجوارح.

- وعملت أن كهنة قبائل (MAGIC) جماعة غريبة يختلفون عن كهنة مصر. فهؤلاء لا يقتلون أي حيوان إلا إذا كان الهدف هو أن يقدم قربانا للآلهة. بينما يبدو أن قبائل ماجي يجدون متعة في قتل أي نوع من الحيوانات، باستثناء الكلاب والإنسان.

وبصدد الحديث عن الاستقيذين SCYTHIANS يقول هيرودوت:

- ينظف المقاتل الاستقيذي جمجمة (أو جماجم) أشد أعدائه كراهية له، ويغطي خارجها بالجلد، وإن كان غنياً يغطي داخلها بالذهب، ويستعملها إناء للشراب. ويفعل مثل ذلك بجمجمة قريبه أو صديقه إذا اشتدت العداوة بينهما وقتله أمام الملك. وإذا زاره ضيف محترم يعرض أمامه ما عنده من جماجم، ويشرح له كيف انتصر على أعدائه وخصومه.

- يقيم حاكم كل ولاية سنويا قدرا كبيرا مملوءا بالخمر، يشرب منه كل استقيذي قتل عدوا. وإن قتل أكثر بالخصم يشرب كأسين. بينما يجلس أولئك الذين لم يقتلوا أعداءهم بعيدا عن الحفلة، وهم يشعرون بالعار.

- إذا مرض ملكهم يوتي بثلاثة عرافين ليخبروه بسبب مرضه وهم يقولون له عادة بإنه مرض لأن أحد رعاياه (ويذكرون اسمه) أقسم باسم الملك، وهو غير صادق في دعواه . فيؤتى بالمتهم، ويبلغه العرافون بما فعل مما تسبب في مرض الملك. فينفي المتهم التهمة



ويحتج .. إلخ. عندئذ يأمر الملك بإحضار ستة عرافين آخرين. فإذا أكد هؤلاء أنه مذنب، يتولى العرافون الثلاثة الأوائل قطع رأسه، وتوزع ممتلكاته بينهم. أما إذا أعلن العرافون الستة براءة المتهم، فإنه يؤتى بعرافين آخرين، ثم يؤتى بغيرهم فإذا تأكد في النهاية أن معظمهم أعلنوا براءته، ينفذ حكم الإعدام في العرافين الثلاثة الأوائل الذين اتهموه، ويتم قتلهم على النحو التالي :

تشحن عربة بالحطب ويربط فيها عدد من الثيران. تربط رجل العرافين وتقيد أيديهم خلف ظهورهم، ثم يطرحون وسط الحطب وتشعل فيه النار فتجفل الثيران وتنطلق بالعربة مذعورة. بعد حين تلتهم النيران العرافين والثيران. وقد يحدث أن ينفصل العمود الذي تربط منه الثيران عن العربة فتنجو من الموت. وعندما ما يأمر الملك يقتل أي شخص من العرافين، بعد أن يثبت كذبه، فإنه يقتل كذلك أولاده من الذكور، ويترك الحياة لأفراد أسرته من النساء.

فيما يلي مقتطفات من محاضرة [1] للمؤرخ جون بانيال بيرى، يقدم فيها ملاحظات عن كتاب " التاريخ " لهيرودوت.

(1) من المحاضرة الثانية من كتاب: THE ANCIENT GREEK HISTORIANS, JOHN BAGNELL BURY, 1861-1927.

هيرودوت

(للمؤرخ جون بانيال بيرى)

يقول بيري عن هيرودوت ما مفاده:

- إن هيرودوت - وإن عرف " بأبي التاريخ " - لم يكن أول مؤرخ؛ كما أن أبو قراط " أبا الطب " لم يكن أول طبيب. ذلك لأن القرن الخامس ق.م. في اليونان كان يزخر بالقصص الأدبية والتاريخية.

- لم يتناول هيرودوت في كتابه " التاريخ " الصراع العسكري بين اليونانيين والفرس فقط. بل كتب عن الصراع بين الحضارة اليونانية التي كانت تتسم بالنظام الدستوري، والحضارة الشرقية التي كانت تعتمد على الحكم الفردي. ومع أنه كان فيما كتب يميل بعواطفه نحو اليونان، فقد اجتهد في تصوير الحياة داخل المعسكرين، وقدم للقارئ صورا حية عن الماضي.

- ينقسم كتابه إلى تسعة أقسام، يعالج القسم الأول أعمال الملك قورش؛ يتحدث القسم الثاني عن مصر؛ أما القسم الثالث فموضوعاته غير متكاملة ولكنه يركز على الثورة التي وضعت الملك داريوس على العرش؛ ويتحدث في القسم الرابع عن اسقيذيا؛ والخامس عن ثورة أيونيا؛ والسادس عن ماراثون؛ والسابع حملات ملك الفرس أحشورش ويتناول القسم الثامن انهزام الفرس في سلاميس؛ والقسم التاسع انتصار اليونانيين في بلاتايا، وميكالي.



- تأثر هيرودوت في كتابته بأسلوب هوميروس، فهو مثلا يلجأ إلى الاستطراد القصصي، ويجعل الشخصيات في كتابه تتحدث، ويفتح للحوار، وهو بتقليده أسلوب هوميروس يضفي على تاريخه نغمة ملحمية تجعله يسحر القراء.
- يعطي للصراع بين اليونان والشرق معاني أعمق من مجرد الملاحم الحربية والنتائج السياسية. فهو كما يصوره صراع بين شعبين وحضارتين، تتسم إحداهما بالحرية وطابع دستوري، والأخرى (الفارسية) حضارة شرقية تسودها العبودية وحكم الفرد.
- لا شك أن هيرودوت، عندما زار مصر، كان يحمل معه كتاب HECATAEUS ليسترشد به في بحوثه. وقد كان هذا الكتاب مرجعا رئيسيا اعتمد عليه هيرودوت فيما كتب عن تاريخ الشرق القديم، وعن ليبيا واسقيذيا.

نجح هيرودوت في جمع معلومات جغرافية غزيرة ومعلومات وافية عن الأعراق البشرية. وأظهر اهتماما كبيرا بشؤون الشرق وحوادثه. وقد اتخذ موقفا حذرا من الأساطير، وأبدع في السرد الملحمي، فهو هوميروس الحروب اليونانية - الفارسية.

حكاية راعوت مقتطفة

« من العهد القديم »(1)



هاجر رجل اسمه أليملك وزوجته نعمى وولداهما من بيت لحم إلى حقول مؤآب ليقيموا هناك. وبعد سنوات توفي الزوج، وبقيت نعمي وولداها. ومرّ الزمن، فاتخذ الولدان لهما زوجتين مؤابيتين، وأقاما هناك نحو عشر سنوات. ومرت سنوات، وتوفي الولدان فقررت نعمى أن تعود إلى بيت لحم. وطلبت من الكنتين أن تذهب كل منهما إلى أهلها. غير أن إحداهما، واسمها راعوت، أصرت على الذهاب مع نعمى إلى بيت لحم.

(1) العهد القديم مجموعة مؤلفات خطية كان اليهود يسمونها « الشريعة، والأنبياء والمؤلفات » أو « الكتاب ». ولما رأى المسيحيون أن كتبهم « الرسولية » تنص على تدابير « عهد جديد » قام بين الله وشعبه، أطلقوا على الكتب السابقة لدينهم اسم « العهد القديم ».



كان لنعمى قريب غني اسمه بوعز. وذهبت راعوث لتلتقط السنابل في حقله. ولما علم بوعز أنها كنة نعمى، وأنها اختارت أن تعيش معها في بيت لحم أحسن استقبالها، وطلب من القائم على حصاده أن يتركها تلتقط السنابل حيث شاءت.

وذات يوم قالت نعمى لراعوث: هوذا بوعز يذرى الشعير في البيدر هذه الليلة، فتزيني وتطيبي، واذهبي إلى البيدر، وراقبي خلسة المكان الذي يضطجع فيه. فإذا اضطجع فاضطجعي عند رجليه. واستفاق بوعز أثناء الليل، ولاحظ المرأة قرب رجليه، فسألها من تكون، فقالت أنا راعوث أمتك، فابسط ذيل ردائك على أمتك. فطمأنها بوعز وقال أجل أنا قريب زوجك، ولكن يوجد رجل أقرب إليه مني [1]، وسأرى في الصباح إن كان يرغب في أن يقضي لك حق القرابة، وإلا فسأفعل ذلك.

وفي الصباح ذهب بوعز إلى باب المدينة، والتقى بالقريب فأجلسه إلى جانبه، وأتى بعشرة رجال من شيوخ المدينة، فأجلسهم شهودا، وقال للقريب: أنت أقرب الرجال إلى أسرة نعمى، ولذلك لك الحق أن تشتري الحقل منها، وإذا فعلت ذلك تشتري أيضا راعوث، زوجة ابنها الميت لتقيم اسم الميت على ميراثه. فأجاب القريب: لا أستطيع أن أفك لنفسي لئلا أدمر ميراثي [2]، اشتر أنت لنفسك؛ وخلع نعله. وكانت

(1) كانت العادات القضائية اليهودية في ذلك العصر إذا توفي الزوج يعطي الحق أولا أخيه في أن يتزوج من امرأة المتوفي، ثم أقرب الناس وهكذا.

(2) لأن الوليد الذي يولد يكون الوريث الشرعي، وتكون الأرض له. لذلك تخلى القريب عن امتيازاته لصالح بوعز.

العادة في إسرائيل قديما أن يخلع الرجل نعله ويقدمه لصاحبه لإثبات تخليه عن حقه، ولإثبات المبادلة.

عندئذ قال بوعز للشيوخ الحاضرين: « أنتم شهود على أنني اشتريت من يد نعمى كل ما لأسرتها، وأنني اشتريت أيضا راعوت المؤابية لتكون زوجة لي، لأقيم اسم الميت على ميراثه حتى لا ينقرض اسمه من بين إخوته، ومن باب مدينته ».

وتزوج بوعز راعوت، وولدت له ابنا أسموه عوبيد، ويقول العهد القديم إنه جد سيدنا داود عليه السلام [1].

(1) ما زال تاريخ تأليف حكاية راعوت موضوع خلاف.



السحــــر والشعــوذة



ظل الإنسان منذ نشأته يشاهد فيما يحوط به، وفي الأجواء البعيدة من الأرض والبحر والسماء، حوادث مخيفة تثير في نفسه الحيرة والفزع، وتبعث في نفسه الأمل والاطمئنان أحيانا. وبقي هدفه الأول إبعاد الخطر عن حياته، والسعي للحصول على الغذاء وضمان البقاء.

كان يشاهد ظواهر كثيرة لا يعرف لها تفسيراً ولا يدرك مسبباتها: الشمس تظهر وتختفي؛ القمر وتقلباته؛ السحب في تحركاتها، وما تسببه من برق يخطف الأبصار ورعد يهز الأبدان. ثم ما سرّ هذه المياه التي تتدفق من السماء، وهذه الفيضانات المزعجة والزوابع المخيفة والزلازل المرعبة والبراكين والنيران والدخان؟!

ويشاهد من حوله حياة النباتات بتنوع ألوانها ومذاقها، وحياة الحيوانات في البر والبحر والسماء، فيتساءل من أين وكيف ولماذا؟ ويشعر



بالألم، ويرى الناس يمرضون ويموتون، فلا يرجعون، فيحتار ويزداد شعوره بالقلق، وتقوى رغبته في معرفة الأسباب الكامنة وراء كل ذلك.

وذات يوم ظهر في القبيلة أو المجموعة البشرية رجل له خيال فياض وذكاء وجرأة ورغبة في التفوق فقال لمن يتساءلون: إن الأسباب الكامنة وراء ما يصيبنا من كوارث الزوابع والفيضانات وندرة الغذاء وانتشار المرض ... هي مخلوقات خفية لا نراها، هي أرواح شريرة، وشياطين كافرة، وكواكب جائعة غاضبة، وأرواح الآباء والأجداد التي نسيناها، ومخلوقات أخرى من عوالم الجن السفلية. ولابد من مناجاة هذه القوى الخفية وإرضائها. وهكذا وجد أول دجال أو مشعوذ أو ساحر.

وتطورت ممارسات السحرة وتشعبت، وأصبح الساحر يمارس ما يسمى بالفن الأسود، ويستعين بقوى فوق طبيعية، مثل الأرواح والجن الكفرة والشياطين، للوصول إلى نتائج شريرة في العادة، أو لينجز أعمالا " فوق إنسانية "، بمساعدة تلك القوى الخفية.

ولم تكن ممارسات السحر منفصلة تماما عن المعتقدات الدينية الوثنية، كما كانت تختلط بالطب والعلاج، حتى في مصر القديمة التي كان جزء كبير من الطب فيها يعتمد على التجربة الواقعية. وكانت أساليب السحر وحوافزه، وما يحظى به السحرة من تقدير، أو يواجهون من عقاب، يختلف حسب ظروف المجتمع الذي يعيشون فيه، وحسب مستوى وعيه وتطوره ومعتقداته، وكذلك بناء على النتائج التي يتوصل إليها الساحر من ممارساته. وذلك لأن المجتمعات والسلطات كانت



تميز بين السحر الذي يجلب الخير والمنفعة، والسحر الذي يجلب (أو يتهم بأنه يجلب) المصائب والأوبئة والمعاناة للناس.

كان السحر المفيد، مثل العلاج، يلجأ إلى استخدام عناصر قد تكون نافعة أو عديمة الجدوى، مثل الأعشاب، والحجامة، والتدليك، والملح، والحرارة، ودم الحيوانات، والطبول، والدخان وغير ذلك. وبمرور الزمن تطورت الممارسات السحرية نحو التجارب العلمية، وتطورت الأفكار الدينية التي صاحبتها نحو التوحيد.

لقد انتشرت ممارسات السحر، كما تقدم، عبر القرون، في جميع أصقاع المعمورة لأسباب وأهداف يأتي تفصيلها. وقد حرمته جميع الشرائع السماوية. ومع ذلك كان الناس، وما يزالون، يلجأون للسحرة، خاصة في المجتمعات التي ما زال الجهل يسيطر على جزء كبير من سكانها. وقد انتشرت أساطير وحكايات، منذ القدم، تشير إلى مدى اهتمام الناس بهذا الفن الغريب.

يروى العهد القديم (سفر صموئيل الأول) أن الملك شاؤل ذهب إلى امرأة كانت تستحضر الأرواح، وطلب منها أن تستحضر له روح صموئيل (زعيم ديني وقائد عسكري في بنى إسرائيل) فخافت أنه ينصب لها فخا لمعاقبتها؛ ولكنه طمأنها وأقسم إنه صادق. ولما استحضرت له المرأة شبح صموئيل، ارتمى على وجهه وطلب منه أن يرشده ماذا يفعل بعد أن تخلى عنه الإله في حربه ضد الفلسطينيين .. إلخ. ويروى كذلك أن أحد ملوك مصر، AHMOSE الثاني (حكم بين

570-526 ق.م) تزوج فتاة يونانية رائعة الجمال، غير أنه لم يستطع أن يجامعها. فانزعج وثارت ثائرته، وهدد بقتلها ظنا منه أنها سحرته. طلبت منه الفتاة أن يصلي ويقدم القرابين إلى فينوس، إلهة الحب، فزال عنه ما أصابه من عجز.

وتجدر الإشارة إلى ما ورد في القرآن من حديث عن ممارسات السحر في مدينة بابل إذ تقول الآية:

﴿ وَٱتَّبَعُواْ مَا تَتْلُواْ ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَٰنَ ۖ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَٰرُوتَ وَمَٰرُوتَ ۚ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ ۖ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِۦ ﴾ .. الآية.

واشتهرت في القرآن قصة سيدنا موسى عندما ذهب إلى فرعون ليذكره برب العالمين، وحاول إقناعه بالمعجزات فألقى أمامه عصاه التي تحولت إلى ثعبان. ولكن فرعون ظن ذلك سحرا فجمع ما لديه من السحرة، وألقوا حبالهم وعصيهم أمام فرعون وجماهير الناس، فتحولت (بل خيّل للناس أنها تحولت) إلى ثعابين، وألقى سيدنا موسى عصاه فقضت المعجزة على السحر، والتهمت العصا حبال سحرة فرعون وعصيهم.

ومما يدل على انتشار السحر في مختلف العصور والبلدان ما رواه المؤرخ غيبون (Gibbon) من أن مختلف الطوائف في الإمبراطورية الرومانية كانت تخشى القوى الخفية والآثار التي تحدثها الأعشاب



السحرية وعصاراتها المقيتة، والطقوس الشيطانية التي تؤجج الانفعالات، بل ربما تقضي على الروح. ويقول إن قوانين روما شجبت فنون السحر؛ ولكن بما أن هذه الفنون السحرية ترضى رغبات كثير من الناس وتنعش خيالهم وعواطفهم فقد استمرت ممارستها.

ومن قبيل السحر والتدجيل ذلك الرجل الذي ادعى أنه خبير في الكيمياء، وأنشأ مختبرا مع صديق له، زاعما أنه يبحث عن " الحجرة السحرية " التي تحول المعادن إلى فضة وذهب. وكان يلجأ للمكر والغش والدهاء فيخفى قطعا صغيرة من الفضة في الفرن، ويوهم الزوار بأنه أنتجها بفعل السحر الخفي. وتوافد عليه الناس ممن يحتاجون إلى تحقيق رغبات خاصة بواسطة قوى خارقة للطبيعة.

والسحرة " يبيعون أرواحهم للشياطين وكفرة الجن " ليحصلوا منهم على المساعدة الضرورية لتحقيق أهدافهم. ويحضرني في هذا الصدد مسرحيتان، الأولى للأديب الانكليزي Marlow وعنوانها "الدكتور فاوستس " الذي يعقد صفقة مع الشيطان، فيبيعه روحه مقابل أن يحقق له جميع رغباته. والمسرحية الثانية للأديب الألماني جوتى، وعنوانها " فاوست " وفيما يتعهد الشيطان بأن يعيد لفاوست الشباب ويشبع جميع رغباته، وينقله إلى بلدان عديدة، مقابل أن يسلمه روحه في نهاية المطاف.

وسائل الساحر وأهدافه

يزعم الساحر أنه ورث المهنة عن أبيه أو جده، أو أنه تعلمها عن

خبير ورثها أو مارسها فترة طويلة. ومهما كان ادعاؤه فلابد أن تجتمع فيمن يمارس السحر (الشعوذة) صفات بدنية ونفسية، وخبرة طويلة تخلق لديه الثقة بالنفس؛ ولابد أن يملك قوى روحية وسمات مبهمة غريبة تميزه عن غيره، وتجعل الناس يتأثرون بمنظره ونظراته وحركاته، وتخلق القدرة على إقناعهم بأنه يتمتع بخصائص خفية سحرية.

وتلعب عوامل الإيحاء والوهم والتمويه والتدجيل دورا هاما في نجاح الساحر، وسيطرته على عقول زبائنه الصغيرة وأفكارهم البسيطة ، لأن التأثير النفسي جزء هام من مهام الساحر. ولذلك يبدو بعضهم وكأنهم قوة كهربائية تصرع زبائنهم، أو كأن لهم قوة مغناطيسية تجذب إليهم ضعاف النفوس، أو كأن ألسنتهم تنفث "سحرا " يخدر الجاهلين ويخضعهم لسلطانهم. ومن عوامل نجاح الساحر أن يتوفر له قدر من الذكاء والدهاء وقوة العزيمة، وأن يكتم الأسرار، ولا يختلط بالناس ليحافظ على هيبة الساحر وما يحيط بأعماله وحياته من غموض. ويلاحظ أن الساحرة تكون، في غالب الحالات، عجوزا، مشوهة الخلق، قاسية، ذات ملامح مخيفة ونظرات حادة، وغير متزوجة.

ويزعم الساحر (أو الساحرة) أنه قادر على أن يجلب الخير أو يسبب الضرر. ولذلك سمي السحر من النوع الأول بالسحر الأبيض، ومن النوع الثاني بالسحر السود. فالسحر الأبيض مثلا يشفي الأمراض، ويجمع المحبين، وينعش التجارة، ويحمي المسافر، ويحمي المنزل، ويكثر كمية الصيد في البر والبحر .. إلى غير ذلك. والسحر



الأسود يسعى مثلا إلى إفساد العلاقات بين الإخوة أو الجيران، ويسبب الأمراض، ويضعف القوة الجنسية لدى الرجل، ويفسد الزرع والماشية وهلم جرا وخبطا.

وليحقق الساحر والمشعوذ هذه الأعمال يدعى أن له جنودا من الشياطين، وكفرة الجن، والأرواح الطيبة أو الشريرة، والقوى السماوية أو السفلية الخفية، والأشباح الصالحة والغريبة، والفوانيس القديمة السحرية، والوصفات النباتية، والأدوية السرية .. إلخ تساعده على إنجاز مهامه وتحقيق رغباته. وهو يختار منها ما يناسب رغبة الزبون المغفل، والزبون الجاهل، والمتعلم، والفقير، والزبون الغني.

يزعم الساحر أن أعماله تتضمن طقوسا خاصة وشعائر خطيرة أحيانا، تختلف ظروفها ووسائلها حسب اختلاف طلبات زبائنه إن كانت سهلة ميسرة أو عسيرة وشاقة. فهو يناجى الأرواح والجن والشياطين، أحيانا ليأمرهم بفعل كذا وكذا، وتارة ليطلب منهم المعرفة والقوة لإنجاز مهامه، وحينا ليخضع لهم ويستجديهم المساعدة.

ومن أخطر الظروف التي ينبغي أن يهيئها الساحر والمشعوذ ليستحضر الشياطين وكفرة الجن والأرواح الشريرة أن ينعزل في خلوته مدة سبعة أيام، أو عشرة، ويصوم عن الطعام وألا ينام ليلا ولا نهارا، ويواصل تلاوة عبارات وأناشيد غامضة .. إلخ ومن الواضح أن العزلة الطويلة والجوع والعطش والتعب والظلام مدة طويلة تؤدي به إلى الهلوسة وتجعله يرى أشباحا ويسمع أصواتا فيظن أنه بلغ المراد.



ويلجأ الساحر (أو الساحرة) أحيانا إلى تنظيم حفلات جماعية، يرتدي أثناءها لباسا خاصا، ويضع على وجهه قناعا، أو يرسم عليه خطوطا ملونة، ويضع على رأسه قبعة أو عمامة غريبة الشكل. ويتجمع الزبائن في حلقة، وقد ارتدوا ملابس مزركشة. وتعتبر هذه الحفلات حفلات رقص صاخبة، فيها تدق الطبول، وتنتشر روائح البخور، وترتفع أثناءها التهاليل والأناشيد، ويطوف بعضهم بمشاعيل، وأحيانا يأمر المشعوذ بذبح حيوان وسط الحلقة فيزيد منظر الدم من هيبة الحفلة، ويقدم للزبائن مشروبا حادّا، ويوضع وسط الحلقة كانون ترمى فيه مواد تتصاعد منها السنة ملونة من النار. ويظل الناس يرقصون مدة طويلة حتى يسقط بعضهم من التعب، ويبلغ بعضهم نشوة عميقة، ويغمى على بعضهم، فينامون نوما عميقا. وفي الصباح يبلغهم المشعوذ أن العفاريت قد خرجت من أجسادهم، وأن الأرواح الشريرة غادرت المكان.

ولا حدود للوسائل والأساليب التي يلجأ إليها السحرة والمشعوذون: الأتربة والحجارة الملونة، البذور والجذور والزهور، ومختلف أجناس الأعشاب الضارة منها والنافعة. كما يستعمل أنواعا مختلفة من حيوانات البر والبحر والسماء، يستخدم في سحره ريشها وشعرها وأظفارها وقرونها وأحشاءها، وأحيانا فضلاتها. أما الطلاسم فحدث ولا حرج، وقد ظن الإنسان منذ القدم أن بعض المواد الغامضة والألغاز المبهمة تحتوي على قوة خفية تجلب الحظ وتبعد الشر. فاستغل السحرة هذه الاعتقادات البدائية الساذجة لدى البسطاء والمغفلين.

إن الخوف في كثير من الأحيان يعطل تفكير الإنسان، ويفقده



توازنه النفسي، فيصدق ما لا يُصدق. يضاف إلى ذلك الحقد والرغبة في الانتقام، والجهل كل ذلك يجعل الإنسان فريسة في يد المشعوذين. فالطلاسم، مثلا، التي يخدع بها الساحر الناس ما هي إلا نقوش ورسوم مبهمة، وأرقام وجداول تتخللها حروف لا معنى لها، وتمائم وتعاويذ لا تغني ولا تفقر. ويلاحظ أن من نكبه الدهر في صحته أو ماله أو أسرته قد يصبح كالغريق يتمسك بأيّ غصن قريب، ويلجأ إلى كل ما يجلب له الأمل. ونرى بعض الناس يحملون سوارا أو قلادة، أو خاتما، أو حزاما، أو قطعة من ذيل إحدى الزواحف، أو حفنة بذور أو تراب .. يظنون أنها تجلب الحظ وتبعد شر العين الحاسدة.

وتتنوع الوسائل التي يستخدمها المشعوذ أو الساحر بقدر ما يسمح له خياله الخصب وظروفه المادية. وقد يكون هدفه الأول هو أن يخضع الزبون ويؤثر على نفسيته، فيعدّ محاليل كيماوية تبهر الزائر عندما يخلطها أمامه، وتتصاعد منها أبخرة وروائح تنعشه وتخدره. وقد يغد في منزله أجهزة وأضواء يوهم بها الزبون بأنه يحرك الأشياء عن بعد أو يوهمه أن لديه مرآة سحرية أو فانوسا سحريا؛ ويصنع الساحر أحيانا تماثيل صغيرة من الشمع أو الكتان (في شكل إنسان)، فيحرق الأولى ويخز الثانية بالإبر ليقنع زبائنه بأن الضرر قد لحق بأعدائهم. وعندما يريد أن يدلى بحكمه النهائي يتظاهر بأنه قد استولت عليه قوة خفية فيتمتم ويرتعش مفتعلا نشوة غامرة، ويملي على زبائنه ما عليهم أن يفعلوا من محفوظاته القديمة.

وأخيرا، وليس آخرا، أذكر ما يتردد على ألسنة كثير من الناس،



وهي حكاية رجل أتى من اليمن أو السودان أو المغرب، وقد اكتشف كنزا مدفونا (لعله في المنام)، وراح يبحث لدى البسطاء طبعا، عن يد تتوفر في كفها خطوط ومنعرجات خاصة، لأنها حسب زعمه هي الوحيدة التي تساعد على استخراج هذا الكنز دون أن تعوقه الجنون التي تحرس الكنز. وأردت أن أقول للسيدة التي روت هذه الخرافة " لا تصدقي يا حاجة ". ولكنني تذكرت أنني التقيت سنة 1969 بفلاح وأخبرته بأن الأمريكان أنزلوا رجلين على سطح القمر. فأجابني " لا تصدق ذلك، فإن الله لا يسمح لأعدائه بذلك ".

بقى أن أختم بالإشارة إلى ذلك النوع من " سحر التسلية ". وكان الملوك قديما يجمعون في قصورهم السحرة المشهورين ليقدموا أمامهم عروضا مسلية. ثم انتشر هذا النوع من السحر الحلال فغزا الأسواق والمسارح والنوادي. والواقع أنهم يقومون بألعاب وعروض وخدع محبوكة، فيوهمون الناس مثلا بأنهم قطعوا الفتاة نصفين، وأن الفتى معلق في الهواء، والحمامة تخرج من القبعة، والنار تشتعل من لا شيء، إلى غير ذلك. وقد تطورت خدع سحر التسلية فأصبح يقدم عروضا شيقة، تسحر العين، وتنعش الخيال وتسلي الصغير والكبير.



التنبــؤ بالمستــقبــل

لا أحد يملك مرآة سحرية يقرأ على صفحتها ما سيحدث لي ولك غدا. غير أن الإنسان منذ عصور قديمة لديه رغبة جامحة في استكشاف المستقبل، والاطلاع على ما يخفيه له الغد، ويخبئ له الحظ خيرا كان أم شرا. وكانت هذه الرغبة في معرفة أسرار المستقبل تهم بصفة خاصة الملوك والقواد والزعماء، وكان يتوقف على ذلك اتخاذ قرارات مهمة.

وللتكهن بحوادث المستقبل كان العرافون والمتنبؤون والكهان يلجأون إلى أساليب متنوعة، ويعتمدون على وسائل مختلفة، منها حركات النجوم، والخسوف والكسوف والبرق، والفيضانات، والرياح والزلازل والسحب، وزجر الطير والقرعة. وكان بعضهم يعتقد أن الإله سجل على أحشاء الضحايا من الحيوانات، ومن البشر أحيانا، أسرار المستقبل، فيلجأون إلى تفحص حجم كبد الضحية وأحشائها، و"قراءة" ما كتب على تشعباتها من خفايا المستقبل.



وقد وجدت نصوص في مدينة MARI (في شمال غرب بلاد ما بين النهرين) تعود إلى القرن الثامن عشر قبل الميلاد تتحدث عن تنبؤات الإله داغون في فلسطين القديمة. ويقول المؤرخ اليونانيين هيرودوت عن قدماء المصريين أنهم كانوا يرون أن التنبؤ بالغيب هبة لا ينالها إلا عدد من الآلهة؛ وأنه كان يوجد لديهم معابد يهبط فيها الوحي خاصة بالآلهة أمون، أبولو، منيرفا، ديانا، جوبيتر، وبلوتو وغيرها. وكان لكل معبد طريقته في تلقي الوحي وتبليغه.

وكان الحكيم زرادشت (القرن السادس قبل الميلاد) يتنبأ ويبشر بقرب مجيىء مملكة الإله أهورا مازدا، ويتحدث عن نهاية العالم. وكذلك تنبأ الحكيم بوذا بمجيىء منقذ يخلص البشرية من العذاب. كما ظهر كهان متنبؤون في ديانات أمريكا القديمة. وكان للإغريق معابد عديدة يتلقون فيها الوحي (عن طريق الكهان) منها معبد دالفي الشهير، وديلوس، وأوليمبيا، ودودونا وغيرها.

يقول الفيلسوف اليوناني إبكتيتوس EPICTETUS إن ما يجعلنا نلجأ إلى التنبؤات هو الخوف من المستقبل، لذلك نستجدى المنجم والعراف ليحدثنا عما ينتظرنا، فإذا وعدنا بخير ابتهجنا بذلك وشكرناه، كأنه هو المنعم علينا. ويقول الكاتب الفرنسي مونتاني MONTAIGNE ما معناه أنه لاحظ أن الناس يصابون بالصدمة والخوف أثناء الهلع والفوضى الاجتماعية فيفقدون التفكير المنطقي، ويلجأون إلى المنجمين والعرافين لمعرفة أسباب المصائب.



لا شك في أن ما يبعث في النفوس الأمل هو تلك العبارات الغامضة المطاطية التي يتلفظ بها المتنبؤون والعرافون، لأنها قابلة للتفسير على أوجه عديدة، ولأن فحواها ينطبق على أشخاص كثيرين. ولذلك يميل الناس إلى من ينعش آمالهم، كما يقول الكاتب، ويسلونهم بالحكايات المختلقة، وإن كانت خرافية.

ويذكر المؤرخ الانكليزي Gibbon أنه عندما اقترب الغزاة البرابرة من أبواب روما، انتاب السكان الهلع والذهول لدرجة أن مجلس الشيوخ لجأ إلى العرافين للتنبؤ بما سيحدث. كما أوصى الإمبراطور بذلك، ووعد بأن يقدم جميع الضحايا التي تطلبها الآلهة. غير أن العرافين أشاروا بأن يخرج القساوسة والكهان في ملابس بيضاء، وبأن تطهر المدينة وضواحيها، وبتقديم بعض الضحايا في أماكن محددة، عسى أن يؤثر ذلك في نفوس الغزاة ويصدهم عن دخول تلك المناطق.

وقد شجبت الأديان السماوية أعمال العرافة والتنجيم، وجعلت الاطلاع على الغيب من خصائص الله وحده. وانتقد كثير من القواد والملوك والفلاسفة والكتاب السعي لاستكشاف الغيب، وسخروا ممن يعتقد بما يقول العرافون والدجالون. ويروي المؤرخ هيرودوت أنه عندما أسر ملك الفرس قورش الملك كروسوس، وعفا عنه واتخذه مستشارا له، طلب كروسوس من الملك أن يسمح له بأن يرسل الأغلال التي كانت تقيده، إلى الآلهة، استهزاء بنصيحتها، لأنه كان قد استشارها (بواسطة الكهان)، فأشارت عليه بالدخول في الحرب ضد الملك قورش.



ويقول شيشرون: من البلاء أن يطلع المرء على ما سيصيبه غدا، إذا كان لا يقدر على تغيير حكم القدر. ويقول هوراس لقد غطى الإله الحكيم طريق الغيب بظلام دامس، وهو يهزأ من الإنسان الذي يقلق نفسه بدون نتيجة. أما دانتي، في كتابه " الكوميديا الإلهية " فيجعل العرافين والمنجمين والسحرة في الدائرة الثامنة من طبقات جهنم. وتجدر الإشارة إلى رجل نال شهرة واسعة وهو الطبيب نوستراداموس NOSTRADAMUS الذي عاش في القرن السادس عشر، وعرف بتنبؤاته الكثيرة بواسطة التنجيم. وبدا لبعض الناس أن بعض تنبؤاته تحققت فعلا. غير أن كل ذلك كان مجرد توقعات مطاطية خيالية تحتمل كل تفسير. وقد شجبت الكنيسة تنبؤاته سنة 1781.

يروى الكاتب الفرنسي فولتير أن شخصين بارزين في مجال التنجيم والعرافة أكدا له أنه سيعيش إلى سن اثنين وثلاثين سنة فقط، ويضيف: أعتذر لهما إذا كنت قد خيبت ظنهما وعشت إلى سن الستين حاليا. ويقول: ما رأى المنجمين في طفلين ولدا في لحظة واحدة وبرج واحد، فأصبح أحدهما ملكا والآخر خبازا. ويقول شكسبير "عندما يخوننا الحظ، نلوم النجوم .. كأننا أصبحنا أنذالا خونة بتأثير قوة سماوية ".

وينتقد فرويد تفسير الأحلام بكونها أشياء ستحدث في المستقبل (تنبؤات)، ويؤكد أن حوادث الحلم تنبع من الماضي، من رغبات لم يحققها الإنسان. وذلك على الرغم من أننا عندما نحقق إحدى رغباتنا في الحلم يحدث ذلك في صيغة المستقبل.



وبالإضافة إلى صنف التنبؤات المذكورة التي يلجأ فيها العرافون والكهان والمنجمون وغيرهم إلى وسائل غير سليمة ولا مؤكدة، تجدر الإشارة إلى نوع آخر من محاولات استكشاف المستقبل يعتمد فيها العالم على البيانات والحسابات والدلائل المنطقية والتجارب العلمية. والواقع أن التقدم العلمي سهل على الإنسان التنبؤ بأشياء كثيرة، لم تكن ممكنة في العصور الماضية، من ذلك مثلا التوقعات المتعلقة بالظروف المناخية، وبمواقيت الخسوف والكسوف، وبمعرفة جنس الجنين قبل ولادته وغير ذلك.

معجزات

سيدنا صالح عليه السلام :

أهلك الله قوم عاد واستخلف في ديارهم قوم ثمود، فشيدوا المنازل، وزرعوا الأرض، وعاشوا في سعة ورخاء. وبما أنهم كانوا يعبدون الأصنام فقد أرسل الله إليهم سيدنا صالحا يدعوهم إلى عبادة الله ويرشدهم إلى الصراط المستقيم. أنكر قوم ثمود نبوته وشككوا في رسالته، ولم يتبعه إلا نفر قليل من المستضعفين.

طلبوا من صالح أن يأتيهم بمعجزة تكون دليلا ملموسا على صدق نبوته. جاءهم بناقة متميزة وقال لهم هذه ناقة الله فذروها ترعى في أرض الله. وحدّد للقوم يوما يسقون فيه ما يشاءون من مياه النبع، وحدد يوما خاصا بالناقة تشرب فيه من النبع، ولا يقربه الناس. وحذر سيدنا صالح القوم أن يمسوا الناقة بسوء فيصيبهم عذاب



شديد. ولم يعجب القوم أن تحول هذه الناقة بينهم وبين الماء، وأخذوا يردون النبع في اليوم الذي خصص للناقة، فثارت ثائرتهم، وخالفوا أمر نبيهم، ودفعتهم نزعات الشر إلى قتلها. وكان عقاب الله لهم بالمرصاد، فأخذتهم الصاعقة فأصبحوا في ديارهم جاثمين.

سيدنا إبراهيم عليه السلام

رغب سيدنا إبراهيم عليه السلام في أن يعرف كيف تتم معجزة الحياة بعد الموت، فقال:

﴿ رَبِّ أَرِنِى كَيْفَ تُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ ﴾

ما كان سيدنا إبراهيم يشك في قدرة اله على أن يحيي الموتى، وإنما فعل ذلك ليطمئن قلبه، وليشاهد بعينيه آية البعث والنشور. فأمره الله أن يأخذ أربعة من الطير، ويقسمها أشلاء، ويضع على كل ربوة قطعة من جسم كل طائر، ثم يدعوها إليه. وفعل سيدنا إبراهيم ذلك، وسرعان ما تجمعت أجزاء كل طائر بعضها إلى البعض الآخر، وعادت إليها الحياة، وسعت إلى سيدنا إبراهيم بإرادة الله وقدرته.

أنكر سيدنا إبراهيم عليه السلام، على قومه عبادة الأوثان وصدودهم عن دعوة الحق وعبادة الله. ودخل ذات يوم معبدهم وهم غائبون فحطم الأصنام. وعرف القوم أن الذي فعل ذلك بآلهتهم هو إبراهيم نفسه، فاشتد غضبهم وقرروا أن ينتقموا منه، فقالوا:

﴿ حَرِّقُوهُ وَٱنصُرُوٓاْ ءَالِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَـٰعِلِينَ ﴾.



وما كان سيدنا إبراهيم ليخشى انتقامهم بعد أن امتلأ قلبه بالإيمان. أشعل القوم نارا عظيمة، ورموه فيها، فقال الرب جلّ جلاله:

﴿ يَـٰنَارُ كُونِى بَرْدًا وَسَلَـٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴾.

سيدنا موسى عليه السلام

جمع فرعون كبار سحرته في اليوم الموعود، وجاء سيدنا موسى عليه السلام ومعه عصاه، وهرع الناس من كل مكان ليشاهدوا هذه المناقشة الفريدة. وقال موسى للسحرة ألقوا ما أنت ملقون، فألقوا حبالهم وعصيّهم وقالوا بعزة فرعون إنا لنحن الغالبون. ولعب سحرهم بخيال الناس فخيل لهم أن حبال السحرة وعصيهم تحولت إلى حيّات تسعى.

وتقدم نبي الله فألقى عصاه فإذا هي ثعبان عظيم يلتهم تلك الحبال والعصي. دهش السحرة لما شاهدوا ولكنهم سرعان ما تبين لهم الحق، واعترفوا بأن ما فعله موسى ليس مجرد سحر من صنع البشر، إنما هو معجزة من عند الله.

ازداد غضب فرعون بعد أن آمن سحرته. بإله موسى، فراح يدبّر لقتل نبي الله، وقرر أن يبطش ببني إسرائيل، وأن يقتل أبناءهم ويستحيي نساءهم، ففضلوا أن يفروا من مصر، وقادهم سيدنا موسى نحو مسالك النجاة. غير أن فرعون وجنوده لحقوا بهم، وقد اعترض البحر طريقهم فاستولى عليهم الرعب. وأوحى الله إلى سيدنا موسى



أن اضرب بعصاك البحر، فانفتحت أمام بنى إسرائيل طرق ممهدة وسط المياه حيث مروا بسلام، وتبعهم فرعون وجيشه آملا أن يبطش بهم، ولكن الأمواج انطبقت عليهم وأغرقتهم.

سيدنا سليمان عليه السلام

من المعجزات التي وهبها الله لسيدنا سليمان أن ألهمه لغة الطير وغيرها. وقد مرّ ذات يوم في حشد من جنوده بوادي النمل، وسمعت نملة ضجيج جيشه، وخافت على بني جنسها، فنادت جموع النمل قائلة:

﴿ ٱدْخُلُواْ مَسَٰكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَٰنُ وَجُنُودُهُۥ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾.

وأدرك سيدنا سليمان منطقها فتبسم وشكر الله على ما آتاه من علم بلغة الحيوانات.

ومن هذه المعجزات أن الله سخر له الجان والريح خاضعة لأوامره. وكانت بلقيس، ملكة سبأ وقومها يعبدون الشمس من دون الله. وسأل سيدنا سليمان ذات يوم من حوله من الجان: من منكم يأتيني بعرش هذه الملكة قبل أن يأتوني مسلمين؟

﴿ قَالَ ٱلَّذِى عِندَهُۥ عِلْمٌ مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ ﴾.

وأنجز الذي عنده علم من الكتاب ما وعد، وشكر سليمان عليه السلام ربه على هذه المعجزة. أما بلقيس فقد اندهشت عندما وجدت



نفسها في قصر سليمان، فاطلعت على إنجازاته، واستمعت إلى حكمته، وآمنت برب العالمين.

سيدنا يونس عليه السلام

كان سيدنا يونس في مدينة نينوى يرشد الناس إلى عبادة الله وحده، ويدعوهم إلى الكف عن عبادة الأصنام، وما أرسله الله إليهم إلا لينير لهم سبيل التوحيد، ويبلغ رسالة الرحمة والهداية. أنكر القوم دعوته ورفضوا تعاليمه. وألحّ سيدنا يونس في دعوته آملا أن يستجيب قومه لكلمة الحق، ولكنهم استكبروا واستهزءوا به وسخروا من تعاليمه.

ومرت الأيام، ولم يقدر على تحمل عنادهم وضلالهم، ويئس من إصلاحهم، فخرج من مدينتهم غاضبا. ولكنهم ندموا بعد رحيله عنهم وتابوا إلى الله، وبحثوا عن سيدنا يونس ليخبروه بتوبتهم فلم يعثروا عليه.

وصل يونس عليه السلام إلى البحر، وركب سفينة، ولكن ما إن ابتعدت عن الشاطئ حتى اشتدت الرياح وارتفعت الأمواج. ولم يجد ركاب السفينة من سبيل لإنقاذ السفينة من الغرق إلا بتخفيف حملها. ولجأوا إلى القرعة لمعرفة من منهم ينبغي أن يرمى في البحر فوقع السهم على يونس، وأعادوا القرعة فوقعت عليه. فسلم أمره لله ورمى نفسه في البحر

﴿فَٱلْتَقَمَهُ ٱلْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ ﴿١٤٢﴾ فَلَوْلَآ أَنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُسَبِّحِينَ ﴿١٤٣﴾

﴿ لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِۦٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴾

وعندما ابتلعه الحوت أوحى الله إليه أن يحتفظ به وديعة في بطنه، وألاّ يلحق به أذى.

شعر سيدنا يونس عليه السلام أنه أخطأ عندما ترك قومه على جهلهم وضلالهم، وأن هذه المحنة إنما هي رسالة إليه من رب العالمين ﴿ فَنَادَىٰ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾.

سمع الله قوله وتاب عليه، وأوحى إلى الحوت أن يلقى ضيفه على الشاطئ، وأنبت الله عليه شجرة من يقطين [1]. ثم عاد سيدنا يونس عليه السلام إلى قومه فعلم أنهم تركوا عبادة الأوثان، وعادوا إلى طريق الحق مسترشدين بتعاليم نبي الله عليه السلام.

سيدنا عيسى عليه السلام

بينما كانت السيدة مريم العذراء التّقية معتكفة في المسجد، جاء الملك ذات يوم وأخبرها أنه مرسل من الله ليهب لها غلاما زكيا. فدهشت لهذا النبأ الغريب، وقلقت لهذا الحدث العجيب، وأجابت الملك قائلة:

---

(1) قال تعالى: ﴿ وَأَنۢبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِّن يَقْطِينٍ ﴾ (الصافات : 146)، أى وأنبتنا فوقه شجرة لتظله وتقيه حر الشمس، وهي شجرة القرع ذات الأوراق العريضة.



﴿ أَنَّىٰ يَكُونُ لِى غُلَـٰمٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِى بَشَرٌ ﴾

أجل كيف تحمل فتاة لم تتزوج؟ وماذا عساها أن تقول لأهلها وللناس من حولها. ولكن مريم كانت مؤمنة ورعة صادقة واثقة من نفسها؛ فسلمت أمرها لله، وأغرقت همومها في عبادة الله.

ومرت الشهور، وجاء اليوم الموعود، فولدت سيدنا عيسى عليه السلام فكلمها فور ولادته، وهدّأ من روعها وخفف من قلقها. وعندما جاء القوم يعاتبونها لم ترد عليهم، بل أشارت إلى المولود. فنطق سيدنا عيسى عليه السلام في المهد قائلا:

﴿ إِنِّى عَبْدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِىَ ٱلْكِتَـٰبَ، وَجَعَلَنِى مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ ﴾.

كذب اليهود رسالة المسيح عليه السلام، وشعر زعماؤهم بأن تعاليمه خطر على مركزهم وتقاليدهم، فطلبوا منه الأدلة والآيات على صدق نبوته وصحة دعوته، فأيده الله بمعجزات عديدة منها أنه صنع من الطين ما هو في هيئة الطير ونفخ فيه فتحول إلى طير بإذن الله؛ ومنها أنه أعاد الحياة لشخص بعد وفاته، وأيُّ معجزة أعظم من أن يمكّن الله رسوله أن يحيى الموتى، بإذن الله؛ ومنها أنه كان يبرئ الأكمه والأبرص، وغير ذلك.

وقال الحواريون ذات يوم لسيدنا عيسى عليه السلام

﴿ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَن يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ... نَّأْكُلَ مِنْهَا وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا ﴾



فدعا الله أن يستجيب لهذه الرغبة لتكون هذه المائدة السماوية ﴿عِيدًا لِّأَوَّلِنَا وَءَاخِرِنَا وَءَايَةً مِّنكَ وَٱرْزُقْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾

فاستجاب الله لدعوته. ومن المعجزات التي منَّ بها الله على سيدنا عيسى أنه لم يُمكِّن جنود الرومان من القبض عليه ليشمتوا به ويصلبوه فأنجاه من كيدهم ورفعه إليه.

ويذكر إنجيل متيَّ معجزات أخرى ينسبها للمسيح عليه السلام، منها أنه كان في سفينة ذات يوم ومعه تلاميذه فجاءت عاصفة وهاج البحر واستولى الخوف على الركاب، وقام المسيح " فزجر الرياح والبحر، فحدث هدوء تام ". وجيء بمُقْعَدٍ مُلقى على سرير فقال له المسيح: " ثق يا بني، غفرت لك خطاياك، قم فاحمل سريرك واذهب إلى بيتك " فقام المُقْعَدُ وذهب إلى أهله. وتبعه ذات يوم أعميان وطلبا منه أن يشفيهما، فلمس أعينهما، فانفتحت، وزال الأذى.

التقى سيدنا عيسى السلام ذات يوم بجمع غفير في البر، فتحدث إليهم وشفى مرضاهم. وعندما جاء المساء قال لتلاميذه أعطوا الناس ما يأكلون! فأجابوا: ليس عندنا سوى خمسة أرغفة وسمكتان. فقال: علي بها. طلب من جموع الناس أن يجلسوا على العشب، ثم رفع عينيه نحو السماء، وبارك الأرغفة الخمسة والسمكتين، وبدأ تلاميذه في توزيع ذلك الطعام على الناس حتى شبع جميع الحاضرين.



عــزيــر :

﴿أَوْ كَالَّذِى مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحْىِۦ هَٰذِهِ ٱللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا ۖ فَأَمَاتَهُ ٱللَّهُ مِا۟ئَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُۥ ۖ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ ۖ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ۖ قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِا۟ئَةَ عَامٍ﴾.

بينما عزير عائد إلى منزله ممتطيا حماره يتأمل أسرار الكون وعظمة الخلق، ضَلَّ طريقه فوجد نفسه في قرية تهدمت بيوتها وبليت أطلالها، فراح يتساءل كيف يحيى الله عظاما نخرة ويعيد الحياة لخلق اندثرت آثارهم. نزل عزير عن حماره فاستلقى وأغمض عينيه ليستريح قليلا. ولكنه استغرق في نوم طويل.

بقي عزير على تلك الحالة جسدا بلا روح، إلى أن نفخ الله فيه من روحه ذات يوم، فاستيقظ وكأنه نام منذ يوم أو بعض يوم. فأخبره الله أن مائة عام مرت عليه وهو ملقى في ذلك المكان، وقال انظر إلى حمارك كيف أصبح عظاما نخرة. ولكن سيبعث الله فيه الحياة من جديد ليكون آية لمن يشك في قدرة الله على بعث الخلق بعد موتهم. والتفت عزير إلى مكان حماره فرآه واقفا على أربع تماما كما كان يوم جاء به إلى تلك القرية قبل مائة عام.

أصحاب الكهف :

فتيان من أشراف العائلات راودهم الشك حول الآلهة التي يدين



بها أهلهم، وأنكروا على قومهم عبادة الأوثان، فأنزل الله عليهم رحمته، وأنار بصائرهم للدين الحنيف. وبلغ ملك البلاد نبأ تنكرهم لعقيدة آبائهم، فجمعهم وحذرهم من مغبة ثورة شعبية بسبب أفكارهم الجديدة، وأمهلهم فترة ليأتوه تائبين ويعودوا إلى حظيرة الآلهة التي يخضع لها آباؤهم وأجدادهم وأولوا الأمر.

ولكن الفتيان فضلوا أن يبقوا على العقيدة التي اعتنقوها عن قناعة، وقرروا أن يخرجوا من المدينة، وأن يلجأوا إلى كهف منيع في جبل مجاور. وعند وصولهم إلى هذا الكهف تناولوا ما تيسر بهم من الطعام، واستلقوا طلبا للراحة من عناء السفر. ولكن نومهم لم يكن إغفاءة خفيفة، ولم يستيقظوا في الصباح ولا في السماء.

﴿ وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ ۚ وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ ٱلْيَمِينِ وَذَاتَ ٱلشِّمَالِ ۖ وَكَلْبُهُم بَٰسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِٱلْوَصِيدِ ۚ ﴾.

وتتابعت الشهور والسنون، وعجلة الزمن تدور، إلى أن قضى الله أن يفيقوا من سباتهم بعد أن مرّ عليهم 309 سنوات وهم نائمون. وخيّل إليهم أنهم ما لبثوا في غفوتهم إلا يوما أو بعض يوم. وأحسوا بالجوع فأرسلوا أحدهم إلى المدينة ليشترى بعض الطعام. غير أن البائع رفض نقوده وتعجب من حاله. وسرعان ما اكتشف السكان أن أولئك الفتيان هم الجماعة المؤمنة التي اختفت منذ أكثر من ثلاثمائة عام.

وعلم فتيان الكهف حقيقة ما حصل، وعرفوا الفجوة الزمنية التي



تفصلهم عن أهلهم وأصدقائهم، وتيقنوا أن سباتهم الطويل إنما كان معجزة من ربهم لينقذهم من طغيان الحكام. وما لبثوا أن اختاروا الدار الآخرة فسألوا الله أن يأخذهم إلى جواره. وعلم أهل المدينة أن وعد الله حق، وبنوا على قبور الفتيان بنيانا يذكر فيه اسم الله.



أبقـراط (أبو الطب)

HIPPOCRATES



هناك أبقراط الحقيقي التاريخي وأبقراط الأسطوري، الذي خلقه المؤلفون بعد فترة من وفاته. والواقع أنه لا يوجد أيّ أثر أثناء حياته يدل على أنه كتب مؤلفات عن الطب. وجلّ ما يعرف عن أبقراط وصل إلينا مما نقله وسجله أفلاطون.

ولد أبقراط نحو عام 460 ق.م، في جزيرة كوس اليونانية، وكان معاصرا لسقراط. وانحدر من عائلة أنجبت عددا من الأطباء. وجاء إلى أثينا ليدرس الطب ويعالج المرضى. أتخيله شبيها بالجاحظ شديد الذكاء، عظيم الفكر، صغير القامة. اقترن اسمه كذلك " بالقسم " الذي يؤديه الأطباء عند إنهاء دراستهم، ولا يوجد أيّ دليل على أنه هو الذي كتب نصّ القسم المذكور [1].

(1) مرفق نسخة من " قسم أبقراط " المذكور.

أما عن أبقراط الأسطوري فيقال إنه انحدر من عائلة تنتمي إلى إله الشفاء؛ وإنه قضى على وباء في أثينا بإشعال النيران في الساحات العامة؛ وإنه عالج ملكا طاغية من داء الحب؛ ورفض السفر إلى بلاد فارس لمعالجة الملك؛ وأنه ترك مؤلفات كثيرة .. إلخ. وتشير بعض المراجع إلى أنه ألف نحو 70 كتابا، عرفت " بمجموعة أبقراط "، تضم موضوعات عن الأوبئة، وداء المفاصل، وجروح الرأس، وكسر العظام، والجراحة، وعن المياه، والهواء، وتشخيص الأمراض، وأنواع القرحة، والحمية، كما تضم مجموعة من النصائح والإرشادات الطبية جمعها تحت عنوان: " أقوال مأثورة "، اخترت نماذج منها. ومن أقواله: " لابد من معرفة الإنسان بكامله، قبل معالجة جزء منه ".

ولتقدير ما كتب هذا الطبيب العظيم حق قدره، ينبغي ألا ننسى أنه قال ما قال قبل نحو 25 قرنا.

أقوال مأثورة

(أبقراط ، أبو الطب)

❖❖❖❖

- الحياة قصيرة، الفن عمره طويل، الأزمات متقلبة، التجربة خطيرة، القرار صعب، على الطبيب أن يطلب من المريض والممرضين وكل من يهمه الأمر أن يتعاونوا معه.
- في حالة الأمراض الخطيرة ليس من الحكمة أن يتحدث المرء عن الموت الوشيك أو الشفاء العاجل.



- إذا زال هذيان الحمى أثناء النوم، فذلك إشارة محمودة.
- إذا اشتدت أعراض المرض بصورة مفاجئة، يلزم خفض كمية الغذاء أثناء اشتدادها.
- الأشخاص الذين ينخفض وزنهم ببطء ينبغي تقوية أجسامهم تدريجيا؛ والذين ينقص وزنهم بسرعة يجب تقويتهم بسرعة.
- إذا بقى تفكير المرء سليما وشهيته جيدة أثناء المرض فإن ذلك علامة مشجعة.
- الشخص البدين يكون عمره عادة أقصر من عمر الشخص النحيل.
- إذا شعر المرء بألم عند القيام بحركة، فإن إراحة العضو تزيل الألم عادة.
- إذا بدأ مرض الزحار (دوسنتاريا) بالصفراء (مادة تفرزها المرارة) ففي ذلك خطر الموت،
- إذا تصبب المريض عرقا باردا، وصاحبته حمى شديدة، ففي ذلك خطر الموت؛ وإذا صاحبته حمى خفيفة فذلك يعني أن المرض قد يطول.
- إذا كانت الحمى من النوع المتواصل، واشتدت في اليوم الثالث، فذلك يعني خطر الموت.
- إذا كانت من النوع المتواصل، وأصيبت شفة المريض أو حاجبه، أو عينه، أو أنفه بتشوه، أو فقد البصر أو السمع، وشعر المريض بالضعف، فذلك من علامات الموت الوشيك.



- في حالة الحمى المتواصلة، إذا حدثت صعوبة التنفس والهذيان ففي ذلك خطر الموت.
- إذا وجدت ترسبات رملية في البول فإن ذلك علامة على وجود حصوات في المثانة أو في الكلى.
- الشخص المصاب بداء الكزاز (خاصة تشنج العنق والفكين) يموت في ظرف أربعة أيام. فإذا مرت هذه المدة بسلام زال خطر الموت.
- إن التطهير بالعطريات في شكل دخان أو بخار، ينشط دورة الحيض؛ وهو مفيد في حالات أخرى، ما لم يسبب ثقلا في الدماغ.
- إذا تعرضت الحامل لإسهال شديد فهي معرضة للإجهاض.
- إذا لم تكن المرأة حاملا أو مرضعة، وظهر حليب في ثدييها فقد حصل لها ما يعوق دورة الحيض.
- الخصيُّ لا يصاب بداء النقرس ولا بالصلع.
- الشاب لا يصاب بداء النقرس إلا بعد أن يمارس الجماع.
- المرأة لا تصاب بداء النقرس إلا بعد أن تتوقف دورة الحيض.
- إذا أصبح الكبد قاسيا عند اللمس، في حالة مرض اليرقان، (مرض يسبب اصفرار البشرة)، فإن ذلك عرض غير محمود.
- الهذيان الذي يصاحبه الضحك أقل خطرا من الهذيان الذي يرافقه مزاج جدى.
- برودة الأطراف علامة سيئة في حالة الأمراض الخطيرة.



- الألم في العين يعالج بشرب الخمر القوى، بالاستحمام بالماء الساخن، أو بالفصد.
- لا يعالج بالصوم أصحاب البشرة الجافة، لأن الصوم يزيدها جفافا.
- الحمى المتواصلة، إذا اشتدت كل ثالث يوم، فذلك أمر خطير، أما إذا كانت تغيب وتعود فلا خطر في ذلك.
- لا يعطى للمصاب بالحمى نفس الغذاء الذي يتناوله الشخص السليم.
- إذا أصيب من تجاوز الأربعين بنوبة جنون، لا يصح منها بسهولة.
- إذا حصل نزيف من الأنف في حالة حمى الربع، فذلك عرض سيئ.
- كثرة النوم تؤذي مثل قلته.
- بقايا المرض، بعد مرور الأزمة، قد تتسبب في نكسة.

قَسَم أبقراط

أقسم بالطبيب أبولو وأسكليبيوس وهيجيا وبانكيا وجميع الأرباب والربات وأشهدهم، بأني سوف أنفذ قدر قدرتي واجتهادي هذا القسم وهذا العهد. وأن أجعل ذلك الذي علمني هذا الفن في منزلة أبويّ، وأن أعيش حياتي مشاركا إياه، وإذا صار في حاجة إلى المال أن أعطيه نصيبا من مالي، وأن أنظر بعين الاعتبار إلى ذريته تماما كنظرتي إلى إخواني وأن أعلمهم هذا الفن - إذا رغبوا في تعلمه - دون مقابل، وأتعهد أن أعطي نصيبا من التعاليم الأخلاقية والتعليمات الشفهية وجميع أساليب التعليم الأخرى لأبنائي ولأبناء الذي علمني وللتلاميذ الذين قبلوا بالعهد وأخذوا على أنفسهم القسم طبقا لقانون الطب، وليس لأي أحد آخر.

ولن أعطي عقارا مميتا لأي إنسان إذا سألني إياه، ولن أعطي اقتراحا بهذا الشأن. وكذلك لن أعطي لامرأة دواء مجهضا. وسوف أحافظ على حياتي وفني بطهارتي وتقواي.

ولن استخدم الموسى حتى مع الذين يعانون من الحصوات داخل أجسامهم. وسوف أتراجع لمصلحة الرجال المشتغلين بهذا العمل.



وأيا كانت البيوت التي قد أزورها، فإنني سأدخل لنفع المريض، على أن أظل بعيدا عن جميع أعمال الظلم المتعمَّد، وجميع الإساءات وبخاصة العلاقات الجنسية سواء مع الإناث أو مع الذكور أحرارا كانوا أو عبيدا.

وسوف أظل حريصا على منع نفسي عن الكلام في الأمور المخجلة، التي قد أراها أو أسمعها أثناء فترة المعالجة وحتى بعيدا عن المعالجة فيما يتعلق بحياة الناس، والتي لا يجوز لأحد أن ينشرها.

فإذا ما وفيت بهذا القسم ولم أحدْ عنه، يحق لي حينئذ أن أهنأ بالحياة وبالفن الذي شَرُفْتُ بالاشتهار به بين جميع الناس في جميع الأوقات؛ وإذا ما خالفت القسم وأقسمت كاذبا، فيجب أن يكون عكس هذا نصيبي وجزائي.

الأنــــاجيـل ومدونـوهـا



قبل الحديث عن الأشخاص الذين ينسب إليهم تدوين الأناجيل الأربعة (العهد الجديد)، تجدر الإشارة بإيجاز إلى الظروف التي رافقت كتابة هذه الأناجيل.

- بدأ تدوين تعاليم المسيح عليه السلام عشرات السنين بعد صعوده إلى الرفيق الأعلى.
- تندر المعلومات التاريخية السليمة عن الأشخاص الذين ينسب إليهم تدوين الأناجيل.
- تحوط الشكوك ليس فقط بأسماء الأشخاص الذين تنسب إليهم الأناجيل، بل كذلك بالمصادر والروايات التي اعتمدوا عليها، وبتاريخ كتابتها والأماكن التي دونت فيها.



- قبل أن تصبح رواية حياة المسيح عليه السلام وتعاليمه سجلا رسميا تعترف به الكنيسة، ظلت خلال فترة طويلة تراثا شفهيا يتناقله الناس في شكل حكايات أدبية خاضعة لأهواء الرواة وخيالهم.

- تبنت الكنيسة هذه الأناجيل في أواخر القرن الثاني للميلاد.

- من المؤسف جدا أن الكنيسة تنكرت لأناجيل وكتابات أخرى وقضت عليها، ومنها ما كان يحتوي حقائق أخرى عن حياة المسيح وتعاليمه.

- لم يكن ذلك العصر خاليا من الفرق والطوائف؛ ولا شك أن كل طائفة عملت على تدوين ما يلائم معتقداتها، وشجعت ما يدعم تقاليدها، وتنكرت لما يخالف ذلك.

- لعب الناسخون والمترجمون على مر القرون دورا كبيرا في عمليات التحريف، والتّعديل، والحذف والزيادة، سواء فعلوا ذلك سهوا، عن حسن نية، أو لتحبيذ فكرة أو إلغاء معلومة لا يحبذونها.

- يلاحظ وجود اختلافات بين الأناجيل في عدد من المعلومات والحكايات التي دونتها الأناجيل، فمنها على سبيل المثال من يميل إلى تعاليم اليهودية، ومن يعتبر اليهود طائفة ضالة.

- تعود أقدم نسخة من الأناجيل إلى القرن الرابع. والله وحده يعلم ماذا فعل الناسخون بتعاليم المسيح منذ أن صعد عيسى ابن مريم عليه السلام إلى جوار ربه، وكذلك منذ القرن الرابع إلى عهد الطباعة.

إنجيل يـوحنـا

ينسب الإنجيل الرابع (في ترتيب الكتاب المقدس) إلى يوحنا بن زبيدى. ويرى البعض أنه من أصل فلسطيني، دون إنجيله باللغة الآرامية، وآخرون أنه من أصل إغريقي ألفه باللغة اليونانية في نهاية القرن الأول للميلاد. غير أن كثيرا من النقاد المتخصصين يشكون في أن يوحنا بن زبيدي هو الذي دون هذا الإنجيل. ويرون أن مؤلفه رجل مجهول، وأن فترة تدوينه كانت بين 110-115 ميلادية، وذلك في مدينة أفسوس. وربما اشتركت جماعة في تدوينه.

ويميل مؤلف (أو مؤلفو) هذا الإنجيل إلى تصوير المسيح عليه السلام في صورة إله وابن إله، ذلك أن الإغريق والرومان كانت لهم آلهة قوية جبارة، فجنح المؤلف إلى وصف المسيح بصفات الإله ليكون ذلك أكثر قبولا لدى السكان وتأثيرا على عقولهم، من أن يحدثهم عن تعاليم جاء بها رسول متواضع فقير. وليحقق المؤلف هدفه لجأ إلى المبالغة والتغيير في الروايات المتداولة عن حياة المسيح، وأضاف إلى تعاليمه ما يتلاءم مع أفكار المجتمع الذي نشر فيه دعوته.

ويوضح هذا الإنجيل انفصال الكنيسة المسيحية عن الكنيسة اليهودية، ويعتبر تعاليم هؤلاء معادية لتعاليم المسيح عليه السلام.

وربما يكون المؤلف قد اعتمد على مراجع ومفاهيم دينية وفلسفية يونانية وبابلية وإيرانية ومصرية. وقد قرر رجال الكنيسة في نهاية



القرن الثاني إدراج هذا الإنجيل ضمن مجموعة الكتاب المقدس. ونقرأ في مقدمة هذا الإنجيل من الكتاب المقدس ما يلي: " من المحتمل أن يحدد مكان تدوينه في كنيسة من كنائس آسيا الهلينستية (أفسوس)، وليس لنا أن نستبعد استبعادا مطلقا أن يوحنا الرسول هو الذي أنشأه؛ ولكن بعض النقاد لا يتبنون هذا الاحتمال، فبعضهم يتركون تسمية المؤلف، ويصفونه بأنه مسيحي كتب باليونانية في أواخر القرن الأول في كنيسة من كنائس آسيا حيث كانت تتلاطم التيارات الفكرية بين العالم اليهودي والشرق الذي اعتنق الحضارة اليونانية ".

إنجيل لوقا

يأتي ترتيبه الثالث في الكتاب المقدس، وينسب إلى لوقا. وتشير بعض المصادر إلى أنه كان طبيبا، ويبدو من أسلوبه أنه كان مثقفا. ويقال إنه رافق بولس، تلميذ المسيح عليه السلام، في بعض رحلاته. ولكن من الممكن أن هذه الأوصاف إنما أضيفت في وقت متأخر إلى شخص مؤلف هذا الإنجيل لتضفي عليه مزيدا من الأهمية والمصداقية.

ويقول النقاد المتخصصون إنه لا يعرف أصل العائلة التي ينحدر منها لوقا، هل هي يهودية أم سورية أم إغريقية أم رومانية، وإن مؤلف هذا الإنجيل يظل شخصا مجهولا، ولم يعاصر المسيح عليه السلام، وإن معظم ما ورد في هذا الإنجيل هو من مؤلفه وليس مما أوحى به الله إلى سيدنا عيسى. وقد نقل لوقا عن إنجيلى متيّ ومرقص، بالإضافة إلى مصادر أخرى، وأورد أشياء كثيرة لم تسجلها الأناجيل الأخرى.

وقد اختلف في تاريخ تأليف هذا الإنجيل، قيل حوالي عام 80 من الميلاد، وقيل في مطلع القرن الثاني؛ وأن ذلك تم في اليونان أو في آسيا الصغرى. ونقرأ في مقدمة الكتاب المقدس لإنجيل لوقا ما يلي:

" .. يقول هذا التقليد إن كاتب الإنجيل الثالث هو لوقا الطبيب الذي ذكره بولس ... ولكن هذا الدليل ليس قاطعا لأن المفردات التي يستعملها لا تختلف عن المفردات التي كان يستعملها أيّ إنسان مثقف في ذلك الزمان ".

إنجيل مرقص

هو الإنجيل الثاني في الكتاب المقدس، ولكنه أقدم ما كتب من الأناجيل. ولا يعرف شيء على وجه اليقين عن مؤلفه، وإن وجد من ينسبه إلى مرقص أحد تلامذة المسيح. ويروى أن كان كاتبا لبطرس الحواري. تشير بعض المراجع إلى أنه دون سنة 80 ميلادية، باللغة اليونانية، في روما. وربما كان تأليفه نتيجة تضافر جهود عدد من القساوسة دونوه في كنيسة من كنائس شمال سوريا.

يبدو أن المؤلف (أو المؤلفين) اعتمد على مجموعة من الحكايات الشفهية التي كانت شائعة في ذلك العهد عن حياة المسيح عليه السلام وتعاليمه. وقد سجل المؤلف بإسهاب ما انتشر من روايات وأساطير شفهية عن أخبار المسيح وعن " تعذيبه وصلبه وبعثه "، كما دون أخبار سلوك تلاميذ المسيح أثناء محنته؛ ولم ينس المؤلف أن يزخرف حكاياته ببعض أقوال المسيح وتعاليمه وأعماله. وقد نقل متىٌ ولوقا عن مرقص،



وإن كان محتوى إنجيل كل منهما يختلف عما ورد في إنجيل مرقص في كثير من حوادثه.

إنجيل مَتيُّ

ينسب إلى مَتِيُّ أحد الأناجيل التي يضمها الكتاب المقدس (الإنجيل). فمن هو متىُّ؟ وهل هو الذي دون الإنجيل. ومتى وأين ألفه؟ الواقع أنه لا توجد معلومات مؤكدة عن الشخص الذي دون الإنجيل الأول في ترتيب الأناجيل (وليس من حيث تاريخ تدوينه) ضمن الكتاب المقدس. يقال إنه يهودي، كان موظفا في مصلحة جباية الضرائب، ويطلق عليه أحيانا اسم ليفى (لاوى). ويروى أن متّى هذا دعا ذات يوم المسيح عليه السلام إلى العشاء، فانتقد أناس المسيح لأنه تناول العشاء في منزل رجل يعمل في جباية الضرائب تحت سلطة روما.

غير أن النقاد المتخصصين يرون أن متّى الذي ينسب إليه الإنجيل ليس من تلامذة المسيح (الحواريين)، ولم يصاحبه، بل عاش في الفترة 75-100 ميلادية. ونقرأ في مقدمة لإنجيل متّى في الكتاب المقدس ما يلي: " فلما كنا لا نعرف اسم المؤلف معرفة دقيقة، يحسن بنا أن نكتفي ببعض الملامح المرسومة في الإنجيل نفسه ... فجميع هذه الصفات توافق صفة يهودي مثقف أصبح مسيحيا ".

وتشير الروايات إلى أنه تم تأليف هذا الإنجيل في سوريا (أنطاكية)، باللغة اليونانية، لأن المؤلف كان يخاطب الناس بما يشير إلى أنه في بيئة يونانية، حوالي سنة 90 بعد الميلاد. أما عن محتوى هذا



الإنجيل فيشير النقاد إلى أن المؤلف اعتمد على ما سمع من روايات وأخبار شفهية كان الناس يتناقلونها بعد صعود المسيح بفترة طويلة.

ويعتبر هذا الإنجيل إنجيل المسيحية اليهودية لأن مؤلفه تأثر بتعاليم الكنيسة اليهودية، واستشهد بأقوال وروايات كثيرة من العهد القديم ليقرب تعاليم المسيح من اليهودية، كما تصرف بحرية في ما نقل ولم ينقل، ودون روايات لا توجد في الأناجيل الأخرى.



أبـو الهـول [1]
(THE SPHINX)
فــرانسيس بيكــون



تروى أسطورة إغريقية أن " الوحش " أبو الهول كان يعيش في جبل بالقرب من مدينة طيبة. وكان يكمن في جانب الطرق ويهاجم المسافرين. وعندما يمسك أحدهم يطلب منه أن يحل لغزا، فإن لم يستطع مزقه إربا.

ارتاع السكان لهذا الخطر، ووعدوا أيّ شخص يخلصهم من هذا

1) تشير كلمة " أبو الهول " في الأسطورة الإغريقية إلى مخلوق خرافي قوى البنية، له رأس امرأة وجسم أسد وجناحا طائر وذنب أفعوان، وكان يثير الرعب في نفوس السكان. أما في الحضارة المصرية " فأبو الهول " له جسم أسد ورأس رجل، وهو يرمز للقوة ويثير الإعجاب في نفوس الناس.

الوحش أن يجعلوه ملكا عليهم. وأغرى هذا العرض أوديب [1] فذهب إلى مكان الوحش. ولكن الوحش أمسكه وطرح عليه اللغز التالي : " ما هو الحيوان الذي يحبو على أربع في الصباح، ويمشي على اثنين عند الظهيرة، وعلى ثلاث وقت الغروب "؟

وأجابه أوديب بأن هذا الحيوان هو " الإنسان "، فاغتاظ أبو الهول وانتحر على الفور. فحمل أوديب جثة الوحش إلى المدينة، فابتهج سكانها لخلاصهم من الوحش، ونصبوه ملكا عليهم.

يبدو أن هذه الأسطورة ترمز إلى " العلم ". فالعلم مثل الوحش يتخذ أشكالا متنوعة؛ ويمكن القول إن له أجنحة لأن الاختراعات تنتشر بسرعة هائلة. أما مخالب الوحش فتشير إلى أن الحقائق العلمية تتغلل في الفكر وتتمكن منه. والعلم مثل الوحش الذي يتصيد الناس، إذ نجده يغزو جميع مجالات حياتهم ويسيطر على مختلف الموضوعات التي تحتاج للبحث والدراسة. أما الألغاز التي يطرحها أبو الهول على المسافرين فترمز إلى الأسئلة التي يطرحها العلم في مجالات المعرفة والاختراع والتطبيق. وكذلك مثل الانتصار الذي حققه أوديب نجد أن نجاح العالم والمخترع يحقق له الشهرة والخلود.

ويلاحظ أن اللغز الذي طرحه الوحش يتعلق بطبيعة الإنسان، إذ إن المتبصر بشؤون الإنسان والخبير لطبيعته هو الذي يتحكم في

انظر أسطورة أوديب، ملك طيبة.



مصيره. وتضيف الأسطورة أن أوديب نقل جثة الوحش على حمار، ويرمز هذا إلى أن العلم عمل عسير ودقيق في بدايته، ولكن عندما تحل ألغازه وتتضح مناهجه يصبح في متناول الذكي والغبي.

العالم كما هو [1]

(فولتير)

ذات يوم جاء العفريت Ituriel، المسؤول عن منطقة آسيا العليا، إلى منزل بابوك (الاسكيذي) وقال له: لقد تجاوزت انحرافات الفرس حدودها وتمادوا في غيهم، فاذهب إلي مدينة برسيوليس وابحث الأوضاع جيدا، وأبلغني بدقائق تصرفاتهم لنقرر ما إذا كان يلزم معاقبة سكان المدينة.

ركب بابوك جمله وانطلق بصحبة خدمه، فلقى في طريقه جيش الفرس يستعد لقتال الجيش الهندي، فسأل أحد الجنود عن سبب الحرب، فأجابه: لا يهمني سبب الحرب، فمهمتي هي أن أحارب وأقتل

(1) ملخص.



لكي أحصل على بعض المال. وبوسعي أن أنضم غدا إلى الجيش الهندي إذا دفع لي مبلغا أكبر. والتقى بابوك بضابط وطرح عليه السؤال نفسه فأجاب: إنني أجهل سبب الحرب، سمعت أنها وشيكة فأسرعت كعادتي لأحارب وأنال المال أو أقتل.

وتعرف بابوك على لواء في الجيش فكان جوابه: إن سبب هذه الحرب التي تدوم منذ عشرين سنة هو نزاع بين خَصِيٍّ إحدى زوجات ملك الفرس، وكاتب في ديوان ملك الهند. وتفاقم الخصام بينهما فحشدت الدولتان مليون جندي، وما زال الناس يعانون من ويلات الحرب المدمرة. غير أن رئيس حكومتنا ورئيس حكومة الهند يؤكدان باستمرار أن كل هذه الحروب لمصلحة البشرية. وانتقل بابوك إلى مخيم الجيش الهندي فوجد الفساد والانحراف نفسه، وقال في نفسه: إذا أراد العفريت LTURIEL أن يدمر برسيبوليس، يجب على العفريت الآخر أن يدمر الهنود كذلك.

دخل بابوك برسيبوليس لزيارة زوجة أحد الضباط، وكانت أعدت عشاء لضيوفها فجلس معهم. وبعد فترة لاحظ أن ربة المنزل تغازل شابا؛ وقاضيا يضمّ بحرارة سيدة أرملة على مرأى من زوجته، بينما كانت الأرملة تمد ذراعها إلى شاب آخر؛ ونهضت زوجة القاضي فاختلت بمديرها في غرفة مجاورة .. إلخ وبدا لبابوك أن العفريت محق إذا فكر في تدمير المدينة. واطلع على معاملات التجار، والقضاة، والمحامين، والأدباء فاكتشف ما في سلوكهم من غش وفساد وحسد واحتيال؛ ولاحظ كذلك ما في تصرفات كبار الضباط من كيد ومناورات وإفراط إذ كانوا يبذلون بسخاء لشراء الوظائف والشعارات البطولية في الحرب.

وفكر في زيارة أحد الوزراء؛ وعندما دخل قاعة الانتظار سمع الناس يتذمرون ويتهمون الوزير بشتى الاتهامات. ولما جاء دوره للدخول على الوزير، أخذ هذا الأخير يشكو له سوء حظه في هذه الوظيفة غير المجدية التي قضى فيها أربعين عاما، وأنه رجل ضعيف وفقير على عكس ما يظن الناس.

بدأ بابوك يألف حياة سكان المدينة، وشعر أن تصرفاتهم لا تخلو من بعض الفضائل رغم ما فيهم من مساوئ وغرور وانحرافات. ولذلك قرر أن يقدم تقريرا إلى العفريت LTURIEL على الشكل التالي: طلب من أكبر سباك في المدينة أن يصنع له تمثالا من معادن مختلفة، بما فيها الحجر والجواهر والتراب، معادن ثمينة وأخرى رخيصة؛ ثم عندما قدم التمثال إلى العفريت قال له: هل تحطم هذا التمثال لأنه ليس كله ذهبا خالصا وجواهر ثمينة؟. فكر العفريت مليا ثم قال: لا نعاقب مدينة برسيبوليس، ليس كل شيء على أحسن ما يرام، ولكن ليستمر العالم على حاله.



اليوم السابع

الحكاية الخامسة [1]



كان يعيش في مدينة ريمينى (إيطاليا) تاجر غني له زوجة رائعة الجمال، ولذلك كان يغار عليها، ولا يسمح لها أن تخرج معه لتتفسح، بل ويمنعها حتى من الوقوف أمام نوافذ المنزل. وكانت تشعر بالقلق والملل والتعاسة، ولذلك أرادت أن تثبت له أن غيرته الشديدة وحراسته لا تجدي شيئا.

راحت الزوجة تتفحص الجدران التي تفصل منزلها عن المنزل المجاور عساها أن تسمع نغمة أو تجد فتحة تصلها بالجيران. لاحظت ذات يوم وجود فتحة صغيرة في أحد الجدران، فطلبت من خادمتها أن

(1) ملخص من حكايات بوكاتشو في كتابه " إلديكاميرون ".

تستفسر خفية عن سكان المنزل المجاور. وغمرها السرور عندما أبلغتها الخادمة بأن الجار شاب وسيم. وراحت الزوجة تنحت خفية تلك الفتحة تدريجيا لتوسيعها إلى أن جلبت اهتمام الجار، فأصبح بوسعها أن تتحدث إليه وتعرب له عن وحدتها وتعلقها به.

وعندما حل موعد عيد ميلاد المسيح عليه السلام، طلبت من زوجها أن يسمح لها بالذهاب إلى الكنيسة لأنها ترغب في مقابلة قس في غرفة الاعترافات. وافق الزوج على طلبها شريطة أن تذهب إلى الكنيسة التي حددها لها. وفي الصباح ذهب الزوج إلى الكنيسة وأبلغ صديقه القس بأن زوجته ستأتي للاعتراف، وتوسل إليه أن يعيره لباسه ليغطي رأسه، وأن يجلس مكانه لسماع اعترافات زوجته.

غير أن الزوجة اكتشفت الحيلة، فأعدت مقالا يناسب الموقف. وكان من جملة ما قالت: " إنني أحب قسًّا يأتي ليلا ليضطجع إلى جانبي ". ودهش الزوج (الذي يمثل القس) وشعر كأن وخزا أصاب قلبه، لكنه تماسك رغبة في اكتشاف المزيد، فسألها كيف يحصل مثل هذا الفعل الشنيع بوجود الزوج، فأجابت بأن هذا القس يملك قوة سحرية تمكنه من فتح الأبواب وتنويم الزوج. فوبخ " القس " الزوجة على فعلها وطلب منها أن تتوقف عن مقابلة ذلك القس المجرم؛ ووعدها بأنه سيتلو صلوات ويدعو لها الله أن يشفيها من هذا الحب المرضى، وأنه سيرسل صبيَّ المذبح إلى منزلها ليعرف كيف ستتطور الأمور.

عاد الزوج إلى المنزل وهو يتميز غيظا، ويفكر في وسيلة ليمسك



العاشقين في حالة تلبس. وفي المساء قال لزوجته أنه سيقضي الليلة خارج المنزل، وكان ينوي أن يختفي بالقرب من الباب الخارجي أملا في أن يشاهد القس وهو يدخل خفية إلى المنزل. أما الزوجة فدبرت هي الأخرى خطتها بإحكام، وسارعت إلى فتحة الجدار التي كانت تخفيها بعناية، وأبلغت فيليبو عشيقها بما حصل، وطلبت منه أن يأتيها من فوق سقف المنزل. وجاء الليل وساد الظلام، فاختفى الزوج في حجرة بالطابق الأرضي، وأغلقت الزوجة الأبواب التي تؤدي إلى غرفتها، وقفز الشاب العشيق إليها فقضيا وقتا ممتعا، بينما كان الزوج يحرس باب المنزل الخارجي.

وتكررت العملية دون أن يمسك الزوج القس المزعوم، واحتار في أمر الاعتراف الذي أدلت به زوجته في الكنيسة، فسألها ذات يوم عن القس الذي قالت إنها تحبه، فقالت: إنه ليسرني أن رجلا حكيما مثلك تقوده فتاة كما يقاد خروف إلى المذبح. لقد عرفت أن القس الذي جلس أمامي في غرفة الاعترافات بالكنيسة هو أنت. لذلك حكيت قصة القس الذي أحبه، وإنما كنت أقصدك أنت لا غيرك. وقلت إنه ينام إلى جانبي ليلا، ومن غيرك كان يفعل ذلك كل ليلة. وعندما أرسلتَ صبيَّ المذبح ليستفسر عن الأمر، وقلت له بأن القس المزعوم لم يأت تلك الليلة أوَ لم تكن خارج المنزل تلك الليلة؟ يبدو لي أن الغيرة سيطرت على قلبك فلم تدرك مغزى تلك الإشارات الواضحة. أقسم لك إنني وفية لك، ولو أردت أن أخونك لفعلت ذلك دون أن تشعر بشيء. أرجو أن تعود إلى صوابك وتثق بزوجتك. ومنذ ذلك اليوم خفف الزوج من غيرته ومراقبته لزوجته.

وهكذا اختلط الأمر على الزوج، إذ كان يغار عليها في الوقت الذي كان ينبغي له أن يهتم بحياتها؛ وأصبح يوليها كل ثقته في الوقت الذي كان عليه أن ينتبه لأمرها. غير أن الزوجة استغلت هذه الثقة فأصبحت تدخل عشيقها من الباب بدلا من السقف.



معلم الحكمة

(للأديب الإنجليزى أوسكار وايلد)

نال رجل الحكمة والمعرفة الإلهية منذ صغر سنه. وجاءه الرجال والنساء ليستفيدوا من علمه. وعندما بلغ سن الرشد، ودع أبويه وسار في الأرض يحدث الناس عن الحكمة والذات الإلهية. وكان أثناء رحلته يمشي حافي الرجلين، ويحمل محفظة جلدية وزجاجة من الماء.

وصل ذات يوم إلى منطقة فيها مدن عديدة، وسار في شوارعها يعلم الناس، وأصبح له تلاميذ أحبوه واتبعوه. واستمر فترة يعظ الناس بحكمه وينير أفكارهم بعلمه، فاهتدى منهم عدد كبير. ولكنه بدأ يشعر بالحزن والقلق، ولم يعرف لذلك سببا.

ذات يوم صعد إلى ربوة، والتف حوله تلاميذه وجمع من الناس. جلس على صخرة ووضع رأسه بين يديه، وسأل نفسه لماذا يشعر بهذا الخوف والقلق. فأجابته روحه قائلة: " لقد وهبك الله المعرفة الكاملة والحكمة، فوزعت كل ذلك على الناس، ألا تعرف أن من يعطي ما لديه كأنه يسرق نفسه. ومن أنت حتى توزع الأسرار التي أودعك الله؟ كنت غنية فأفقرتني؛ وكنت أشاهد الإله فأخفيته عني ". بكى القديس وقال في نفسه سوف لا أتكلم بعد اليوم عن الأسرار الإلهية، ولا أبعثر ما بقى لدي من معرفة وحكمة.

واصل القديس سفره حتى وصل إلى كهف كبير، فصنع سجادا من القصب، وقرر أن يعيش حياة النساك. وذات مساء شاهد رجلا يمرّ بالقرب منه فارغ اليدين، ويعود في الصباح وفي يديه كمية من الجواهر. فسأل الرجلُ القديس: مالك تنظر إلى نظرة غريبة كلما مررت بك؟ فقال القديس:

- بل هي نظرة إشفاق يا بني.

فضحك الرجل قائلا:

- أتشفق عليّ ولديّ الجواهر والكنوز، وليس لديك سوى سجاد تنام عليه؟!

- أشفق عليك لأنك لا تملك الحكمة والمعرفة الإلهية.

- وهل " المعرفة " التي تتحدث عنها شيء ثمين؟



- إنها أثمن من جميع كنوز العالم يا ولدي.

- وهل تملك هذه المعرفة؟

- كنت أملك المعرفة الكاملة، ولكني وزعتها على الناس، ولم يبق لي منها إلا القليل. وهذا القليل أغلى من الجواهر.

استلّ الرجل سيفه وقال للقديس: أعطني حالا هذه المعرفة الكاملة، وإلا قتلتك.

- إنه من الأفضل لي، يا ولدي، أن ألتحق بالساحة الإلهية العليا من أن أعيش في هذا العالم بدون هذه المعرفة الإلهية.

ألح اللص على القديس من أجل أن يعلمه المعرفة الكاملة، ولكن القديس فضل أن يتمسك بما بقي له منها. فقال اللص: فليكن ما تريد إذا. أما أنا فسأذهب إلى مدينة الذنوب السبعة، وهي مسافة ثلاثة أيام، لأنال ما أرغب فيه من ملذات، مقابل ما الذي من جواهر.

لحق القديس باللص مناشدا إياه ألا يذهب إلى مدينة الذنوب. وكان اللص في كل مرة يلتفت إلى القديس ويقول له: إذا أعطيتني المعرفة الإلهية التي تقول إنها أثمن من الجواهر، لا أذهب إلى هذه المدينة. وكان القديس يجيبه: أعطيك أيّ شيء إلا ما بقي لي من هذه المعرفة.

وعندما بلغ مدينة الذنوب السبعة، وتقدم اللص ليفتح بابها، أوقفه القديس وقال له: تعال يا بني، ضع ذراعيك حول عنقي، وقرب أذنك من فمي، لأهديك ما بقي لي من المعرفة القدسية. وبعد أن سلم

القديس الأمانة، وقع على الأرض باكيا، وانتشر ظلام حجبه عن اللص وعن المدينة، فشعر بشخص يقترب منه، يرفعه عن الأرض ويقبله، ويقول له: الآن ستنال الحب الإلهي الخالص.



حكاية طوبيت مقتطفة من

(العهد القديم) (1)



بينما جلس طوبيت، رب الأسرة، إلى مائدة الطعام، دخل عليه ابنه طوبيا وقال له: لقد ذبح رجل يهودي وألقيت جثته في الساحة. فوثب الأب مسرعا إلى الساحة، ورفع الجثة فوضعها في إحدى الغرف ليدفنها بعد غياب الشمس. وهذه مغامرة جريئة قد تودي بحياته. ونام الأب تلك الليلة في ساحة الدار، وكان يسكن جدرانها عصافير دورية، فوقع ذرقها على عينيه تسبب له في بقع بيضاء، وكانت حالته تزداد سوءا كلما استعمل علاجا، وفي النهاية فقد بصره.

نادى ابنه ذات يوم وأخبره بأنه قبل عشرين سنة ترك مالا

(1) ملخص من حكايات بوكاتشو في كتابه " إلديكاميرون ".

(كمية كبيرة من الفضة) لدى صديق له يدعى جَبَعْئيل، في مدينة راجيس بميديا. وأضاف بأنه وقع وصديقه على صك، وشطره قسمين، قسم لديه وقسم تركه مع المال؛ وأنه قد آن الأوان لاسترداد هذا المال الذي تضمن به مستقبلك. ونصحه بأن يبحث عن رجل أمين يرافقه في رحلته لإنجاز المهمة.

خرج الابن طوبيا من المنزل، فلقي رجلا عرف أنه يهودي وأنه يبحث عن عمل، فاصطحبه إلى المنزل ليتعرف على أبيه. ولم يكن هذا الملاك سوى رفائيل نفسه أرسله الله في صورة رجل ليساعد الأسرتين في محنتهما. وسار طوبيا والملاك رفائيل، الذي قدم نفسه باسم عزريا. وعندما وصلا إلى مدينة أحمتا، قال عزريا للفتى: علينا أن نقضي هذه الليلة في بيت رعويل، فهو من قرابتك، وله ابنة اسمها سارة. وأنت أقرب الناس إليها، ومن حقك أن تتزوجها قبل غيرك.

وكان قد تسلط على الفتاة سارة شيطان خبيث من الجن، فكانت كلما تزوجها رجل اغتاظ الجن وقتله ليلة الزفاف، قبل دخوله عليها. ولذلك أجاب طوبيا رفيقه (رفائيل) قائلا: لقد سمعت أنه عقد لها على سبعة رجال مات جميعهم واحدا تلو الآخر ليلة الزفاف، وأنا الآن خائف. فأكد له رفيقه بأنه يكفي أن يأخذ معه شيئا من كبد الحوت وقلبه إلى غرفة النوم ليلة الدخول، وأن يضع ذلك على جمر المبخرة، فيشم الشيطان الرائحة، ويختفي دون رجعة.

ولما دخلا على رعويل وبادراه بالتحية، رحب بهما بحرارة.



وأخبره طوبيا أنه ابن طوبيت فوثب عليه يعانقه. وبعد أن اغتسلوا وجلسوا للطعام، قال طوبيا لرفيقه (رفائيل) أطلب منه أن يزوجني ابنته سارة. وسمع الأب كلامهما فطمأن الفتى بأن سارة ستكون زوجته لأنه أقرب الناس إليها، وأنها قد زفت إليه على سنة شريعة موسى.

طلب طوبيا من رفيقه أن يحضر أربعة خدم وجملين استعدادا للسفر إلى راجيس ليسلم الصك إلى جبعئيل ويتسلم منه المال. وعندما وصل رفائيل إلى منزل جبعئيل أبلغه أن طوبيا ابن طوبيت قد تزوج، وأنه يدعوه لحضور حفل زواجه. [illegible] انقضت أيام الأفراح [illegible] طوبيا وزوجته [illegible] وسلمه [illegible] نصف [illegible] يملك من [illegible] وبقر وغنم [illegible] وأمتعة و[illegible] إلى أهله مسرورا بنجاح مهمته.

وعندما دخلوا منزل الأسرة ابتهج الأبوان بعودة ابنهما سالما. وعملا بنصيحة رفائيل، وضع طوبيا شيئا من مرارة الحوت على عيني أبيه [illegible] بهجة [illegible] عظيمة [illegible] النور يعود إلى عينيه تدريجيا [illegible] في مدينة [illegible]. وكشف لهم رفائيل أنه أحد الملائكة أرسله الله [illegible] على [illegible] الشيطان الذي تسلط على سارة [illegible] ثم اختفى [illegible] وشكر [illegible] الله [illegible] أنعم عليهما.

الإمبراطورة وابنها



دخل الضابط وعدد من جنوده على الامبراطورة أغريبينا بصورة مفاجئة، ورأت في ملامحهم علامات الشر، فقالت: لا تقولوا إن ابني هو الذي أرسلكم لتنفيذ الجريمة. وضربها أحدهم بعصي على رأسها، فخرت على الأرض وهي تقول: بل مزقوا البطن التي حملته. حدث ذلك سنة 59 ميلادية. والقتيلة هي أغريبينا أم الإمبراطور نيرون.

كانت هذه الإمبراطورة ذكية قوية العزيمة شديدة الطموح. كان مبدأها " الغاية تبرر الوسيلة ". ومن وقائع حياتها التي تعطينا صورة عن سلوكها أنها شاركت في مؤامرة حيكت ضد الإمبراطور كاليغولا؛ وتآمرت على قتل زوجها الثاني لتمهد الطريق للزواج من عمها الإمبراطور كلاوديوس؛ وأقنعت هذا الأخير ليزوج ابنته أوكتافيا من ابنها نيرون؛ ثم لجأت إلى جميع الوسائل لإقناعه بأن يجعل ولاية العرش من بعده لابنها نيرون بدلا من ابنه الوارث الشرعي بريتا نيكوس.



ودبرت مؤامرة لقتل ميسالينا زوجة الإمبراطور السابقة وأم الوارث الشرعي للعرش؛ وفعلت الشيء نفسه للتخلص من ليبيدا، وهي سيدة من سلالة الأباطرة كان لها سلطان ونفوذ، وكان بينهما تنافس على الثروة والجاه. فاتهمت أغريبينا منافستها ليبيدا بأنها حاولت التآمر عليها وباللجوء إلى السحر للتأثير على حياتها، وبمحاولة إثارة الفتنة في الإمبراطورية، فحكم عليها بالإعدام.

وسمعت الإمبراطورة أغريبينا ذات يوم زوجها يقول بأن القدر حكم عليه أن يتحمل شرور زوجاته...، غير أن كل واحدة منهن قد نالت (أوستنال) عقابها، فقررت أن تأخذ المبادرة وأعدت خطتها لتتخلص منه بأن تسقيه سما يسبب له اختلالاً في عقله ويؤدي إلى الموت البطيء حتى تبعد عنها الشكوك. وضعت له السم في نوع من الفطر كان يحبه، ثم أغرت الطبيب زينوفون ليساعدها في الأمر. فادعى هذا بأنه سيساعده على التقيؤ ليخلصه من مغص في بطنه، وأدخل في حلقه ريشة مشبعة بسم سريع المفعول. وبذلك هيأت الإمبراطورة الظروف التي تسهل على ابنها ارتقاء العرش. وواصلت مؤامراتها للتخلص ممن تشك في ولائهم، فلم ينج منها حتى برتانيكوس الذي كان له الحق في ولاية العرش بعد أبيه.

اعتلى نيرون عرش روما وعمره لا يتجاوز 16 عاما. فعزمت أمه على أن تبقيه تحت سيطرتها، ووضعت حوله العيون وضيقت عليه مجالات السلطة. غير أن الفتى بدأ ينفر من طغيان أمه، وبتقدم سنه أصبح يعارض أوامرها. وحدث أن اتخذ الفيلسوف سينيكا مستشارا



له، ووقع في حب فتاة كانت أمة تبغضها فأغضب هذا أمه التي استخدمت جميع الوسائل لفرض إرادتها عليه. وعندما فشلت في محاولاتها لجأت إلى الحيلة، وغمرته بعطفها ورعايتها، وجعلت ثروتها تحت تصرفه، واعترفت بقسوتها في معاملته ..، وكان هدفها هو أن تظل مسيطرة على الأوضاع؛ بل يروى أنها ذات يوم عندما كان نيرون ثملا تزينت ورمت نفسها بين أحضانه.

وتأكد الإمبراطور الابن من الخطر الذي يمثله وجود أمه إلى جانبه فقرر أن يتخلص منها. وأشار عليه أحد الضباط بفكرة مبتكرة فعزم على تنفيذها. تظاهر نيرون برغبته في إصلاح علاقته مع أمه، وأعد حفلة على متن باخرة في خليج نابولي. وتم تصميم السفينة بحيث يسقط جزء من سقفها وتغرق عند إعطاء إشارة متفق عليها. غير أن الإمبراطورة لم تغرق، بل أصيبت بجروح طفيفة. وأدركت الأم الذكية أن الحادثة كانت مؤامرة دبرت لقتلها، ولكنها أدركت أنه من الأفضل لها أن تتظاهر بأن الحادثة كانت قضاء وقدرا، وأن ابنها مخلص في رغبته في إصلاح ذات البين.

أما الابن فقد عزم على التخلص من أمه لأنها ما زالت قادرة على الانتقام منه. اختار ضابطا يثق به وطلب منه أن يصطحب جنودا ممن لا يترددون في تنفيذ أوامره، فقتلوها في منزلها ولم يتجاوز عمرها 44 سنة.



الأبيض والأسود

(فولتير) [1]

جميع الناس يعرفون مغامرة دوستان، الابن الوحيد لأحد نبلاء مقاطعة قندهار. وكانت رغبة الأب أن يزوج ابنه من فتاة تسعده ويسعدها، ويعيشان إلى جانب أسرتيهما.

وذات يوم ذهب روستان إلى معرض كابول الكبير حيث التقى بابنة أمير كشمير التي جاءت إلى هذا المعرض بصحبة أبيها الذي جاء باحثا عن قطعتين ثمينتين من كنزه، جوهرة الماس ورمح سحري. وكان درويش في قصر الأمير أخذ القطعتين خفية وقدمهما للأميرة قائلا: احتفظي بهما جيدا؛ إن مصير حياتك مرهون بهما. أحبت الأميرة

(1) ملخص.

الفتى روستان من أول نظرة، وقدمت له جوهرة الماس برهانا على حبها، ووعدها روستان بأنه سيزورها قريبا في كشمير.

كان لروستان خادمان أحدهما توباز (الياقوت)، والآخر اسمه إيبان (الأبنوس). وعزم روستان على السفر لزيارة حبيبته، غير أنه كان ينقصه بعض المال. وكان خادمه توباز ينصحه بعدم السفر. أما إيبان فأخذ جوهرة الماس خفية إلى صائغ ماهر ليصنع له جوهرة مثلها. ثم رهن الجوهرة الأصلية لدى تاجر أرمني، وترك الجوهرة المزيفة مكانها، وقدم المبلغ إلى سيده مشجعا إياه على السفر.

توقفت القافلة وسط غابة كثيفة للاستراحة، غير أنهم بعد قليل فتشوا عن الخادمين فلم يجدوا لهما أثرا. وأثناء ذلك شاهدوا عقابا ونسرا يتقاتلان. وشاهد روستان وحيد القرن يهاجم فيله المحمل بالزاد. وبدأ يساوره القلق عندما فتش عن خيله فلم يجدها. وأثناء الطريق لقي روستان رجلا يضرب حماره بشدة، ولكن فجأة اختفى تاركا الحمار. وما إن امتطى روستان الحمار حتى اتجه به مسرعا نحو كابول بدلا من كشمير. وبينما هو يحاول تغيير اتجاهه ليلتحق بالقافلة لقيه تاجر جمال فقال له: هل لك أن تأخذ أربعة جمال بدل حمارك؟ شكر روستان التاجر، وركب أحد الجمال والتحق بالقافلة.

بعد مسيرة قصيرة وجدوا أنفسهم أمام سيل جارف يصعب اجتيازه، فقضوا الليل هناك. وعندما استيقظوا في الصباح كانت دهشتهم عظيمة لما شاهدوا جسرا فوق النهر، فعبره بسلام. وما إن



اجتازوا السيل حتى انهار الجسر وتحطم. كان روستان كلما يلاقي صعوبات يتذكر خادميه، ويتمنى لو كانا إلى جانبه لتسهيل مهمته، وابتهج قلبه بقرب لقاء الأميرة الحبيبة. فجأة وجدوا أنفسهم أمام جبال شامخة تسد طريقهم من كل جانب. وبينما روستان وخدمه واقفين حيري أمام السد المرتفع انشق أمامهم نفق في قاعدة الجبل، فتقدمت القافلة.

دخلوا إلى أرض مزهرة ومروج زاهية الألوان، وشاهدوا الناس يمرحون وينشدون ويرقصون، فسأل روستان رجلا عن المناسبة، فأجاب بأن الناس مبتهجون بزواج ابنة أمير كشمير غدا، وأن الزوج السعيد هو باربابو الذي جلب جوهرة الماس إلى الأمير. أغمى على روستان عندما سمع الخبر، فأحضر المضيف له أفضل طبيبين في البلد. نصح أحدهما روستان بالعودة إلى بلاده لأن هواء هذه المنطقة لا يناسبه؛ وقال الطبيب الآخر، كلا، سيشفى المريض إذا حضر زفاف الأميرة ورقص في فرحها.

أسرع روستان إلى أمير كشمير، وأبلغه بأن الرجل الذي سيتزوج ابنته رجل محتال، وأخرج من جيبه جوهرة الماس فوضعها في يد الأمير. واحتار هذا الأخير عندما وجد نفسه أمام جوهرتين متشابهتين تماما، فاقترح عليه روستان أن يبارز باربابو، لتكون الأميرة من نصيب المنتصر. وافق الأمير على هذا الحل، وهرع الناس لمشاهدة المبارزة وقتل روستان باربابو، ثم لبس درعه وخوذته حسب تقاليد البلاد، وتقدم نحو نافذة الأميرة. وما إن شاهدت الأميرة أن البطل يلبس لبس



باربابو (الذي كانت تكره الزواج منه) حتى أخذت الرمح السحري الذي لا يخطئ هدفه، ووجّهته نحو روستان، فصرخ باسمها وخرّ على الأرض، فعرفت صوته. أسرعت الأميرة نحوه، وشاهدت الدماء تسيل من جسده، فنزعت الرمح من بدنه وقتلت به نفسها.

نقل روستان إلى سرير، وكم كانت دهشته عندما شاهد خادميه توباز وإيبان إلى جانبه، فدار بينهم الحديث التالي:

روستان - لماذا تركتماني وأنا في أشد الحاجة إليكما، ما أقسى ما عملتما.

تـوبـاز - لم أغب عنك لحظة يا سيدي.

إيبـــان - لقد كنت دائما إلى جانبك يا سيدى.

تـوبـاز - تذكّر يا مولاي أنني لم أوافق على سفرك المشؤوم. فأنا هو ذلك العقاب الذي هجم على النسر؛ والفيل الذي حاول أن يرجع بالأمتعة والزاد إلى كابول؛ والحمار الذي رجع بك إلى بلدك؛ وأنا هو الذي أبعدت خيلك؛ ووضعت السيل ورفعت الجبال في طريقك.

إيبـــان - وأنا كنت ذلك النسر الذي هجم على العقاب؛ ووحيد القرن الذي وقف في طريق الفيل؛ والرجل الذي نزل ضربا على الحمار؛ والتاجر الذي قدم لك الجمال؛ وأنا الذي أعددت لك الجسر، وفتحت النفق لتواصل رحلتك نحو نهايتك؛ والطبيب الذي نصحك بحضور حفلة الزفاف. أنا الجني الشرير الذي يرافقك.



تــوبــاز - وأنا يا سيدي الملك الذي يسهر على سلامتك وراحتك حتى نهاية أيامك. وفجأة اختفى كل شيء، ووجد روستان نفسه في منزل أهله، في السرير الذي نام فيه قبل ساعة من الزمن، فنهض مندهشا حائرا، وصاح مناديا توباز فحضر على الفور.

روستان - هل أنا ميت أم حيّ؟ وأميرة كشمير هل ماتت حقا؟

تــوبــاز - هل أنت تحلم يا سيدي؟

روستان - أين إيبان الشرير، إنه هو الذي شجعني على السفر إلى معرض كابول، وتلاعب بالجوهرة، ودفعني إلى السفر إلى كشمير، وتسبب في ضربة الرمح التي ستودي بحياتي، وفي موت الأميرة.

تــوبــاز - اطمئن يا سيدي، فأنت لم تذهب إلى معرض كابول، ولم تسافر إلى كشمير، وأمير كشمير لم ينجب بنتا، ولم يصبك أيّ رمح. كل ذلك كان حلما، إنها أفكار وضعها الإله في رأسك عساك أن تستفيد منها.

حكاية أستير مقتطفة من

(العهد القديم)



أقامت الملكة وشتى، زوجة الملك أحشورش، مأدبة كبيرة، وفي يوم هذا الحفل العظيم طلب الملك من الملكة أن تتزين وتلبس تاج الملك، وتمثل أمامه ليقدمها للرؤساء والجماهير ليشاهدوا جمالها. وأبت الملكة وشتى أن تستجيب لرغبة الملك، فاشتد غضبه، واستشار الحكماء من حوله في الأمر، فقال أحدهم: إن الملكة لم تسئ إلى الملك فحسب، بل أساءت إلى جميع الرؤساء والشعوب. وسيشجع عصيانها أوامر الملك النساء على عدم الامتثال لأوامر أزواجهن. وإني أرى، أن حسن رأى عند الملك، أن يأمر ألا تدخل عليه الملكة، وأن يسلم ملكها لمن هي خير منها.

وطلب من خدم الملك أن يبحثوا في جميع نواحي المملكة عن فتيات



حسان، وأن يجمعن في قلعة شوشن، وتوفر لهن لوازم الرعاية والتجميل. والفتاة التي تحسن في عين الملك وتروق لذوقه، يأخذها لتحل محل الملكة وشتى.

وكان في قلعة شوشن رجل يهودي يدعى مردكاى، من اليهود الذين أسرهم الملك نبوخذ نصر، ملك بابل؛ وكان معه فتاة جميلة حسنة المنظر والقد، اسمها أستير، سهر علي تربيتها بعد وفاة أبيها. فأخذها مردكاي إلى المنزل الذي تجمع فيه النساء. وعندما قابلت الحارس حسنت في عينه ونالت حظوة. ولم تتحدث أستير عن أصلها وشعبها، عملا بنصيحة مردكاى مربيها (وابن عمها). وعندما جاء دورها، ودخلت على الملك أعجب بها وأحبها، فاختارها على بقية الفتيات.

وبينما كان مردكاى جالسا ذات يوم أمام باب الملك، علم بمؤامرة رجلين من حرس الملك لاغتياله. فأسرع إلى أستير ليبلغها الخبر، وأنبأت الملك بما يدبر ضده. فأمر بالتحقيق في الأمر، ونفذ حكم الإعدام في الحارسين. ودونت هذه المؤامرة في سجل الحوادث.

كان للملك وزير يدعى هامان، وكان له نفوذ كبير، يهاب سلطانه جميع الناس، ويسجد له جميع الخدم بقصر الملك. وأبلغ بعضهم هامان بأن مردكاى يهودي، فحقد عليه، وقرر أن يقضي على اليهود في المملكة. فقال هامان للملك: يوجد في مملكة جلالتكم شعب لا يحافظ على سنن الملك، فإن حسن عند الملك فليكتب أمرا بإهلاكهم. ووافق الملك على ذلك، فكتب هامان إلى رؤساء الأقاليم بالأمر، وختمت رسائله بختم الملك.



وعلم مردكاى اليهودي بخبر الرسائل التي أرسلها هامان الوزير يأمر فيها المسؤولين بالقضاء على اليهود، فأسرع إلى أستير الملكة ليبلغها النبأ، وطلب منها أن تتوسل لدى الملك من أجل إنقاذ شعبها. واغتنمت أستير الفرصة المناسبة للدخول على الملك، بعد أن تزينت، ولبست أجمل لباس المُلك، وكانت تشعر ببعض الضعف والقلق، وقالت للملك: إن حسن عند الملك فليأت جلالته وهامان غدا إلى مأدبة أعددتها للملك. وكان الوزير هامان ساخطا على مردكاى، فقرر أن يطلب من الملك أن يسمح له بأن يعلق اليهودي على خشبة كان قد أعدها.

سهر الملك تلك الليلة، وطلب أن يتلى عليه من سفر الأحداث والذكريات، وكان مما تلى عليه أن مردكاى هو الذي أبلغ عن الرجلين اللذين خططا للاعتداء على الملك. ولما دخل الوزير هامان على الملك، قال الملك: ماذا يصنع للرجل الذي يرغب الملك في أن يكرمه؟ وظن هامان أن الإكرام موجه إلى شخصه فقال للملك: يأتون بالثياب التي يلبسها الملك، والفرس الذي يركبه الملك، وتسلم لأحد الأشراف فيلبسها للرجل الذي يودّ الملك أن يكرمه، ويركبه الفرس: فقال: أسرع وخذ الثياب والفرس، ونفذ ما ذكرت لمردكاي. فأخذ هامان الملابس والفرس، وأنجز أمر الملك، وعاد إلى منزله حزينا.

ثم جاء الملك وهامان إلى المأدبة التي أعدتها أستير. وأثناء المأدبة قال الملك لأستير: ما بغيتك أيتها الملكة؟ اطلبي، ستنفذ رغبتك. فأجابت: إن أنا نلتُ حظوة عند الملك، فليهب لي حياة شعبي وحياتي، فنحن محكوم علينا بالهلاك. والرجل الذي حكم علينا بالهلاك هو



هامان الشرير. فارتعد هامان خوفا، ونهض الملك غاضبا وتوجه إلى حديقة القصر. ولاحق هامان الملكة يتوسل إليها أن تصفح عنه. وعندما عاد الملك إلى القصر شاهد هامان وقد انهار على السرير الذي تجلس عليه أستير، فاشتد غضب الملك وقال: أيغتصب الملكة أيضا في قصري؟! وأمر الحرس أن يعلقوه على الخشبة التي كان أعدها لمردكاي.

وفي ذلك اليوم وهب الملك منزل هامان للملكة أستير، وأخبرت الملك بأن مردكاي هو مربيها وابن عمها، فأنعم عليه بالخاتم الذي استرده من هامان. وتوسلت أستير للملك لكي يزيل الشر الذي سلطه هامان على الشعب اليهودي عندما بعث تعليماته إلى الولاة يأمر بإبادتهم. فقال الملك أحشورش للملكة ولمردكاي: اكتبا إلى الولاة في جميع الأقاليم بما ترغبان في تنفيذه، واختماه بخاتم الملك، ولا رادّ لما وضع عليه خاتم الملك. فعلت استير ذلك على وجه السرعة وأرسلت الأوامر من أجل إبطال ما طلبه هامان.

« .. وانقلب الوضع، فضرب اليهود جميع أعدائهم ضربة سيف وقتل، وفي قلعة شوسن قتل اليهود خمسمائة رجل، .. وعشرة من أبناء هامان، واجتمع اليهود في أقاليم الملك، وقتلوا من مبغضيهم 75 ألفا، ... وجعلوا من ذلك اليوم يوم فرح ومأدبة »[1].

(1) في العهد القديم عبارات كثيرة تؤكد نزعة اليهود نحو الحقد والانتقام وسفك الدماء. وبعد أن تشتت شملهم طيلة قرون طويلة، عادوا إلى فلسطين ليرتكبوا مجازر وحشية ضد شعبها الأصيل.



سقراط [1]

(فولتير)

شاهد رجلان ذات يوم سقراط في الساحة العامة بمدينة أثينا، فسأل أحدهما الآخر:

- أليس ذلك الرجل هو الوغد الذي يزعم أنه بوسع المرء أن يكون فاضلا من دون أن يقدم الغنم والإوز قربانا للآلهة؟

- أجل، إنه الحكيم الملحد الذي يزعم أنه يوجد إله واحد فقط.

اقترب سقراط منهما وقال: هل تسمحان لي بسؤال: " رجل يعبد

(1) ملخص.



الله ويصلي له، يفعل الخير بقدر ما في وسعه، ويحاول أن يتشبه بالإله بقدر ما يسمح له ضعف الإنسان بذلك، ماذا تسميانه؟

- إنه رجل مؤمن حقا.
- بوسعنا إذا أن نعبد الإله الأعظم ونكون في عداد المؤمنين؟
- بالتأكيد.
- هل تعتقدان أنه عندما خلق الإله الأعظم السماوات وبث الحياة في جميع المخلوقات استخدم ذراع هيركول، أو قيثارة أبولو؟
- يبدو ذلك غير محتمل.
- إذا لم يستعن الإله الأعظم بالآخرين عندما خلق المخلوقات جميعها، فهل يحتاج إلى مساعدتهم للمحافظة عليها؟ وإذا اختلف إله الرياح وإله الشمس وإله المحاصيل وإله المطر، فرغب أحدهم في إنزال المطر، ورغب الآخر في أن يسود الأرض جو مشمس، ألا يختل نظام الطبيعة؟ وفي النهاية أثبت سقراط للرجلين أنه من الممكن أن تنمو محاصيلهما، وأن يذهبا للصيد .. من غير أن يقدما القرابين للآلهة المتعددة.

عندئذ أمسك تلميذه زينوفون بكم عباءته وقال له: كلامك منطقي ورائع، ولكنك في خطر، لأن أحد الرجلين تاجر يبيع الغنم والإوز لمن يقدمونها قربانا للآلهة، والآخر يصنع تماثيل صغيرة للآلهة. وسيتهمانك بأنك أفسدت تجارتهما وأهنت المقدسات. وبالفعل تسبب أعداء سقراط في أن يحكم عليه مجلس الخمسمائة بالموت. وقد صوت



220 منهم لبراءته. وهكذا تناول سقراط جرعة السم لأنه قال بوجود إله واحد. وشيد أهل أثينا معبدا لسقراط، وهو الذي ثار ضد بناء المعابد للمخلوقات.



اليوم الثامن

الحكاية العاشرة [1]



جرت العادة عندما تصل البواخر التي تحمل السلع إلى الموانئ الإيطالية أن يضعها أصحابها في أحد المخازن، وأن يسجل مسؤول المخزن نوع السلع وكميتها وأسعارها. وكان يوجد في ميناء باليرمو الإيطالي سيدات جميلات يحترفن الإغراء والحيلة للاستيلاء على أموال التجار القادمين إلى الميناء.

وصل ذات يوم إلى هذا الميناء شاب يدعى سلابيتو، ومعه كمية كبيرة من السلع قيمتها نحو 500 فيوريني ذهبية. وكان الفتى فارع القد وسيم الطلعة فلاحظته سيدة تدعى بيانكوفيوري، واستفسرت عن

(1) ملخص من حكايات بوكاتشو في كتابه " إلديكاميرون ".



ظروفه وراحت تحوم حوله مظهرة كثيرا من اللطافة والإعجاب. وظن الفتى أن المرأة إنما وقعت في غرامه لحسن هيئته وجمال طلعته، فراح هو الآخر يمر من حين لآخر أمام شباكها.

أرسلت السيدة خادمتها تبلغه بأن سيدتها ترغب في التعرف عليه ولقائه في غرفة حمام في موعد محدد. وحضر الفتى إلى الحمام، فلقيته المرأة بالترحاب والملاطفة، وقضيا وقتا ممتعا. وعند الفراق دعته إلى العشاء في بيتها، فلبى الدعوة بشوق وابتهاج، وهو يهنئ نفسه بلقاء هذه السيدة الفاتنة، وبعد العشاء أدخلته إلى غرفة نوم مزخرفة بما يبهج العين ويريح النفس والجسد، وقضيا معا ليلة ممتعة. وفي الصباح قدمت له هدية فضية ثمينة، وافترقا على أمل اللقاء.

وتكررت لقاءاته مع هذه المرأة، وأعجب بكرمها وحسن معاملتها له، وإذا كانت لا تكلفه شيئا فهي في اعتقاده امرأة غنية جدا. وعندما باع سلعته عرفت أنه حصل على 500 فيوريني ذهبية. وزارها في المساء فحيته بحرارة، وأظهرت له مزيداً من الشوق والاهتمام، ورمت بنفسها بين ذراعيه وهي تشكر الحظ الذي أسعدها بلقائه.

وفي الوقت الذي اتفقت عليه مع خادمتها، دخلت عليها هذه الأخيرة، وطلبت منها أن تخرج لحظة على عجل. وعادت ربة المنزل والدموع تملأ عينيها، ورمت نفسها على الفراش وهي كئيبة تنتحب. وسألها الضيف العاشق أن تخبره عن سبب بكائها، بعد إلحاح وسكوت قالت: لقد وصلتني اللحظة رسالة من مسينا يطلب فيها أخي أن



أرسل على وجه السرعة ألف فيورينى ذهبية، وإلا فإنه ستقطع رأسه بعد ثمانية أيام. وأنا وإن كنت غنية فإنه لا يمكنني أن أجمع هذا المبلغ نقدا خلال فترة قصيرة. وسارع الضيف العاشق إلى القول بأنه سيقرضها 500 فيورينى وهو كل ما لديه في الوقت الحاضر، شريطة أن تردها إليه خلال 15 يوما. وعانقته بقوة وحرارة، وهي تكيل له عبارات الشكر والتقدير.

ومرت الأيام، وبدأت اللقاءات تقل، والعلاقات تفتر، وعرف سلابيتو في النهاية أن المرأة خدعته، وأنه كان مغفلا عندما صدق بسرعة مظاهر الحب الكاذب. وكان له صديق في مدينة نابولي، رجل ذو مركز وخبرة، فذهب إليه، وأخبره بما حدث طالبا النصيحة. أقرضه هذا الصديق مبلغا من المال، فاشترى عددا كبيرا من البراميل والأكياس المملوءة بالسلع، وعاد إلى باليرمو، ووضع بضاعته في المخزن كالعادة.

وعلمت السيدة أن الرجل عاد محملا بسلع يتجاوز مبلغها 2000 فيورينى ذهبية،وأنه ينتظر وصول حمولة أخرى قيمتها 3000 فيوريني ذهبية، ففكرت وقالت لنفسها: خير لي أن أذهب إلى صديقي المغفل، وأعتذر له، وأعيد له مبلغ الـ 500 فيوريني، ثم أدبر خطة لأستولى على مبلغ أكبر. وأرسلت إليه من يبلغه بأن المبلغ الذي اقترضته منه جاهز، وأنها تأسف جدا للظروف التي جعلتها تتأخر عن تسديده، تظاهر الرجل بأنه يرغب في استئناف علاقته معها، وأخذ المبلغ منها.



ودعته ذات مساء للعشاء، فدخل بيتها وعلامات الحزن والقلق بادية على وجهه. وسألته السيدة عن سبب انزعاجه فقال: بلغني بعد ظهر اليوم أن السفينة التي تحمل بضاعتي قد استولى عليها القرصان، وأنهم يطلبون من كل من له بضاعة على السفينة أن يدفع مبلغ ألف فيورينى لكي يفرجوا عن السفينة. وأنا الآن لا أملك أيّ مبلغ نقد، إذ إن مبلغ الـ 500 فيورينى التي أخذتها منك بعثتها إلى نابولي لاستثمارها.

وترددت السيدة مليا، ولكنها تذكرت مبالغ السلع الموجودة في المخزن وعلى متن السفينة المحجوزة، وخافت أن يضيع منها مبلغ قدره 5000 فيورينى ذهبية، فقالت له: أعرف شخصا يمكنه أن يقرضك المبلغ الذي تطلبه، ولكن بفائدة عالية وضمان مؤكد. فأجاب أنه مستعد ليقدم لها ضمانا جميع السلع الموجودة في المخزن. وسرعان ما أرسلت له السيدة رجلا يحمل ألف فيورينى ذهبية، فسلمه مفتاح المخزن وما فيه من بضاعة.

وركب التاجر الفتى أول باخرة متجهة إلى نابولى وفي حوزته 1500 فيورينى ذهبية، فأعاد إلى صديقه المبلغ الذي اقترضه منه. وفتحت السيدة المحتالة البراميل والأكياس التي تركها التاجر في المخزن، فوجدت الأولى مملوءة بماء البحر بدلا من الزيت، وفي الأكياس وجدت كميات كبيرة من الملابس البالية والثياب الرثة. وأدركت أن لكل محتال محتالا أكبر منه.



ماركو بولو

MARCO POLO



ظل نقولا بولو وأخوه مافيو يتنقلان من بلد إلى بلد سعيا وراء تجارة رابحة، تدفعهما كذلك المغامرة، حتى وصلا عاصمة الإمبراطورية الصينية أثناء رحلتهما الأولى في القرن الثالث عشر. وعندما عزما على العودة إلى بلدهما البندقية سلمهما الإمبراطور كوبلاي خان رسالة موجهة إلى رئيس الكنيسة الكاثوليكية، البابا كليمانت الرابع، يطلب منه أن يرسل إليه مائة من العلماء المتفقهين في الديانة المسيحية. وقد عرف عن كوبلاي خان تسامحه تجاه انتشار الأديان المختلفة في بلاده. وعندما وصل الأخوان بولو إلى البندقية كان البابا المذكور قد توفي، فتسبب ذلك في تأجيل عودتهما إلى بلاد الصين.

وفي عام 1271 شرع الأخوان نقولا ومافيو في رحلتهما الثانية إلى

عاصمة الصين، يرافقهما هذه المرة الفتى ماركو الذي لم تتجاوز سنه 17 عاما. لاشك في أن الرحلة من البندقية إلى شانغتو، العاصمة، كانت طويلة شاقة ومحفوفة بالأخطار. انطلقت أسرة بولو من البندقية إلى مدينة عكا، ومنها عبر جبال سوريا نحو تركيا، تبريز، فالخليج العربي، وعبر بلاد فارس نحو خراسان في اتجاه البامير، كشغر، خوتان، عبر صحراء غوبي إلى تانغوت. ثم اجتازوا السور العظيم إلى أن وصلوا إلى شانغتو العاصمة بعد رحلة دامت نحو ثلاث سنوات.

وهنا في هذه المدينة المزدهرة بثقافتها واقتصادها، اشتغلت أسرة بولو بالتجارة، ونجحت أعمالهم وراقت لهم الحياة بجوار هذا الإمبراطور الذي كان يرحب بالأجانب، ففضلوا الاستقرار. وليس من الواضح تماما ما هي الأعمال التي قام بها ماركو وأبوه وعمه، إلى جانب بعض الأعمال التجارية، أثناء إقامتهم الطويلة في بلاد الصين.

وقد اختلف النقاد في تقييم شخصية ماركو بولو، وفي تحديد الأنشطة والمهام التي اضطلع بها في أرجاء الإمبراطورية الصينية. فمنهم من يرى أنه كان مجرد تاجر مولع بالأسفار، بالغ في الافتخار بمغامراته، وفي وصف ما شاهد أو نقل ما سمع أثناء رحلاته. ومنهم من يعتقد أن ماركو كان شابا ذكيا طموحا، تعلم شيئا من لغة أهل البلاد، ونجح في التقرب من الملك ونيل ثقته. ويبدو مما روى لنا ماركو أن الملك كلفه بمهام عديدة في مناطق مختلفة من الإمبراطورية، ويروى أنه عينه حاكما على مدينة هانغشاو.



وبعد إقامة في بلاد الصين دامت نحو 17 عاما، بدأت أسرة بولو تفكر في العودة إلى البندقية. وجاءت فرصة مناسبة عندما بدأت إحدى الأميرات تستعد للسفر إلى بلاد فارس، فطلبوا من الملك أن يسمح لهم بالسفر، ورافقوها في رحلتها الطويلة بطريق البحر. ودامت رحلة عودتهم إلى البندقية ثلاث سنوات، فوصلوها عام 1295. تزوج ماركو وأنجب ثلاث بنات، واستطاعت أسرة بولو أن تعيش عيشة موسرة بما جلبوا معهم من مال؛ ولو أنهم أثناء مرورهم بمدينة TREBIZONDE (في تركيا حاليا) سرق للصوص معظم ثروتهم.

نشبت معركة بحرية بين البندقية وجنوه، فكلف ماركو بقيادة سفينة حربية. وأُسر ماركو واقتيد إلى سجن في جنوه. وأثناء عزلته في السجن رغب في تسجيل أخبار رحلاته وما شاهد في بلاد آسيا. وساعده الحظ على ذلك إذ التقى بسجين يحسن الكتابة واللغة (مزيج من الإيطالية والفرنسية). وعنون ماركو كتابه " وصف العالم "، ولكنه عرف بعد ذلك تحت عنوان " المليون "، كما اشتهر ماركو نفسه بـ " ماركو الملايين " إذ ساد الاعتقاد بأنه كان يبالغ كثيرا فيما يذكر من أرقام في كتابه وأحاديثه.

وقد تضمن هذا الكتاب معلومات كثيرة ومتنوعة عن آسيا، جغرافية وتاريخية واجتماعية. وحظي كتاب " المليون " بنجاح كبير، وترجم إلى لغات عديدة، مما خلد شهرة ماركو بولو، وجعله من أشهر الرحالين في القرن الثالث عشر. ويتحدث ماركو في كتابه عن مختلف مجالات الحياة في البلاد التي زارها؛ ويصف بكثير من الإعجاب قصور



كوبلاي خان، وما اشتملت عليه من بهجة وزخارف، ويتحدث عن زوجات الملك ومحظياته. ويصف أسواق المدينة وخيراتها، ويذكر أن الصينيين يستعملون عملات من الورق بدلا عن المعادن في معاملاتهم التجارية، ويتحدث عن العاهرات ويذكر أن الدولة تعهدتهن بالعناية والرعاية. ويشير إلى حرص المسئولين على تأمين الطرق التجارية، وأمان المسافرين، وكيف تم إنشاء محطات لاستراحة المسافرين على الطرق الرئيسية.

وتحدث عن مدينة هانغشاو بأسلوب المعجب فوصف مبانيها الرائعة وحدائقها الغناء، وما تمتاز به من وسائل المتعة والتسلية، وحسن أخلاق السكان، وجمال النساء. كما وصف نظافة شوارع هذه المدينة، وحماماتها الكثيرة، ومركباتها المريحة، وأسواقها الزاخرة بشتى السلع والخيرات من كل زوج بهيج.

أطلق سراح ماركو بولو من سجن جنوه عام 1299، وقضى بقية حياته في البندقية، إلى أن وافته المنية سنة 1324.



الحقّ

(فولتير)

... فقال له بيلاطس [1]: " فأنت ملك إذن ! " أجاب يسوع: " هو ما تقول، فإني ملك. وإني ما ولدت وأتيت العالم إلا لأشهد للحقّ. فكل من كان من الحق يصغي إلى صوتي ".

قال له بيلاطس: " وما هو الحقّ؟ قال ذلك ثم خرج ... "[2].

يا له من أمر مؤسف أن يخرج بيلاطس ولم يسمع جواب المسيح. ولو استمع إلى جوابه لعرفنا ما هو " الحق ". ويبدو أن بيلاطس، وهو الحاكم باسم القيصر، لم يكن فضوليا، وإلاّ لسأل المسيح: ماذا تعني بقولك " إني

(1) كان بونطيوس بيلاطس حاكم منطقة اليهودية خلال الفترة 26-36. وهو هنا يوجه السؤال لسيدنا عيسى عليه السلام.

(2) إنجيل يوحنا، صفحة 352 (اعتقال يسوع).



ملك "؟ وكيف ولدت لتشهد للحق؟ ترى بماذا كان المسيح (عليه السلام) سيرد على الحاكم الروماني؟ هل يقول له: إن " الحق " معنى مجرد يستعمله الناس في كتبهم وأحكامهم دفاعا عن البهتان والضلال؟

وفي انتظار أن نجد التعريف الصحيح، لنقل من وجهة نظرنا كبشر إن الحق هو سرد الحقائق كما هي. وأعتقد أنه لو أمكن تعليم بيلاطس " حقائق المنطق " لاستنتج بنفسه أنه لا يجوز أن يقتل رجل كان يدعو للأخلاق الفاضلة، كما شهد بذلك أعداؤه. وكان بوسع بيلاطس أن يقول: من واجبي أن أفرق هذا الجمهور الذي يحرّض على الفتنة، ويطالب بقتل رجل دون أسباب قانونية.

ولعل الحاكم الروماني كان يحتاج إلى 3 سنوات ليتعلم الحقيقة في فن الهندسة؛ وإلى 4 سنوات ليتعلم الحقيقة الفيزيائية؛ وإلى 12 سنة ليتعلم الحقيقة في علم اللاهوت، لأنه كان وثنيا؛ ولو كان له فكر متوازن لتعلم الحقيقة الميتافيزيقية في سنتين. وبما أن هذه الحقيقة مرتبطة بالحقيقة الأخلاقية، أعتقد أنه يحتاج إلى أقل من 9 سنوات ليصبح عالما حقيقيا في هذا المجال، ورجلا فاضلا.

عندئذ أقول لبيلاطس: إن الحقائق التاريخية مجرد احتمالات. فإذا شاركت في معركة فيليبي، فالواقعة بالنسبة لك حقيقة عرفتها بصورة مباشرة. أما بالنسبة للقاطنين قرب صحراء سوريا فالخبر يتعلق بحدث محتمل، عرفوه عن طريق الإشاعات. ومن سمع الخبر يرويه 12 ألف شاهد عيان إنما يكون لديه 12 ألف احتمال، تساوي



جميعها احتمالا واحدا قويا، وهو لا يساوي الحقيقة. وإذا سمعت الخبر من شاهد عيان واحد فأنت لا تعرف شيئا. وإذا سمعت الخبر من أناس رواه لهم شاهدو عيان، عندئذ يجب أن تتمسك بالشك. وهكذا من جيل إلى جيل يزداد عمق الشك، وينخفض مستوى الاحتمال إلى أن يصل إلى الصفر.

ليـونــــاردو دافنشــى

LEONARDO DAVICI



ولد ليوناردو في قرية دافنشي بالقرب من مدينة إمبولي، من علاقة غير شرعية، سنة 1452. كان أبوه موثقا وأمه فلاحة. ولا تتوفر معلومات كثيرة عن طفولته المبكرة. ولاحظ أبوه ميوله الفنية فأدخله، عندما بلغ الخامسة عشرة من العمر، ورشة ليتعلم الرسم والنحت وتقنيات أخرى. وانضم ليوناردو إلى نقابة الرسامين في فلورانس؛ وظل يتابع تعليمه وينجز بعض الأعمال الفنية.

وفي سنة 1482 ذهب إلى ميلانو ليواصل نشاطه في بلاط الدوق SFORZA في مشروعات الرسم والنحت والهندسة؛ واعتبره الدوق مستشاره في ميادين عمرانية وعسكرية. وخلال هذه الفترة برزت عبقريته في مجالات الإنتاج الفني والعلمي. وعندما استولى الفرنسيون على ميلانو رجع ليوناردو إلى فلورانس سنة 1500.



وفي سنة 1502 دخل في خدمة بورجا (Cesare Borgia)، ابن البابا ألكسندر السادس وقائد جيوشه، فأصبح المهندس الأول المسؤول عن مشروعات التخطيط العسكرية ومشروعات التعمير. وفي عام 1506 طلب الحاكم الفرنسي في ميلانو من المسؤولين في فلورانس أن يرسلوا إليه ليورنادو ليقدم له المشورة في مجال إحياء الأعمال الثقافية في المدينة، ومن أجل إنشاء مشروعات عمرانية كبناء قصر للحاكم، وفتح قنال يربط المدينة ببحيرة كومو.

وفي سنة 1513 اضطرته التقلبات السياسية للسفر إلى روما حيث أقام في مدينة الفاتيكان تحت رعاية جوليان De Medici، أخي البابا ليُو العاشر، فأقام في مدينة الفاتيكان نحو ثلاثة أعوام. وركز خلال هذه الفترة على البحوث العلمية. وفي أواخر سنة 1516، ترك إيطاليا نهائيا بصحبة أحد تلاميذه، وكان ذلك تلبية لدعوة فرانسوا الأول، ملك فرنسا، الذي أسكنه في قصر بالقرب من إقامته الصيفية في Amboise، على نهر لواز واعتبره الملك الرسام والمهندس والميكانيكي الأول لديه، وقضى ليوناردو الفترة الأخيرة من حياته مكرما إلى أن وافته المنية في ماي من عام 1519.

كان ليوناردو قوى الملاحظة، خصب الخيال، متوقد القريحة، درس الرياضيات والفيزياء والجيولوجيا وعلم النبات والفلك وتشريح الإنسان واللغة اللاتينية جميعها دون الاستعانة بالمدرسة. ومع أن معلوماته في هذه المجالات لم تبلغ مستوى التخصص فقد كتب بحوثا في الرسم والهندسة المعمارية، وفي عناصر الميكانيكا وتشريح الإنسان

والهيدرولوجيا. وترك لنا رسوما عديدة عن مشروعات تتعلق باختراع آلات حربية وميكانيكية، تتعلق بالطيران والغوص في المياه وحفر القنوات وغيرها. وكان شعاره: "تعلم كيف تنظر إلى الأشياء لترى ما لا يراه غيرك".

وكان ليوناردو نموذجا للنهضة الأوروبية ليس فقط بما حقق في ميدان العلوم والتقنيات والاختراع، بل كذلك بما أنتج في مجال الرسم والنحت والموسيقى. ومن لوحاته المشهورة: موناليزا (جوكوندا)؛ السيدة مريم والطفل؛ العذراء والصخور؛ الموسيقار؛ معركة Anghiari (لم يتممها)؛ تعميد المسيح؛ وغيرها كثير. والخلاصة أن ليوناردو كان موسوعة فن وعلم وتجارب تقنية عملية، وهو مثل شكسبير لا ينتمي إلى عصر بل إلى جميع العصور.

ومن أقواله :

- الشغف بالمتع الفكرية يطرد الملذات الحسية.
- أصدق نصيحة تقدم على ظهر سفينة توشك على الغرق.
- كما أن الحديد يصدأ بعدم الاستعمال، فإن الكسل والخمول يستنزف طاقة الفكر.
- لتكن الشوارع عريضة بقدر ارتفاع المباني على جوانبها.
- من يستشهد بنصوص أثناء النقاش فهو يعتمد على الذاكرة أكثر من اعتماده على الفكر.



- الرسام الماهر يرسم شيئين: الناس وما يجرى في أدمغتهم.
- يحتاج اللسان إلى عدد من العضلات أكثر من بقية الأعضاء لأنه أكثرها حركة.
- مهما بلغت دقة الإنسان فإنه يخترع شيئا أجمل وأبسط وأشد أصالة مما تصنعه الطبيعة.
- الشاعر أقل من الرسام في تصوير الأشياء المرئية، وأقل من الموسيقار في تصوير الأشياء غير المرئية.
- كما أن اليوم الذي يقضيه المرء في الأعمال المرضية يجلب نوما سعيدا، فإن الحياة التي يستغلها صاحبها في الأعمال المفيدة تجعله يموت وهو يشعر بالسعادة والرضي.
- ظننت أنني كنت أتعلم كيف أحيا، فاكتشفت أنني كنت أتعلم كيف أموت.

حكاية أبشالوم

مقتطفة من العهد القديم



كان لأبشلوم، ابن الملك داود عليه السلام، أخت رائعة الجمال اسمها تامار، فأعجب بها أمنون، أخو أبشالوم من أبيه. ورغب في أن يختلى بها، فاستشار صديقا له، فأشار عليه أن يتمارض ويطلب من أبيه الملك داود أن يسمح لها بزيارته لتعد له بعض الطعام فقال داود عليه السلام لابنته تامار " اذهبي إلى منزل أخيك أمنون، فهو مريض، واصنعي له طعاما.

ولما أعدت تامار الطعام، طلب منها أخوها أن تأتيه به إلى غرفته. وهنا أمسكها وقال لها " تعالى، اضطجعي معي، يا أختي ". فأبت ذلك، ولكنه تمكن منها، واغتصبها.

خرجت تامار من منزل أخيها وهي تصرخ، ووضعت رمادا على



رأسها، ومزقت ثيابها. وعلم أخوها أبشالوم بالأمر، فواساها وكتم غيظه متحينا فرصة الانتقام. وحزن داود عليه السلام حزنا شديدا على ما حدث.

وبعد سنين من الحادث أقام أبشالوم مأدبة كبيرة، دعا إليها جميع أبناء الملك داود عليه السلام. وقال أبشالوم لخدمه: إذا طاب قلب أخي أمنون بالخمر، وقلت لكم "اضربوه . فاقتلوه! وفعل الخدم ذلك بأمنون، وهرب بقية إخوته. واستجار أبشالوم بالملك جشور، منتظرا أن يخف حزن الملك على ابنه.

وبعد بضع سنوات سمح الملك داود بعودة ابنه أبشالوم إلى منزله؛ ولكنه ظل غاضبا عليه، ولم يغفر له إلا بعد سنتين من عودته. ولم يمض وقت طويل حتى ثار أبشالوم على أبيه، وتبعه خلق كثير؛ وفر داود وحاشيته ومن تبعه، وجهز أبشالوم جيشه لمواجهة أبيه. وبدأ داود عليه السلام يستعد للمعركة ضد ولده، ولكنه أوصى قواده به خيرا. وانتهت المعركة بانتصار جيش الأب على جيش الابن، وحزن داود لما سمع بموت ابنه حزنا شديدا.

القـوانيـن
(فـولتيـر)

تعتبر مملكة الدجاج أمثل النظم الملكية وأرقاها، والديك ملكها الشجاع. فعندما يمشي متبخترا بين " جمهوره " لا يفعل ذلك لمجرد الغرور، لأنه إذا اقترب عدو من مملكته، لا يرسل مواطنيه ليقتلوا في سبيل الإبقاء على عرشه، بل يتصدى بنفسه للعدو، والدجاجات وراءه، ويدخل المعركة ليحارب حتى النصر أو الموت. ولا شك في أن مملكة النحل تمثل أرقى نظم الحكم. ويعيش النمل تحت نظام ديمقراطي، تسوده المساواة، ويعمل كل فرد لمصلحة المجموعة، أما أسرة القردة فهم أشبه بالممثلين المتجولين، ويبدو أنه لا توجد بينهم قوانين ثابتة توحد جموعهم.

ونحن أشبه بالقردة لما رزقنا من موهبة المحاكاة والتمثيل،



ولتفاهة أفكاره وتقلبات أوضاعنا، مما جعلنا غير قادرين على وضع قوانين موحدة وثابتة. والواقع أن القوانين توضع لمكان وزمان وظروف معينة. فإذا تغيرت هذه الظروف تصبح القوانين مزرية. ففي شبه الجزيرة العربية مثلا يحرم شرب الخمر وأكل لحم الخنزير. غير أن هذا القانون لا يطبق في بلدان أخرى. والقانون الذي يعطي جميع الممتلكات للابن الأكبر، قانون جيد في الأوقات التي تسودها حالات السلب والنهب والفوضى، لأن الابن الأكبر يعتبر قائد الحصن الذي ينظم الأسرة للدفاع. غير أن هذا القانون يعتبر مزريا عندما أصبح الميراث يعني توزيع الأموال والأرباح في المدينة.

وهناك قوانين طبيعية لا ترتبط بالمواثيق والاتفاقات البشرية: فعلى سبيل المثال غلة عملي هي ملكي؛ ويجب على أن أحترم أبي وأمي؛ القتل جرم .. إلخ. ولكن يلاحظ منذ القدم أن الناس يقتلون وينهبون، وكأنهم يحملون رخصة تحلل لهم ذلك. وسمعت أنه توجد قوانين للحرب كذلك. ثم عرفت أن هذه القوانين تعني أن يشنق الضابط الشجاع لأنه قاوم جيشا ملكيا؛ وتعني أن نقتل جنديا، إذا قتل العدو سجينا من جنودنا؛ وتعني إحراق القرى والفتك بسكانها إذا لم يدفعوا الضرائب في الموعد المحدد.

الإمبراطورة تيودورا وصديقتها

تيودورا فتاة قبرصية من أسرة فقيرة، أبوها يدرب الدببة في أحد الملاعب الشعبية بمدينة القسطنطينية عاصمة الدولة البزنطية. ثم توفي وترك ثلاث بنات في سن صغيرة. واضطرت تيودورا لكسب عيشها في شبابها، فبدأت تمثل في أحد المسارح، وبرعت في تقليد الأشخاص ومحاكاة أصواتهم وحركاتهم وساعدها في مهنتها ما وهبها الله من جمال ورشاقة القوام وعينين ساحرتين وصوت ينعش القلوب، فكثر عشاقها وسلمت جسدها لكثير منهم.

وغادرت القسطنطينية ذات يوم بصحبة أحد عشاقها، غير أنه سرعان ما تبرم بهذه الفتاة الطموحة المغرية. ثم تزوجت وأنجبت طفلا تركته لأبيه وعادت إلى القسطنطينية. ويبدو أنها سئمت من



أسلوب حياتها، وقررت هذه المرة أن تعيش حياة العفة والجد فبدأت تكسب عيشها بالعمل في غزل الصوف، إلى أن وقعت عليها ذات يوم عين رجل فغيّر ذلك حياتها.

كان هذا الرجل هو جوستنيان الأول (لم يكن بعد اعتلى عرش الإمبراطورية البزنطية)، وأعجب بجمالها ورشاقة قدها وحلاوة صوتها، فاتخذها عشيقة له. وعندما قرر أن يتزوجها واجه معارضة شديدة من أسرته، وكان قانون البلاد يمنع أن يتزوج أحد رجال الدولة من فتاة كانت تمثل على خشبة المسرح، أو كان ماضيها غير مشرف. غير أن جوستنيان عزم على تنفيذ رغبته، وسعى بحزم إلى تغيير القانون على أساس أنه مجحف بحق من يغير سلوكه ويتوب عن أفعاله.

ثم جلس جوستنيان على العرش من عام 527 حتى 565، واشتهر عهده بالانتصارات العظيمة التي حققها قائده المشهور بليساريوس، وسن القوانين، وشيّد كنيسة القديسة صوفيا، وقبل كل ذلك تزوج تيودورا وأجلسها على العرش إلى جانبه، فبرهنت على أنها ملكة قوية مستبدة.

وكان للإمبراطورة صديقة تدعى أنطونينا، كانت ظروف حياتهما أثناء الطفولة متشابهة. فقد كانت أنطونينا تنتمي لأسرة فقيرة، كان أبوها يسوق المركبات الخفيفة. وكان لكل منهما ماض تحاول إخفاءه، وكان الهدف الذي يجمع بينهما هو السعي وراء السلطة والمال والمتعة، والقضاء على كل من تسول له نفسه كشف الماضي أو الوقوف أمام رغباتهما وطموحهما. ومن يجرؤ على ذلك وقد تزوجت إحداهما



الإمبراطور والأخرى الجنرال العظيم بليساريوس الذي خاض حروبا عديدة وانتصر في معارك كثيرة ونال شهرة كبيرة. ومع ذلك فقد كان هدفه في الحياة يتلخص في الوفاء للإمبراطور أولا، والإخلاص لزوجته، أنطونينا، ثانيا؛ وقد عاش حياته عطوفا عليها، منقادا لرغباتها، خاضعا لسلطانها وسلطان سيدتها وصديقتها الإمبراطورة.

غير أن أنطونينا لم تقلع عن طيشها، ولم تتخل عن تهورها وخلاعتها. فاجأها الجنرال ذات يوم مع أحد الجنود في فراشه فثارت ثائرته، غير أنها أقنعته بأساليبها السحرية وحيلها الشيطانية أنه لم يحدث شيء مما يتصور، وأن الأمر غير ما يظن تماما، فعفا عنها. وظل بليساريوس يتلقى من حين لآخر أنباء تؤكد خيانتها له مع رجل يعرفه، لكنه كان يتردد في معاقبتها. وكانت أنطونينا تعرف نقاط ضعفه جيدا، وتستغل ذكاءها لتتلاعب بعواطفه. وكثيرا ما كانت الإمبراطورة نفسها تقف إلى جانبها فتبرئها مما ينسب إليها، وتأمره أن يصفح عنها ويصالحها. ومن يجرؤ على عصيان أمر الإمبراطورة.

وحدث أن ابن أنطونينا نفسه (ابنها من زوج سابق) اكتشف خيانة أمه، فقرر أن ينتقم لشرفه وشرف زوجها الجنرال. وتعاهد الابن والزوج على العمل يدا في يد من أجل الانتقام منها ومن عشيقها. ولكن اليد العليا في نهاية الأمر كانت للزوجة، وساعدتها الإمبراطورة على استعادة ثقة زوجها. بعد ذلك أعدت خطة محكمة للانتقام من ابنها، وممن أبلغوا الجنرال خبر خيانتها؛ وكان مصير هؤلاء أن أمرت رجالها بتقطيع



أجسامهم إربا ورميهم في البحر. أما ابنها فأذاقته الإهانة والعذاب في سجن مظلم، إلى أن نجح في الفرار بعيدا عن القسطنطينية.

وحدث أن اتهم الجنرال بليساريوس بالخيانة ومحاولة التآمر على الإمبراطور، (وربما كان ذلك مناورة للقضاء على شهرته) فتوسلت أنطونينا إلى سيدتها الإمبراطورة لتخفف العقاب عن الجنرال. وما كانت الإمبراطورة لتتخلى عن صديقتها وأمينة معظم أسرارها التي سبق أن قدمت لها خدمات لا تنكر. وتدخلت تيودورا لإصدار عفو عن بليساريوس الذي سرعان ما أفل نجمه، ونسيته الجماهير التي كانت تصفق لانتصاراته. ويروى أنه فقد بصره في آخر سنوات حياته، وعاش متسولا في شوارع القسطنطينية.

أما الإمبراطورة تيودورا، فبعد أن قضت سنوات طفولتها في الفقر والتشرد والخلاعة، وبعد أن أصبحت صاحبة الجلالة، فقد عرفت كيف تستغل ذكاءها ومركزها للتأثير على زوجها وعلى مجرى الأمور. وكان الإمبراطور يحبها ويقدر مشاركتها في حل بعض مشاكل الدولة، فسمح لها بأن تقوم بمهام في شؤون الإمبراطورية، وأن تسهم بآرائها في إصلاح شؤون المجتمع. وعملت الدعاية عملها فأضفت عليها صفات الطهارة والشرف والمجد.

وبمرور السنين أصبحت ملكة مستبدة، لها سجونها وزبانيتها، تعاقب من يقف في طريقها، أو يحاول أن يكشف ماضيها بدون رحمة. وكان من ترميه في السجن لا يخرج منه بكامل عقله أو بدنه ولكنها إلى

جانب هذا الطغيان الذي يعتبر جزءا من سيرة معظم الملوك، وقد كان لتيودورا سلطة تتجاوز أحيانا سلطة زوجها، فقد كانت من أعظم نساء الإمبراطورية البزنطية، وكانت لها صولات وجولات ومواقف مشهورة في القضايا الدينية، ودافعت بقوة عن الرأي القائل بأن للمسيح طبيعة واحدة؛ واشتهرت بالدور الذي اضطلعت به في سن القوانين؛ وبدورها في إخماد ثورة كادت تقضي على عرش زوجها؛ ودافعت عن حقوق المرأة؛ وكان لها دور في توجيه سياسة الدولة البزنطية.

وهكذا جمعت تيودورا بين الفقر والجمال والخلاعة في شبابها، وبين السلطة والذكاء وحسن التدبير وكثير من الحقد والانتقام خلال فترة نفوذها. ويبدو أنها تابت في السنوات الأخيرة من حياتها، وأنشأت عددا من مراكز الخدمات الخيرية، منها مركز جمعت فيه جميع العاهرات للعناية بهن. وقد أحبها الإمبراطور وأخلص لها طوال حياته، وكان حزنه عليها شديدا عندما توفيت سنة 548، وكان عمرها لا يتجاوز 48 سنة.



الآبـــاء والأبنـــاء



من مقال للكاتب الإنجليزي
فرانسيس بيكون

إن مسرات الوالدين من الأسرار التي تنعش الحياة، أما مخاوفهم وأحزانهم فأعباء تثقل القلوب. وإذا كان الأبوان لا يستطيعان إخفاء مسراتهم بأولادهم، فإن مخاوفهم وأحزانهم تظهر على ملامحهم عند كل فشل. الأطفال يضفون على الحياة بهجة ولذة؛ ولكنهم يجعلون نكبات الحياة أشد مرارة. إنهم يزيدون في هموم حياتنا، ولكن وجودهم يلطف من شبح الموت. وإذا كانت الحيوانات تتوالد لمجرد المحافظة على استمرار النوع، فإن الإنسان يعيش كذلك على الذكريات الجميلة والأعمال النبيلة.

لا يشك في أن من لا ذرية لهم قادرون على إنجاز أعمال جليلة وتشييد مؤسسات ضخمة، لأنهم عندما عجزت أجسامهم، ركزوا على التعبير عن أحسن ما في أفكارهم. أما من رزقوا أولادا فيعاملونهم بكل عناية وتسامح، لأنهم بفقدانهم لا استمرار لنسلهم ولا لأعمالهم.

ونلاحظ أن مودة الوالدين تجاه أطفالهم، في أحيان كثيرة، غير متساوية، وقد يوجد من لا يكون أهلا لهذه المودة. وقد قال سيدنا سليمان " الولد العاقل يسعد أباه، والولد العاق مصدر خجل لأمه ". وقد نلاحظ ضمن الأسرة الواحدة أن من الأطفال من يدلل ومنهم من يهمل، ومن يحترم، وقد يصبح الطفل غير المدلل أفضل الجميع.

إن ما يبديه بعض الوالدين من شح تجاه أولادهم قد يجعلهم يشعرون بأنهم أقل حظا وقيمة، ويدفعهم للمراوغة والمناورة، ومصاحبة الحقير والدنيء. ولهذا من الأفضل أن يشد الوالدان قبضة سلطتهما على الأطفال، وألا يبخلا عليهم بما هم في حاجة إليه.

ونلاحظ أحيانا نوعا من السلوك الأحمق لدى بعض الوالدين والمعلمين، وهو خلق جو من التنافس بين الأطفال، غالبا ما يتحول إلى نزاع بينهم عندما يبلغون سن الرشد. وينصح بأن يختار الأبوان، في وقت مبكر، الدروس والمهن التي يرونها ملائمة لأولادهم. وقد لا يكون من الحكمة أن يكرس الوالدان جهدهما لخدمة ميول الطفل ظنا منهما أنه سيركز عليها بجد. غير أنه إذا كانت نزعته نحو موضوع أو مهارة قوية، لا يجوز عرقلتها في بدايتها. ويظل المبدأ القائل: " اختر الأفضل، فإن العادة ستجعله سهلا، مرغوبا فيه " مبدءا سليما.



المســـاواة [1]
(فـولتيـر)

من الواضح أن الناس متساوون فيما يتعلق بأداء الوظائف الطبيعية، فلا يستطيع ملك الصين، أو سلطان الترك مثلا، أن يمنع إنسانا من أن يفكر أو يهضم طعامه أو يتبول. ولو كان بوسع الإنسان أن يحصل بسهولة على احتياجات معيشته في جميع الظروف والأماكن لما استطاع رجل أن يستعبد الآخر. فلو كانت الأرض مملوءة بالغذاء، خالية من الأمراض، وكان الإنسان لا يحتاج إلى منزل يأويه، لما وجد أمثال جنكيز خان وتيمورلنك من يخدمهم ما عدا أولادهم. وحتى لو خطر لرجل أن يستبد بآخر أضعف منه، لكان هذا الأخير على نهر الدانوب قبل أن يصل الأول إلى نهر الفولغا.

(1) ملخص.



وهكذا لولا الحاجة لسادت المساواة. ولكن الفقر هو الذي يخضع إنسانا لآخر. لنفرض أن أسرة زرعت أرضا خصبة، إلى جانبها أسرتان زرعتا أرضا لم تنتج شيئا، فليس أمام الأسرتين إلا أن تخدما الأسرة الأولى " الثرية " أو تقتلاها. فإذا فضلت أسرة أن تقدم خدماتها للأسرة الغنية لتحصل على قوتها، وقررت الأسرة الأخرى أن تهجم على هذه الأخيرة، وهزمت، يصبح أفرادها عبيدا للأسرة الثرية المنتصرة.

إن جميع الناس يولدون ولديهم نزعة للسيطرة، للتملك، للتمتع وللكسل كذلك. وبالنتيجة جميع الناس يرغبون في الحصول على ثروات الآخرين وزوجاتهم وبناتهم.. إلخ؛ وبوجود هذه النزعة لا يمكن أن توجد مساواة بينهم. فمهما اعتقد المرء في أعماق نفسه أنه مساو للآخرين، لا ينتج عن ذلك أن يطلب طباخ الكاردينال من سيده أن يعدّ له عشاءه. ولكن بوسع الطباخ أن يقول مثلا: أنا رجل مثل سيدي ... ولو احتل الأتراك روما وأصبحت كاردينالا وسيدى طباخا، سأجعله طباخي الخاص. ولكن في انتظار أن يحتل الأتراك روما، يجب على الطباخ أن ينجز مهمته وإلا تسود الفوضى المجتمع.



حـول الـزواج والعـزوبة



من مقال للكاتب الإنجليزي
فرانسيس بيكون

من تزوج وأنجب أطفالا فقد أودعهم رهائن للحظ. والأسرة والأولاد قد يعوقون الرجل عن تحقيق المنجزات المهمة، سواء في المجالات الصالحة أو الشريرة. إن جلائل الأعمال التي تخدم المصالح العامة جاءت من أشخاص غير متزوجين أو ممن لا ذرية لهم، لأنهم كرسوا مودتهم وأموالهم للجمهور. غير أنه يجدر بمن لهم أطفال أن يركزوا اهتمامهم على المستقبل، إذ إنهم سيتركون أعز ودائعهم في حمايته.

ولكن من العزاب من يقتصر اهتمامهم على أنفسهم، ويرون أن لا علاقة تربطهم بالمستقبل. ومن الناس من لا يرون في الزوجة والأولاد سوى مصدر لزيادة النفقات. بل هناك من الأثرياء الحمقى من



يفتخرون لكونهم لم ينجبوا ذرية، لأن وضعهم هذا يكبر ثرواتهم في عيون الناس. وربما سمعوا قول قائل " فلان غني حقا "، وقول آخر "هذا صحيح، ولكن يتحمل أعباء الإنفاق على عدد كبير من الأطفال". وكأن هذا يقلل من قيمة ثروته.

ومن أقوى دواعي العزوف عن الزواج " الحرية "، خاصة لدى بعض الشباب المعجبين بأنفسهم، ممن يخشون كل مضايقة، ويخالون "حزام المرأة " قيدا في سواعدهم. إن العزاب هم أفضل الأصدقاء، وأفضل الأسياد، وأفضل الخدم، ولكنهم ليسوا دائما أفضل المواطنين. لأنهم يفرون بسهولة ويصعب العثور عليهم.

تصلح حياة العزاب لرجال الكنيسة ...، أما بالنسبة للحكام والقضاة، فالعزوبية لا تهم كثيرا، خاصة إذا كانوا ممن لا يتورعون عن الرشوة. وفي نظام الجندية، ألاحظ، بصورة عامة، أن الضباط، فيما يقدمون من إرشادات ومواعظ ونصائح، ينظرون إلى الجنود كما ينظر الرجل إلى زوجته وأطفاله. ولا ريب في أن وجود الأسرة يؤدي إلى الانضباط في سلوك البشر. وعلى الرغم من أن العزاب أكثر كرما في مجال الإحسان، لأن أموالهم لا تستنفد بسرعة مثلما هو الحال لدى العائلة، فإننا نجدهم من جهة أخرى أشد قسوة، لأن مخزونهم من اللطافة والحنان لم يجد من يوقظه مثل رب الأسرة.

وتجدر الإشارة إلى أن الأزواج الذين يتسمون بالرزانة والوقار هم عادة من المخلصين في حبهم. وقد قيل عن أوليس (أحد أبطال



طروادة) إنه فضل أن يعيش مع زوجته على أن يتركها ويكتب له الخلود. وكذلك لوحظ أن المرأة العفيفة يخالط سلوكها شيء من الكبرياء والاعتداد بنفسها، اعتزازا بعفتها. وكذلك إذا اقتنعت المرأة أن زوجها حكيم في تصرفاته، فإن هذا يدعم تمسكها بعفتها، ويزيد من طاعتها له. وقليلا ما تفعل هذا إذا وجدته شديد الغيرة عليها.

الزوجات عشيقات أزواجهن في عهد شبابهم؛ ورفيقاتهم في فترة متوسط العمر؛ وممرضات لهم في مرحلة الشيخوخة. ولكن يوجد من يرى غير ذلك. فقد سئل حكيم: متى يتزوج الرجل؟ فأجاب: ما دام شابا لم يحن وقت زواجه؛ فإذا تجاوز مرحلة الشباب عليه ألا يفكر في الزواج.

وقد قيل إن الرجال القساة يحظون بزوجات طيّبات؛ ولعل السبب هو أن قساوة خلق الزوج تزيد في قيمة لطفه وحنانه (عندما يحدث هذا)؛ وأن الزوجة تجد فخرا وتكرما في صبرها على الزوج السيئ. وتصدق هذه الملاحظة خاصة إذا كانت الزوجة هي التي أصرت على زواجها من هذا الرجل، رغم تحذير صديقاتها، لأن في هذه الحالة تسعى إلى إخفاء خيبة رأيها.

عـــادات

كان الرومان، كغيرهم من الشعوب والقبائل يهتمون بإنجاب أكبر عدد من الأطفال الذكور. فقد كانت الإمبراطورية تحتاج باستمرار إلى مزيد من الجنود لحماية حدودها الواسعة. وكانت الأسر الغنية ترغب في إنجاب الذكور لتخليد اسمها والمحافظة على ثروتها ومركزها. وكذلك كان الفرس يفتخرون بإنجاب الذكور، وكان الملك يقدم الهدايا للأسر التي تنجب عددا كبيرا منهم.

ويروى المؤرخ بلوتارخ أن الملك Lycurgus [1]، ملك اسبارطا، كان يهتم بقضية إنجاب الأطفال وتربيتهم، ويرى أنهم ليسوا ملكا لآبائهم

(1) يختلف المؤرخون في أمره، ويذهب بعضهم إلى أنه شخصية حقيقية عاش في القرن السابع قبل الميلاد.



بل للمجتمع. وكان يركز على تحسين النسل، ويعمل على ألا ينجب الأطفال إلا الشباب الأصحاء الأشداء لينتجوا جيلا قويا. وكان يسخر من الناس الذين يبذلون جهدهم لإنجاب أفضل أجناس الخيل والكلاب، ولا يهتمون كثيرا بانتقاء أقوى الرجال لإنجاب الأجيال الآتية. ولذلك كان أهل أسبارطا أحيانا يطلبون من الزوج العليل أو العاجز عن الإنجاب أن يعير زوجته لشاب قوى البنية لتنجب منه أطفالا أقوياء.

وكان الناس يسخرون من العزاب الذين يعرضون عن الزواج، ومن المتزوجين الذين لا ينجبون أطفالا. وكان المسؤولون يجبرون العزاب على المشي عراة في فصل الشتاء، حول ساحة السوق، وهم ينشدون أناشيد فيها عبارات توبخهم، ويرددون عبارات يعترفون فيها بأنهم يستحقون هذا العقاب لعزوفهم عن الزواج.

واشتهرت إسبرطة بتدريب الأطفال في تنظيمات عسكرية محكمة التنظيم، تستخدم فيها أساليب قاسية صارمة بهدف تكوين شباب قادر على تحمل الشدائد ومواجهة الصعوبات والثياب في الظروف القاسية والانتصار على الأعداء. ويقول بلوتارخ أن من جملة الإجراءات التي اتخذها الملك المذكور من أجل تربية الفتيان والفتيات على تقوية أبدانهم وتحمل الشدائد، أنه كان يأمر أن يخرج الفتيان والفتيات حفاة عراة في المواكب الرسمية، وكذلك أثناء أداء التمرينات الرياضية، وأن يرقصوا عراة أثناء الحفلات العامة كذلك. وأثناء الرقص تنشد الفتيات أناشيد تتضمن انتقادات للفتيان الذين لم يبلوا بلاء حسنا في



المعارك ضد العدو، كما تتضمن عبارات الثناء على الفتيان الذين قاموا بأعمال بطولية.

ولم يكن النظام يهتم بالتعليم النظري بقدر ما كان يركز على الجوانب العملية في الحياة اليومية. كان يخضع الأطفال لممارسات قاسية وظروف شاقة تدربهم على تحمل الجوع والبرد والحر والألم والاعتماد على النفس والصمود أمام العدو. وقد كانت مدينة سبارطا مثالا بارزا في القوة، خاصة بعد القرن الخامس قبل الميلاد.

ويقودنا الحديث عن سبارطا إلى الإشارة إلى شعوب ودول أخرى اشتهرت بشدة البأس، بل وبالوحشية في حروبها، منها شعب الإسكينديين الذين أسسوا إمبراطورية شمال البحر الأسود دامت على وجه التقريب من القرن السابع حتى القرن الثاني قبل الميلاد. وكان من ممارستهم الوحشية في المعارك أن يشرب المحارب من دم أول رجل يقتله في المعركة. ولدفع الجنود إلى الإمعان في القتل كان القائد يطلب من كل محارب أن يقطع رؤوس الأعداء، ويقدمها له بعد المعركة لينال من الغنائم بقدر عدد الرؤوس. كما يروى أنهم كانوا يعدون جماجم الأعداء في شكل أواني، ثم يجففونها ويستعملونها للشرب. كما كانوا يسلخون جلد رؤوس القتلى من أعدائهم ويجعلون منها مناشف، ويفتخر أحدهم بما لديه من هذه المناشف.

ومن الشعوب التي اشتهرت بالعنف والوحشية في حروبها الأشوريون. فكان الضباط يكافؤون الجندي كذلك حسب عدد رؤوس



الأعداء التي يقطعها. واشتهرت جيوشهم بتدمير المدن وحرقها، ومعاملة الأسرى بوحشية بالغة. كانوا يقطعون ألسنتهم، ويفقأون عيونهم. ويقطعون أيديهم وأرجلهم، ويحرقون جلودهم، وهم أحياء.

ولم تكن أعمال القتل والوحشية وإراقة دماء الأبرياء مرتبطة بالحروب فقط. ففي شعوب عديدة سادت عادة التضحية بالعبيد والأسرى والأطفال إرضاء لآلهة متعطشة للدماء، في مناطق مختلفة من العالم. وكان الناس، عندما تحيق بهم كارثة أو يهاجمهم عدو، يعتقدون أن الآلهة غاضبة عليهم، فيسارعون إلى تقديم القرابين البشرية لنيل رضاها وإبعاد الخطر عن بلادهم. كان الفنيقيون على سبيل المثال، إذا حلت بهم أزمة، ينتقون بعض الأطفال ويحرقونهم أحياء، تقربا للإله ملوخ. ومن الشعوب التي كانت تقدم الضحايا البشرية لآلهتها شعب الأزتيك في المكسيك. وكان الكهنة يقتلون بأيديهم القرابين البشرية بطريقة بالغة الوحشية. كانت الضحية (رجلا أو امرأة) تقيد وتلقى على ظهرها، ويشق صدرها بآلة حادة (وهي حية)، ويستخرج الكاهن القلب .. وأحيانا تحرق الضحية أو تلقى في الماء مقيدة، وهي حية.

وفي مجتمعات أخرى ظهرت عادات لا تقل عن ذلك وحشية مثل عادة دفن الزوجة أو حرقها حية إلى جانب زوجها المتوفي وشجعت بعض المعتقدات الدينية أحيانا على تقبل هذه التقاليد الشنيعة، فكانت الزوجة تعتبر نفسها تابعة لزوجها في جميع الظروف، فترضى بالموت معه بهذه الطريقة المؤلمة. وفي بعض الأحيان كان يدفن مع الملك عدد



من الجنود والخدم أحياء ليكونوا عونا لسيدهم في حياته الأخرى، وقد حدث ذلك خلال فترة محدودة من تاريخ الصين الطويل، وكذلك في بلاد السومريين، وفي مدينة أور الشهيرة التي قضى فيها سيدنا إبراهيم عليه السلام جزءا من حياته.

وكان من عادات الإسكينديين، عندما يموت الرجل، وخاصة زعيم القرية أو القبيلة أو الملك، أن تقتل أهم زوجة من زوجاته، كما يقتل بعض خدمه وعدد من أحسن خيله، ويدفنون في قبور مجاورة لقبره عساه ينعم بوجودهم في خدمته يوم القيامة. أما في مصر القديمة فكانت العادة أقل وحشية، إذ كان الفنانون يصنعون نماذج تشبه الخدم أو ما يحتاجه الملك أو الحاكم، وتدفن معه لتسهر على راحته في الحياة القادمة.

المحتويات

❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖

القسم الثانى

❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖

القسم الثالث

❖❖❖❖❖❖❖❖❖

القسم الرابع

حصاد الأيام أدب .. فلسفة .. تاريخ



نبذة عن المؤلف

ولد الأزرق بن علو في الجزائر، وحصل على :

- ليسانس في العلوم الاجتماعية من جامعة بلغراد (1961) .
- ماجستير في العلاقات الدولية من الجامعة الأمريكية بواشنطن (1966).
- عضو البعثة الدبلوماسية الجزائرية في واشنطن (1971 1964) .
- مراسل جريدة الشعب الجزائرية في واشنطن (1975 1972) .
- موظف بمنظمة الأغذية والزراعة للأمم المتحدة في روما منذ (1979) .
- من مؤلفاته :

١- الرحلة .
٢- الشعر والحياة .
٣- كيف تتغلب على القلق وتنعم بالحياة .



